الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم ـ قم المقدسة

تاريخ القرآن

آية الله محمّد هادي معرفة

ترجمة: حسن الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار القرآن الكريم

قم المقدسة

العنوان: إيران . قم المقدسة . شارع بسيج . شارع تراب نجف زاده

الفرع رقم ١ . مجمع مصابيح الدجى . الطابق الرابع

Mail: im.hu.qu@Gmail.Com

دار القرآن الكريم
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

اسم الكتاب: **تاريخ القرآن**

المؤلف: آية الله محمد هادي معرفة

ترجمة: حسن الهاشمي

نشر وإشراف: دار القرآن الكريم ـ قم المقدسة

المطبعة: مشعر

عدد النسخ: ١٠٠٠

كلمة الناشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين

للقرآن تاريخ، وللتاريخ أدوار، ولكلّ دورٍ ظروف أحاطت به.

إنّ تاريخ القرآن يعكس بشكل واضح وكامل الأدوار التي عاشها المسلمون الأوائل المرافقون لنبيّهم الأعظمﷺ وما مرّوا به من ظروف وأحداث رافقت نزول القرآن الكريم.

ويبقى لهذا التاريخ القدرة على ردّ كل الشبهات التي حيكت حول القرآن وأهميته، تلك الشبهات التي رافقت نزول القرآن الأوّل ولا تزال تثار هنا وهناك.

والكتاب الذي بين أيدينا هو دراسة متكاملة لتاريخ القرآن الكريم، وكلّ ما يرتبط به من جهة تفسير ظاهرة الوحي ونزول القرآن وجمعه، وأحكام القراءات واختلافها، إلى غير ذلك ممّا يرتبط بالقرآن الكريم؛ وقد استطاع المؤلّف رحمه الله أن يقدّم فيه الحجج الواضحة لردّ كلّ الشبهات التي أثيرت حول القرآن.

ونظراً لأهميّة الكتاب ومؤلّفه؛ تبنّت دار القرآن الكريم التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة تحقيقه ونشره، كما نتقدم بالشكر والتقدير للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام على تعاونه مع دار القرآن الكريم حيث قام بترجمة الكتاب وتقديمه لدار القرآن الكريم.

والله من وراء القصد.

دار القرآن الكريم
قم المقدسة

المقدّمة

القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حافظ على أصالته عبر التاريخ سالماً من جميع أنواع التحريف، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

لقد نزل القرآن على الرسول الأكرم ﷺ متفرقاً وفي مناسبات مختلفة، وقد أملاه النبي بدوره على كتّاب الوحي، فخطوه بأيديهم. ثم جمعت هذه المخطوطات المتفرقة بأمر رسول الله ﷺ لتضم كل سورة مجموعة من الآيات، وسمي مجموع السور البالغ مائة وأربع عشرة سورة بـ (المصحف)[2].

كيف نزل هذا القرآن؟ وأين ومتى حدث ذلك؟ ومن الذي أمر بجمعه؟ وهل حدث ذلك في مرحلة واحدة، أو في مراحل مختلفة؟ وما هو المقدار الذي أُنجز منه في حياة النبي الأكرم ﷺ، والمقدار الذي أُنجز بعده وعلى يد من؟ وكذلك الفترات المختلفة التي قطعها في مسيرته حتى وصل إلينا في العصر الراهن؟ وبيان جميع الحوادث والأمور التاريخية التي شكّلت هذا الكتاب السماوي، هي الأسئلة التي يُعنى هذا الكتاب بالإجابة عنها.

وتتجلى أهمية التعرّف على تاريخ القرآن من كونه يشكّل قاعدة لأُمة

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) الأوراق التي تضمّ إلى بعضها فتشكل مجموعة واحدة.

عظمى قد تشكّلت بدورها من أمم متعددة ومختلفة في تاريخها وثقافاتها، ولكنها برغم ذلك قد توحّدت واجتمعت حول هذا النداء السماوي لتغدو بذلك أمة واحدة، وبدأت حياتها الجديدة في ضمن الجغرافيا الإسلامية.

إنّ نداءً مثل هذا جدير بأن يُبحث تاريخياً؛ ليتضح للجميع كيف قطع مساره الطويل بسلام عبر التاريخ، ولم يتعرض كسائر الكتب السماوية الأخرى للتغيير والتبديل والتحريف.

إنّ القرآن الكريم هو مصدر التشريع الإسلامي والأساس الذي تقوم عليه الهوية الإسلامية الأصيلة، وعليه يجب التعرف عليه وبيان تاريخه بدقة.

وقد اُلفت كتب قيمّة في القرون الإسلامية الأولى حول علوم القرآن(١). وقد عالجت في غالبها وصف المصاحف الأولى، ومن هنا حملت عنوان «المصاحف» واشتهرت بهذه التسمية. وإليك نماذجاً من هذه الكتب:

١ ـ **اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق**، تأليف: عبد الله بن عامر قارئ الشام وأحد القراء السبعة (ت: ١١٨هـ).

٢ ـ **اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة**، تأليف: علي بن حمزة الكسائي، قارئ الكوفة، وأحد القراء السبعة (ت: ١٨٩هـ).

٣ ـ **اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام**، تأليف: يحيى بن زياد المعروف بالفراء البغدادي (ت: ٢٠٧ هـ).

---

(١) ينبغي الالتفات إلى أنّ مصطلح «تاريخ القرآن» من المصطلحات المستحدثة، حيث لم يستعمل إلى القرن الأخير، وقد كان يُشار إليه في كتابات المتقدمين تحت عنوان «علوم القرآن».

٤ ـ **اختلاف المصاحف**، تأليف: خلف بن هشام، راوي حمزة وقارئ بغداد، وأحد القرّاء العشرة (ت: ٢٢٩ هـ).

٥ ـ **اختلاف المصاحف وجامع القراءات**، تأليف: المدائني (ت: ٢٣١ هـ).

٦ ـ **اختلاف المصاحف**، تأليف: أبي حاتم (ت: ٢٤٨ هـ).

٧ ـ **المصاحف**، تأليف: عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت: ٣١٦ هـ).

٨ ـ **المصاحف**، تأليف: ابن الأنباري (ت: ٣٢٧ هـ).

٩ ـ **المصاحف**، تأليف: ابن أشتة الأصفهاني (ت: ٣٦٠ هـ).

١٠ ـ **غريب المصاحف**، تأليف: الورّاق.

والكتاب الوحيد الذي تبقّى من مجموع هذه الكتب هو كتاب «**المصاحف**» لابن أبي داود السجستاني، المولود في سيستان عام (٢٣٠ هـ)، ونشأ في نيشابور، وسافر في شبابه إلى الكثير من البلدان الإسلامية مثل: خراسان وإصفهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة ودمشق ومصر والجزيرة وغيرها من البلدان طلباً للعلم، وكتابه هذا نموذج من الكتب الكثيرة التي كتبت حول تاريخ القرآن، وقد بقي هذا الكتاب خافياً حتى عثر عليه المستشرق الدكتور آرثور جفري وقام بطبعه ونشره، فكان أفضل وأقدم كتاب في هذا المجال.

كما اُلفت في العصر الأخير كتبٌ في هذا المجال، وكان من أفضلها وأتقنها كتاب «**تاريخ القرآن**»، للمحقق الكبير أبي عبد الله الزنجاني عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ومن كبار علماء وفقهاء وأدباء النجف الأشرف، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الفارسية ونُشر في إيران مؤخراً،

وكذلك كتاب«**لمحات من تاريخ القرآن**» للأُستاذ القدير السيّد محمّد علي الأُشيقر من علماء كربلاء الكبار، وكتاب «**تاريخ القرآن**» للأُستاذ الدكتور محمود راميار، وكتاب «**بحوث في تاريخ القرآن وعلومه**» للأُستاذ السيّد أبي الفضل مير محمّدي، وكتاب «**تاريخ القرآن**» للأُستاذ الدكتور السيد محمّد باقر حجتي. وتُعدّ هذه الكتب من أبرز المؤلفات التي تم إنجازها في الفترة الأخيرة.

كما صُنفت كتب أُخرى في هذا المجال من قِبل علماء الشيعة والسنة المعاصرين، مما يعكس اهتمام المسلمين بهذا الكتاب السماوي، منها: «**تاريخ القرآن والتفسير**» للكاتب المصري الدكتور عبد الله محمود شحاتة، و«**تاريخ القرآن وغرائب رسمه**» للكاتب المصري محمّد طاهر، و«**تاريخ القرآن**» للدكتور عبد الصبور شاهين، و«**تاريخ القرآن**» لإبراهيم الأبياري مؤلف الموسوعة القرآنية، و«**تاريخ القرآن والمصاحف**» لموسى جار الله، و«**من قضايا القرآن**» للمفسّر المصري عبدالكريم الخطيب، و«**تاريخ وعلوم القرآن**» لعلي حجتي كرماني، و«**تاريخ جمع القرآن الكريم**» لمؤلفه محمّد رضا الجلالي النائيني(١).

كما صدر عنّا كتابان في هذا المجال، الأول: كتاب «**التمهيد**» الذي كان ثمرة جهود ثلاثين سنة من التحقيق حول المسائل القرآنية وكانت

(١) وطبعاً فقد عمد المستشرقون إلى تأليف الكثير من الكتب حول تاريخ القرآن، وقد ترجم بعضها إلى اللغة الفارسية، نذكر لذلك مثلاً «**تاريخ القرآن**» لبلاشير، الذي ترجمه السيد الدكتور محمود راميار إلى اللغة الفارسية تحت عنوان «**در آستانه قرآن**».

الغاية من وراء تأليفه بيان آراء علماء الإمامية حول المسائل القرآنية. فخرج هذا الكتاب في سبعة أجزاء، بحثنا فيها جميع المسائل القرآنية التي تمّ طرحها حتى الآن. ومنها: تاريخ القرآن حيث تحدثنا عنه بالتفصيل، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الفارسية أيضاً. والكتاب الآخر هو «**التفسير والمفسرون**» في جزئين حيث تعرضنا فيه إلى المراحل التفسيرية منذ عهد الرسالة، ومن بعده عهد الصحابة والتابعين، ودور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن، وتحدثنا فيه عن عهد التدوين والتفسير مفصّلاً، وكذلك تعرضنا فيه لتاريخ التفسير ومعرفة التفاسير وبيان سيرة المفسرين.

أما هذا الكتاب الذي بين أيدينا فقد سعينا فيه إلى تجاوز أُسلوب الاقتباس إلى أُسلوب التحقيق، حيث اتّجهنا إلى أن نُخضع جميع بحوثه إلى التدقيق والتمحيص، استناداً إلى الشواهد والمصادر التاريخية الموثوقة، وهو يشتمل على ستة فصول بحثنا فيها المسائل الضرورية حول المعارف القرآنية.

الفصل الأول: بحثنا فيه المواضيع التمهيدية مثل: الوحي ومعرفة الوحي، وإمكان الوحي. كما تعرضنا فيه إلى نقد الأدلة التي ذكرت لبيان امتناع الوحي، وخاصة الوحي الرسالي، الذي يعني الاتصال المباشر بين الخالق والمخلوق الكامل، الذي اختاره واجتباه من بين المخلوقين، ومن هو الإنسان الذي يستحق هذا الاتصال المباشر؟ وهل يمكن التلاعب بالوحي أثناء هذا الاتصال أو بعده؟ كما تعرضنا في هذا الفصل إلى تاريخ بدء الوحي عموماً والوحي القرآني خصوصاً، وكيفية نزول الوحي على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإملائه على كتّاب الوحي وكيفية ضبطه وإثباته، وكذلك

أساليب الكتابة في ذلك العهد.

الفصل الثاني: تحدثنا فيه عن بداية نزول القرآن، والفترة التي تلت ذلك وانقطع فيها الوحي لثلاث سنوات، ومدة نزول القرآن، ونزوله الدفعي والتدريجي وآراء كبار العلماء في مسألة النزول الدفعي للقرآن. وأول وآخر آية وسورة من القرآن نزولاً، وترتيب نزول السور، والمكي والمدني منها، والملاك في تحديد السور المكية من المدنية، وهل هناك آيات مستثنيات في ضمن السور؟ والفوائد المترتّبة على معرفة المكي والمدني من السور. وكذلك بُحث فيه عن أسباب النزول والفرق بين سبب النزول وشأن النزول والتنزيل والتأويل، وطرق معرفة أسباب النزول، وأسماء القرآن، ومفهوم السورة والآية، وأسماء السور، وهل هي توقيفية أو أنها توافقية؟ وكذلك إعراب أسماء السور وعدد الآيات والسور من البحوث الأخرى المطروحة في هذا الفصل.

الفصل الثالث: نتحدث فيه عن ترتيب القرآن ونظمه وتأليفه، ونظم الآيات في كل سورة وكون هذا النظم توقيفياً. ونتعرض ضمن ذلك إلى مصاحف الصحابة حتى مرحلة توحيد المصاحف في عهد عثمان، حيث تمّ جمع النسخ القرآنية من جديد وتوحيدها في مصحف واحد كامل عرف بـ«الأُم» أو «الإمام». كما تحدثنا في هذا الفصل عن خصائص المصاحف العثمانية، وخطوط المصحف، ونشأة الخط العربي، والاختلاف الذي كان موجوداً بين الصحف، وكذلك مراحل تكامل الخط القرآني إلى مرحلة طبع القرآن.

الفصل الرابع: نتعرض فيه إلى قرّاء القرآن والقراءات السبع، وأسباب اختلاف القراءات، وطرق تحديد القراءة الصحيحة، وأنّ قراءة عاصم

برواية حفص هي القراءة المختارة من بين القراءات، وهي المطابِقة لقراءة جمهور المسلمين منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، وهي القراءة التي صحَّ سندها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الفصل الخامس: نتعرض فيه إلى مسألة التحريف، واتفاق كلمة جميع العلماء والمحققين في العالم الإسلامي، على عدم وقوع التغيير والتبديل والتحريف في القرآن لا بزيادة ولا بنقصان.

الفصل السادس: تحدثنا فيه حول ترجمة القرآن إلى غير العربية من اللغات، ويشتمل هذا الفصل على أساليب الترجمة وفتاوى الفقهاء والعلماء من الشيعة والسنة، وتاريخ الترجمة في الإسلام، ونماذج من ترجمات القرآن الكريم.

وقد سعينا في هذه الفصول إلى استعراض المسائل بأمانة كاملة، اعتماداً على الأدلة التاريخية كما هي، واجتناب جميع أنواع الانحياز، خدمة للفكر والعلم، ومرضاة لله تبارك وتعالى.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر والتقدير إلى كل من ساهم في تحقيق ونشر وطباعة هذا الكتاب، حيث وجدتهم أهلاً لذلك. كما أشكر الأخ الفاضل سماحة السيد محمّد علي إيازي على ما بذله من جهود في إعادة قراءة الكتاب وتدقيقه، وأقرّ له بإنجاز هذه المهمة الشاقة بكفاءة.

أسأل الله تعالى التوفيق للجميع، شكر الله مساعيهم الجميلة وجزاهم الله عن العلم وأهله خير الجزاء، إن شاء الله ربّ العالمين.

محمّد هادي معرفة

الفصل الأوّل

ظاهرة الوحي

تعود أهمية البحث حول الوحي إلى كونه أساساً لمعرفة كلام الله. فالقرآن بوصفه كلاماً إلهياً، إنّما يكون مقبولاً إذا سبقه إيماننا بحقيقة الوحي.

إنّ القرآن الذي هو كلام الله تبارك وتعالى والذي يحمل النداء السماوي، إنما تحقق من طريق الوحي.

والوحي: هو النداء الغيبي الذي نزل من الملكوت الأعلى إلى عالم المادّة.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**﴾(٢).

وقال تعالى على لسان النبي الأكرمﷺ: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾(٣).

وعليه فإن أهم مسألة في مجال المعتقدات القرآنية هي مسألة الوحي

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

ومعرفته، وبيان كيفية حصول الارتباط بين الملأ الأعلى والمادة السفلى، والإجابة عن التساؤل القائل: هل يمكن حدوث الارتباط بين عالم المادة وما فوق العالم المادي مع وجود الاختلاف الماهوي والسنخي بين هذين العالمين؟

هذه هي التساؤلات المطروحة في هذا المجال، وإنّ الإجابة عنها تمهّد الطريق أمام إثبات المعتقدات القرآنية.

الوحي في اللغة

لقد أطلق الوحي في اللغة على معانٍ مختلفة، منها: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والنداء، والكلام الخفي، والإعلام في خفاء وسرعة، وكل ما ألقيته إلى غيرك من كتابة أو نداء أو إشارة حتى علمه فهو وحي.

قال الراغب الأصفهاني:

أصل الوحي الإشارة السريعة[1].

وقال أبو إسحاق:

(أصل الوحي في اللغة كلّها: إعلامٌ في خفاء؛ ولذلك سُمّي الإلهام وحياً).

وقال ابن برّي:

(وحى إليه وأوحى: كلمة بكلام يُخفيه من غيره، ووَحى وأوحى: أومأ).

---

(١) المفردات في غرائب القرآن: ٥١٥.

وكذلك قال الشاعر:

فأوحَت إلينا والأناملُ رسلُها[١].

وقال الآخر:

نظرت إليها نظرةً فتحيّرتْ دقائقُ فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرفُ أني فأثّر ذاكَ الوحيُّ في وجناتِها

الوحي في القرآن

ورد الوحي في القرآن على أربعة معان:

١- **الإيماءة الخفية**: وهو نفس المعنى اللغوي لكلمة «وحي»، حيث قال الله تعالى بشأن زكرياعليه السلام: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾[٢].

٢- **الهداية الغريزية والفطرية** التي أودعها الله في جبلّة الأشياء، فكل موجود أعم من الجماد أو النبات أو الحيوان أو الإنسان، يعلم غريزياً سبل بقائه واستمراره على قيد الحياة. وقد عبّر القرآن عن هذه الهداية الغريزية بالوحي، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً...**﴾[٣].

---

(١) لسان العرب؛ابن منظور: ١٥: ٣٨٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ١١.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٦٨ و٦٩.

إنّ الهداية الطبيعية المودعة في جبلّة الأشياء، هي من الأسرار العجيبة التي نرى آثارها عياناً، وتخفى علينا مناشؤها، وبذلك فهي جديرة بتسميتها وحياً، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا...﴾(١).

٣- الإلهام النفسي (النداء الغيبي): وهو شعور يحسّ به الإنسان أحياناً، ويخفى عليه مصدره، خاصة في حالات الاضطرار حيث يظن انقطاع جميع السُبل، وفجأة تنقدح في ذهنه بارقة تنير له الطريق وتخرجه من مأزقه، وهذا هو النداء الغيبي والإلهام الذي يأتي لإسعاف الإنسان من خلف حجب الغيب، وهو من مصاديق رحمة الله على العالمين، وقد عبّر القرآن عن هذا الإلهام الغيبي ـ المنبثق من العناية الإلهية ـ بالوحي. قال تعالى في أم موسىعليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ...﴾(٣).

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ١٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣) سورة طه، الآيات: ٣٧-٤٠.

كما استعمل القرآنُ الوحيَ في وساوس الشيطان، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً...﴾(١). و﴿وَإِنّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...﴾(٢). وهذا النوع من الوحي الشيطاني هو المعبّر عنه في سورة الناس: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(٣).

٤- **الوحي الرسالي**: والوحي بهذا المعنى هو الذي يحدد النبوة وقد تكرر ذكره في القرآن أكثر من سبعين مرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ﴾(٥).

إنّ الأنبياء عليهم السلام أناس متكاملون وقد أعدّوا أنفسهم لتقبلّ الوحي، وقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال:

إن الله وجد قلب محمّد أفضل القلوب وأوعاها فاختاره لنبوته...(٦).

إذن، المهم هو رفع مستوى الوعي والاستعداد لتقبّل هذا النداء

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٣) سورة الناس، الآيات: ٤- ٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٦) المجلسي،محمّد باقر، **بحار الأنوار**: ١٨: ٢٠٥، الحديث: ٣٦.

السماوي حتى يزيل عن نفسه جميع الأدران الجسدية، ويغدو جديراً بالتواصل مع عالم الملكوت، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمّته(١).

وكما قال صدر الدين الشيرازي:

(إنه صلى الله عليه وآله استكمل باطنه وسره قبل أن يتعدى صفة الباطن منه إلى الظاهر، واتصف القالب بصفة القلب محاكياً له، والأول بداية السفر إلى الله (من الخلق إلى الحقّ)، والثاني نهاية السفر من الحقّ بالحقّ إلى الخلق)(٢).

وعليه؛ ليس الوحي سوى المعرفة الباطنية الناتجة عن النداء الغيبي، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾(٣). وقال تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾(٤).

إنّ الوحي كالإشراق الذي يحصل في الباطن في أحيان خاصة، مع فارق أنّ مصدر الإلهام يخفى على الملهَم، إلا أنّ مصدر الوحي لا يخفى على الموحى إليه، وهو النبي؛ ولذلك لا يقع الأنبياء في الاشتباه والحيرة

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي: ١: ١٣.

(٢) صدر المتألهين، الشيرازي، شرح أصول الكافي: ٣: ٤٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ و١٩٤.

عند نزول الوحي عليهم؛ لأنهم يتلقونه عن وعي وإدراك وسابق إعداد.

عن زرارة قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزغ الشيطان؟ فقال عليه السلام: إنّ الله إذا اتّخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه[1].

وفي رواية أخرى سئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

كيف علمت الرسل أنها رسل؟ فقال: كشف عنهم الغطاء...[2].

بعبارة أخرى: إنّ النبي بعد أن يبعث، يتجاوز مرحلة علم اليقين ويطوي عين اليقين؛ ليصل إلى حقّ اليقين. فلا غرابة في أن يبعث رجال أطهار أصفياء من بين الناس للاضطلاع بمهام الرسالة الإلهية وحمل أعباء النداء السماوي، كما صرّح القرآن بذلك حيث قال: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إنّ هذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[3]. أي أنهم لو تفكروا قليلاً ورجعوا إلى أنفسهم لزال عنهم هذا التصور الباطل والذي لا يقوم على أساس من العقل والمنطق.

---

(١) العياشي السمرقندي، محمد بن مسعود، **تفسير العياشي**: ٢: ٢٠١، الحديث: ١٠٦. المجلسي، **بحار الأنوار**: ١٨: ٢٦٢، الحديث: ١٦.

(٢) **بحار الأنوار**: ١١: ٥٦، الحديث: ٥٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢.

وقال تعالى لدفع كلّ أنواع الاستغراب أو التوهم الباطل: ﴿أنّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * لكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً * أنّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[1].

وعليه لا غرابة في أن يوحى إلى أحد أفراد البشر، بعد أن اعتادت البشرية على هذه الظاهرة وألفتها على مرّ الدهور وتعاقب العصور.

أقسام الوحي الرسالي

استناداً إلى القرآن الكريم؛ ينقسم الوحي الرسالي إلى ثلاثة أنحاء اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[2].

١- **الوحي المباشر**: الذي يتمّ فيه إلقاء الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وآله من دون واسطة، وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعبر عن هذا النوع من الوحي

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٦٣-١٦٧.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٥١ و٥٢.

بقوله: «**أنّ روح القدس**[(١)] **ينفث في رُوْعي**»[(٢)].

٢- **خلق الصوت**؛ إيصال الصوت إلى مسامع النبي بحيث لا يشاركه في سماعه غيره. وهذا النوع من سماع الصوت دون رؤية مصدره كالذي يسمع متكلماً من خلف الكواليس؛ ولذلك عبرّ عنه تعالى بقوله: ﴿**أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾، ومن هذا النوع الوحي الذي نزل على موسى عليه السلام في جبل الطور، أو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج.

٣- **بواسطة المَلَك**، وكان الملك الذي ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله هو جبرائيل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿**فإنه نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ**﴾[(٣)]، وقال تعالى ﴿**أَنّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾[(٤)].

إمكان الوحي

الوحي: عبارة عن الارتباط بين الملأ الأعلى وعالم المادّة السفلى، ومن هنا قيل: كيف يتحقق هذا الارتباط مع الاختلاف الماهوي بين العالمين، حيث تشترط السنخية والتناسب بين المترابطين؟ مضافاً إلى أنّ الصعود والنزول والمقابلة مستلزم للتحيز (الكون في جهة)، والحال أنّ عالم ما وراء المادة متجرّد محضاً (عارٍ عن الأوصاف الجسمية).

وقال بعض المثقفين الغربيين من ذوي الميول الدينية في بيان رؤيتهم

---

(١) هذا إذا لم يكن جبرائيل عليه السلام هو المعني بروح القدس.

(٢) **الإتقان**: ١: ٤٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣-١٩٤

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

لظاهرة الوحي:

إنّ ما يحسبه الأنبياء وحياً؛ ما هو إلاّ انعكاسات لشخصيته الباطنية، فالأنبياء رجال صالحون ومصلحون، وقد تظهر لهم هذه الشخصية الباطنية متجسدة فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء، وبذلك فمن الطبيعي أن نجد في أقوالهم وكتاباتهم من المعارف المناقضة للعلم الصحيح؛ لأنّ البنية الفكرية لهؤلاء المصلحين، هي نتاج المحيط الذي ترعرعوا فيه، ولذلك جاؤوا ببعض المعتقدات السائدة بين الناس في عصرهم ثم ثبت بطلانها فيما بعد؛ وإلا فإنّ الله أعلى وأجلّ من أن يظهر الخطأ في كلامه[1].

إنّ هذه الرؤية لموقع الأنبياء الإلهيين، تعود في واقعها وحقيقتها إلى إنكار النبوّة، إذ تنتهي إلى إظهار الأنبياء أفراداً سطحيين ساذجين لا يميزون الحقائق من الأوهام، أو أنهم مجموعة من المحتالين الكذابين المشعوذين، في حين أنّ صدق وعظم وجلال شأنهم غير خافٍ على أحد. وعليه يكون هؤلاء المثقفون قد وقعوا في خطأ من جهتين:

١- أنّهم اعتمدوا في تحقيقاتهم ودراستهم لأمثلة الوحي السماوي، على كتب محرّفة أو ترجمات مبتورة أو ممزوجة باجتهادات الآخرين، في حين كان يتعين عليهم قبل كلّ شيء إثبات صحة هذه الكتب.

(١) وجدي،محمّد فريد: **دائرة معارف القرن العشرين**: ١٠: ٧١٥.

٢- أنّهم تصوروا الإنسان كائناً مادياً بحتاً، في حين أنّ الإنسان مزيج من الروح والجسد، وروحه من سنخ الملأ الأعلى، وهذه السنخية التي تشترط في قيام الارتباط هي التي تجعل من الوحي أمراً ممكناً.

هَبَطت إليكَ من المحلِ الأرفع ورقاءُ ذاتُ تعززٍ وتمنّعِ

أتزعمُ أنكَ جرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ

إنّ مسألة روحانية الإنسان ومسانخته للملأ الأعلى قد بحثت في محلها بالتفصيل، ولكن لكي يتسنى لنا توضيح وبيان بحث الوحي وموقعه وإثبات إمكانه، نشير هنا إلى بعض التوضيحات من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

روحانية الإنسان

إنّ روحانية الإنسان من المسائل التي شغلت ذهن الإنسان منذ القدم، وقد فتحت لنفسها حيّزاً واسعاً في الفلسفة والثقافة والفن، وقد أشار لها القرآن الكريم، وتعرّضت لها الأحاديث الشريفة مراراً وتكراراً، كما تعرّضت الفلسفة الإسلامية لها أيضاً، وهنا سنتعرّض إلى جوانب من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في هذا المجال:

إنّ الإنسان كائن ذو بعدين، يعيش حياة برزخية بين عالم المادة وما فوقها بروحه وجسده، فهو من جهة ذو بعد متعالٍ متسامٍ يرمق السماء بطرفه، ومن جهة أخرى أرضي ترابي متسفل. ونجد هذه الحقيقة في القرآن؛ حيث يصف الله مراحل خلق الإنسان عندما كان جنيناً، ثم يصل به إلى مرحلة تفوق عالم المادة حيث ينفخ فيه روحاً متسامية، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَة مِن طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَار مَّكِين * ثُمَّ خَلَقْنَا**

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾[1]، وإلى هنا يكون القرآن قد تعرض إلى المراحل المادية من الإنسان، ثم يتعرض بعد ذلك إلى المراحل المتسامية العالية حيث يقول: ﴿**ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[2]، وذلك حيث يبثّ فيه الروح في الشهر الرابع من مراحل الجنينية. كما تمت الإشارة إلى هاتين المرحلتين من الخلق في آية أخرى: ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِين * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَة مِن مَاء مَهِين * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ**﴾[3].

والملفت للانتباه في هذه الآية، تعريف الروح التي تنفخ في الإنسان على أنها من سنخ عالم الملكوت، حيث يعود الضمير المتصل في قوله ﴿**مِن رُوحِهِ**﴾ إلى الباري تعالى، وفي ذلك تصريح بأنّ هذه الروح ليست من سنخ الماديات. قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن:

((**إنّ الله خلق خلقاً، وخلق روحاً ثم أمر ملكاً فنفخ فيه...**))[4].

وأما في الفلسفة فالإنسان لا يعتبر كياناً مادياً محضاً؛ أي أنّ وجود الإنسان غير منحصر بهذا الجسد المؤلف من اللحم والجلد والعظام والألياف العضلية، بل له وجود أرفع يسمو به فوق عالم المادة ويحرره من الإطار الجسدي المحض؛ وذلك لأنّ الآثار والصفات التي يتمتع بها الإنسان

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٣) سورة السجدة، الآيات: ٧-٩.

(٤) **بحار الأنوار**:٦١: ٣٢، الحديث: ٥.

لا تسانخ جسمانيته، وإنّما تفوق جسميّته شرفاً وفضلاً وسموّاً[١].

إنّ الإنسان في وجوده ذو جنبتين: جسمانية وروحانية، وعليه لا غرابة إذا حصل ارتباط بينهُ وبين عالم ما وراء المادة، حيث يتعلق هذا الارتباط بجانبه الروحي والباطني وهو ارتباط خفي، وهذا هو الذي يحقق ظاهرة الوحي.

فالوحي: ظاهرة روحية تظهر في أشخاص يتمتعون بخصائص روحية عالية. وهذه الخصائص هي التي تجعلهم مؤهلين للارتباط بالعالم الأعلى؛ ولذلك تحصل لهم مكاشفات باطنية أو إلهامات تلقى عليهم من الخارج، وليس من داخل شخصياتهم الباطنة كما تصور المنكرون للوحي.

وعليه؛ فإنّ الوحي ليس ظاهرة فكرية أو انعكاساً لحالة نفسية تعرض للأنبياء، بل هي إلقاء روحي يهبط من العالم الأعلى ويستقر على أفراد تتوفر فيهم الأهلية لتقبل هذا الوحي ولا ينبغي الاستغراب من هذه الظاهرة، قال تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُل مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ**﴾[٢]. غاية ما هنالك أنّ الذي لا يسعنا إدراكه - رغم إيماننا به كحقيقة ثابتة - هو كيفية تحقق هذا الارتباط الروحي، إذ أننا إذا أردنا أن ندركه، نحاول الوصول

(١) للتوضيح والتفصيل أكثر راجع:

- صدر الدين،الشيرازي، **الأسفار الأربعة**: الفصل٢ : ٢٨-٥٢.

- فخر الدين، الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير**: ٢١: ٤٣-٥١)، ذيل قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح..**﴾.

- محمّد حسين،الطباطبائي، **الميزان**: ١: ٣٦٥-٣٦٩، و١٠: ١١٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢.

إلى حقيقته من خلال المقاييس المادية، أو إذا رمنا توصيفه، نلجأ إلى الألفاظ والكلمات وهي موضوعة لمفاهيم لا تخرج عن دائرة المحسوسات والملموسات؛ ولذلك تبقى هذه الكيفية عصية على فهمنا. وإنّ تعبيرات من هذا الشأن ذات جنبة استعارية وتشبيهية وهي أقرب إلى المجاز والكناية، وليست حقيقية ولا يمكنها بيان الواقع بتاتاً. إذن؛ ظاهرة الوحي مقبولة ونؤمن بها، ولكنها لا توصف ولا يمكن إدراكها على نحو حقيقي، فهي ظاهرة روحية صرفة لا يدركها إلا من توفرت فيه الأهلية والكفاءة لتقبلها.

كيفية نزول الوحي

كان النبي صلى الله عليه وآله يشعر عند نزول الوحي المباشر عليه بالثقل، فكانت ترتفع حرارته ويتصبّب جبينه المبارك عرقاً وإذا كان على راحلته ظهر هذا الثقل على تلك الراحلة؛ حيث ينحني ظهرها وتوشك بطنها أن تلامس الأرض، قال الإمام علي عليه السلام:

لقد نزلت عليه [سورة المائدة] وهو على بغلة الشهباء، وثقل عليه الوحي، حتى وقفتْ وتدلى بطنها، حتى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض، وأغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى وضع يده على ذؤابةِ شيبة بن وهب الجمحي...[1].

وقال عبادة بن الصامت:

كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أُنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه.

---

(١) تفسير العياشي: ١: ٢٨٨.

وعنه أيضاً:

كان نبي الله صلى الله عليه وآله إذا أُنزل الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أُتلي عليه رفع رأسه[١].

ونحن لجهلنا بحقيقة الوحي لا نعرف سبب عروض هذه الحالة على النبي صلى الله عليه وآله. وللتفصيل يمكنكم الرجوع إلى الكتب المؤلفة حول الوحي وكيفيته.

يحاول بعض المعاندين وأعداء الدين إلى التشكيك بالوحي من خلال اختلاق الأساطير والأكاذيب فيما يتعلق بالوحي النازل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولكي ندفع هذه الشبهة نذكر مقدمة وسؤالين:

١- هل يمكن للنبي في بداية بعثته أن يسيء الظن بنفسه ويشك فيما عرض له؟

٢- هل يمكن للشيطان أن يتدخل في أمر الوحي؟ وأن يقحم وساوسه على أنها من الوحي الإلهي؟

إنّ الإجابة الواردة في مصادر أهل البيت عليهم السلام عن كلا هذين السؤالين هي بالنفي القاطع، أما في مصادر أهل الحديث - المأخوذة من غير طريق أهل البيت - فإنها تثبت ذلك، وذكروا في هذا الصدد روايات تتنافى ومقام العصمة؛ بل وتشكك في أصل النبوّة.

وهنا نشير إلى قصتين مأخوذتين من روايات أهل الحديث، ونثبت اختلاقهما وبطلانهما بالأدلة العقلية والنقلية:

---

(١) طبقات ابن سعد: ١: ١٣١.

قصة ورقة بن نوفل

كان ورقة بن نوفل من أبناء عمومة خديجة الكبرى عليها السلام، وكان على شيء من العلم، وعلى معرفة بتاريخ الأنبياء السابقين عليهم السلام. وقيل عنه: وكان قارئاً للكتب وكانت له رغبة عن عبادة الأوثان، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل. وكان امرىءً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانية فيكتب من الإنجيل بالعبرانية. وقيل: إنّه هو الذي أخرج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من القلق الذي اعتراه في بداية البعثة. وقد روى البخاري ومسلم وابن هشام والطبري قصته على النحو الآتي:

حتى إذا كنت وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمّد أنت رسول الله وأنا جبرائيل. قال: فوقفت أنظر إليه، فما أتقدّم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء. قال: فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً، ما أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي. حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكّة ورجعوا إليها، وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثمّ انصرف عني. وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا إليّ. ثمّ حدّثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عمّ واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة... ثمّ انطلقت إلى ورقة بن نوفل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ورقة للنبي: والذي نفسي بيده، إنّك لنبيّ

هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى عليه السلام.

قالوا: عند ذلك اطمأن باله وذهبت روعته، وأيقن أنه نبي[(١)].

إنّ هذه القصة ما هي إلا واحدة من عشرات القصص التي اختلقها الحاقدون في القرنين الأولين من ظهور الإسلام بعد أن لبسوا مسوح الإسلام، مستهدفين بذلك إشغال العامة والتشويش على الخاصة وتقويض دعائم الإسلام واستئصال شأفته.

كما أخذ أعداء الإسلام في السنوات الأخيرة هذه القصة وغيرها من القصص المشابهة ـ ومنها قصّة الآيات الشيطانية ـ ذريعة للطعن بالإسلام وتشويهه وضرب الأسس الإسلامية.

كيف يمكن لنا تصديق عدم انكشاف الحقائق لنبي بلغ قمة الكمال واستشعر بشائر النبوة قبل نزولها عليه بمدة ليست بالقصيرة؟ مضافاً إلى تمتعه بأسمى العقول وأفضلها، كما تقدم في الحديث المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام القائل: «**إنّ الله وجد قلب محمّد صلى الله عليه وآله أفضل القلوب وأوعاها، فاختاره لنبوته**». فكيف يمكن لمثل هذا الإنسان المتكامل أن يتردد في مثل هذا الظرف الحساس ويسلمه الله إلى الشك، ولا يتخلص من شكوكه ومخاوفه إلا بسعي تحاوله امرأة أو تساؤل يطرحه رجل ليس له من حظ إلا معلومات يسيرة عن كتب محرّفة؛ ليوقن بعدها أنه نبي؟!

---

(١) هيكل، محمّدحسين، **حياة محمّد** صلى الله عليه وآله: ٩٥ - ٩٦. **صحيح مسلم**: ١: ٩٧-٩٩. **صحيح البخاري**: ١: ٣-٤. **سيرة ابن هشام**: ١: ٢٥٢-٢٥٥؛ أبو جعفر محمّد، الطبري، **تاريخ الطبري**: ٢: ٢٩٨-٣٠٠، و**جامع البيان** (تفسير الطبري): ٣٠: ١٦١.

إنّ هذه القصة مضافاً إلى منافاتها لمقام النبوّة الشامخ، تعارض ظواهر الآيات الكريمة، والروايات الصادرة عن أهل البيتعليهم السلام.

وقال القاضي عياض (ت: ٥٤٤ ق)[١]:

كذلك لا يصحّ أن يُتصوّر له الشيطان في صورة الملَك، ويلبس عليه لا في أوّل الرسالة ولا بعدها.. والاعتماد في ذلك دليل المعجزة، بل لا يشك النبي أنّ ما يأتيه من الله الملَك ورسوله حقيقة.. إما بعلم ضروري يخلقه الله له.. أو ببرهان يُظهره لديه، لتتمّ كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته[٢].

وقال أمين الإسلام الطبرسي في تفسير سورة المدثر:

إن الله لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيّرة والآيات البيّنة الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيءٍ سواها، لا يُفزَّع ولا يَفزَع ولا يَفرُق[٣].

لقد حضي النبي موسىعليه السلام في بداية رسالته برعاية الله تعالى وعنايته الخاصة، حيث خاطبه بالقول: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ

(١) القاضي عياض من كبار علماء الأندلس. قال عنه ابن خلكان: كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وصنّف التصانيف المفيدة (**وفيات الأعيان** ٢: ٤٨٣، رقم ٥١١).

(٢) القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ٢: ٢٨٠، دار الفيحاء، الطبعة الثانية، عمّان، ١٩٨٦م، و**شرح الملا علي القاري** ٢: ٥٦٣.

(٣) الطبرسي، أبو الفضل، **مجمع البيان (تفسير الطبرسي)**: ١٠: ٣٨٤.

الْمُقَدَّسِ طُوىً * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[1]. ثم أمره بالقول: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[2] كل ذلك خوفاً وفرقاً، فقال تعالى: ﴿يَامُوسَى لاَتَخَفْ إِنِّي لاَيَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[3]. وهذا قانون عام، فكل من تشرف بتلقي الوحي لا يخاف شيئاً؛ لأنه ينعم برعاية الله تعالى وظلٍّ من الأمن والطمأنينة والدعة.

ولكي يحصل إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام على الطمأنينة ويصل إلى عين اليقين، أزيحت عنه الحجب لتنكشف أمامه حقائق عالم الملكوت، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[4].

فهل استثنيَ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من هذا القانون ليترك وحيداً في مثل هذا الموقف الحرج والمصيري، فيسيء الظن بنفسه ويعيش حالة من الذعر والخوف؟! وهل كان مقام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أدنى من مقام موسى وإبراهيم الخليل عليه السلام، فلا يستحق العناية التي أولاها لهما الله تعالى؟

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بشأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم، من لدن كان فطيماً،

---

(١) سورة طه، الآيات: ١١-١٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٠.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

أعظم ملكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره...»[1].

وقد ورد في هذا الإطار الكثير من الروايات الصحيحة، وقد تقدم بعض الأمثلة عنها.

ومضافاً إلى الإشكالات المتقدمة، ترد على الرواية المذكورة إشكالات أُخرى نذكرها على النحو الآتي:

١- إنّ هذه الرواية مرسلة، حيث لم يتصل سند روايتها إلى من شهد هذه القصة، وعليه فهي ضعيفة بالإرسال.

٢- اختلاف متن الرواية شاهد آخر على اختلاقها، حيث ورد في أحدها: أنّ خديجة ذهبت إلى ورقة لوحدها، وفي رواية ثانية: أنها صحبت النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ معها، وفي رواية ثالثة: أنّ ورقة شاهد النبي أثناء الطواف، فسأله. وفي رواية رابعة: دخل أبو بكر على خديجة، فقالت له: إذهب بمحمّد إلى ورقة. وهذا الاختلاف يترك القارئ في حيرة حيث لا يمكنه الركون إلى أحدها، ولا يمكن الجمع بينها.

٣- ورد في أكثر النصوص مضافاً إلى البشارة بالنبوة، قول ورقة:

(ولئن أدركت ذلك لأنصرنك نصراً يعلمه إله).... أو(فإن يُبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأؤمن به....).

كما أورد ابن إسحاق بعض الأشعار عن ورقة تكشف عن إيمانه

---

(١) صبحي الصالح، **نهج البلاغة**، الخطبة القاصعة: الرقم: ١٩٢، ص ٣٠٠.

الراسخ(١)، هذا والحال أنّ ورقة بقي حيّاً حتى ظهور الدعوة، ومع ذلك لم يؤمن أبداً، ومات كافراً..، وجاء في حديث ابن عباس: (فمات ورقة على نصرانيته...)، وقال ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق: (ولا أعرف أحداً قال إنه أسلم)(٢). وهذا يشكل دليلاً صارخاً على تعارض هاتين المجموعتين من الأخبار وكونها من اختلاق الوضاعين.

أسطورة الغرانيق (الآيات الشيطانية)

القصة الثانية التي اتّخذها المناوؤون ذريعة للتشكيك بالنبوّة هي أُسطورة الغرانيق التي عرفت بالآيات الشيطانية .

ذكر القاصّون: أنّ النبي كان يرغب على الدوام في حلول الوئام بينه وبين قريش، وكان يستوحش من الفرقة المستمرة بينه وبين قومه، وبينما هو ذات يوم جالس بفناء الكعبة في حشد من قريش، إذ نزلت عليه سورة النجم، فطفق يتلوها كما نزلت عليه: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى...**﴾(٣) حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾(٤) ألقى عليه الشيطان: (تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهن

---

(١) **سيرة ابن إسحاق**: ١٢٣، و**طبقات ابن سعد**: ١، القسم١، ص١٣٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في معرفة الصحابة**: ٣: ٦٣٣.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١-٥.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٩-٢٠

لترتجى)[١]، دون أن يتنبّه النبي إلى ذلك، وواصل قراءة السورة.

فلما سمع المشركون هذه الكلمات التي تمتدح آلهتهم وترجو شفاعتهم فرحوا وغيروا موقفهم من المسلمين ومدوا إليهم يد التآخي والوفاق، وعاد الجميع وهم متفائلون بهذا الحدث، وطار هذا النبأ حتى بلغ الحبشة، فجعل المهاجرون يرجعون إلى بلدهم فرحين بهذا التوافق المفاجئ، وواصلوا بعدها حياتهم مع المشركين متآخين متفقين[٢]. وكان النبي صلى الله عليه وآله أشدّ الناس فرحاً، حتى إذا أمسى المساء وعاد النبي إلى بيته، أتاه جبرائيل طالباً منه عرض السورة عليه، فجعل النبي يقرأها حتى بلغ العبارة المذكورة، إذ صاح به جبرائيل: مه، من أين جئت بهاتين الكلمتين؟! فأدرك النبي أنه قد خُدع وانطلت عليه تلبيسات إبليس! فاشتد حزنه وهانت عليه نفسه، وقال: لقد افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل.

وعلى بعض الروايات أنّ النبي قال لجبرائيل: أنه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني، فقال جبرائيل: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا؛ فاشتدّ بعد ذلك الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن

---

(١) **الغرانيق**: جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل، وفي الأصل إسمٌ لطائر الماء الأبيض. والمراد من الغرانيق في الآية المزعومة الأصنام الثلاثة المعروفة التي دأب العرب في الجاهلية على عبادتها وهي: (اللاة والعزى ومناة).

(٢) من هنا يظهر الوضع والاختلاق على هذه الرواية، إذ لو صحّ ما قيل من أنه ثبت للرسول من ليلتها أنها من تلبيسات إبليس، كيف تأتى في نهار الغد أن يصل هذا الخبر من مكة، مع انعدام وسائل الاتصال آنذاك في ظرف نهارٍ واحد إلى المسلمين في الحبشة ولا يبلغهم نقضه من قبل جبرائيل عليه السلام؟

كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾(١).

فضاعفت هذه الآية من حزن رسول الله، ولم يزل مهموماً مغموماً حتى شمله الله تبارك وتعالى برحمته وعطفه، فأنزل عليه قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُول وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢)، فعند ذلك سرى عنه الهم والحزن وطابت نفسه(٣).

لم تحض هذه الأسطورة بقبول أيّ عَلَم من أعلام المحققين في الإسلام، فقد ذهبوا إلى اعتبارها من الخرافات لا أكثر. فقال القاضي عياض مثلاً:

(إنّ لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين، أحدهما: في توهين أصله. والثاني: على تسليمه.. أما المأخذ الأول : فيكفيك أنّ هذا حديث لم يخرّجه أحدٌ من أهل الصحّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متّصل.. وإنّما أولع به وبمثله المفسّرون والمؤرّخون المولعون بكلّ غريب، المتلقّفون من الصحف كلّ صحيح وسقيم. وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُليَ الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير.. وتعلّق بذلك الملحدون

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٧٣-٧٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٣) **تفسير الطبري**: ١٧: ١٣١-١٣٤. جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**: ٤: ١٩٤، ٣٦٦-٣٦٨، وابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: ٨: ٣٣٣.

مع ضعف نقله، واضطراب رواياته، وانقطاع أسناده، واختلاف كلماته)[(١)].

وقال أبو بكر بن العربي: (كلّ ما يرويه الطبري في ذلك باطل لا أصل له)[(٢)]. وقد صنف محمّد بن إسحاق رسالة فنّد فيها هذا الحديث المختلق، ورآه من وضع الزنادقة[(٣)].

وللأستاذ محمّد حسين هيكل كلام دقيق حول هذه الأسطورة حيث أظهر تناقضها واختلاقها بما لا يبقى معه أي غموض[(٤)].

ويبدو أننا في غنى عن بيان تهافت وعدم انسجام صدر وذيل هذه الأسطورة، إذ أنّ مختلق هذه الأسطورة لم يتقن حبكها، وذلك لأنّ هذه السورة تبدأ بقوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[(٥)] فإذا أمكن لإبليس هنا من التلبيس، لكان لازمه تكذيب كلام الله، وليس للشيطان أن يتغلب على إرادة الله تعالى وهو القائل: ﴿**إنّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾[(٦)]. و﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إنّ اللَّهَ قَوِيٌّ**

---

(١) القاضي عياض ، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، دار الفيحاء، الطبعة الثانية، عمّان، ١٩٨٦م.

(٢) **فتح الباري**: ٨: ٣٣٣.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**: ٢٣: ٥٠.

(٤) هيكل، محمد حسين، **حياة محمّد**صلى الله عليه وآله: ١٢٤-١٢٩.

(٥) سورة النجم، الآيات: ١-٥ .

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٦.

عَزِيزٌ﴾(١). والعزيز هو الذي لا يمكن لأحد أن يتغلب عليه، فكيف يتمكن إبليس ذو الكيد الضعيف أن يتغلب على إرادة الله وهو القوي العزيز؟!

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢). و﴿إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾(٣). وأقرّ الشيطان على نفسه كما يحكي القرآن عنه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَان إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾(٤). وعليه كيف يمكن لإبليس أن يستحوذ على مشاعر النبي الأكرمصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟!

وقد تكفل الله بحفظ كتابه حيث قال: ﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٥). و﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾(٦). وعليه سيبقى القرآن في مأمن من تطاول الأيدي عليه بزيادة أو نقصان. فكيف أمكن لإبليس التلاعب به أثناء نزوله؟ مضافاً إلى عصمة النبي الأكرمصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ خصوصاً في تلقي الوحي وإبلاغه، حيث قام إجماع الأمّة على ذلك، فلا تؤثر فيه وساوس الشيطان، فالنبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ لا يشتبه، لا يخطئ، ولا يمكن لأي شيءٍ أو أحد أن يستحوذ على عقله وتفكيره، فقد شمله الله بعنايته حيث قال:﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَأَنّكَ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾[١]. ولن يتركه وحيداً ولن يسلمه أسيراً لقبضة الشيطان. كما أنّ النبي عربي، بل هو أفصح من نطق بالضاد[٢]. وهو أعلم من غيره بأساليب الكلام وتناسبه، فلا يمكن في حقّه أن نتصور عدم إدراكه للتهافت بين هذه العبارة التي تقطر شركاً، وبين الآيتين التاليتين لها: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَان إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾[٣]. وكيف تأتّى للمشركين تقبل هذا التناقض المفضوح، وهم الضالعون بأساليب البلاغة والبيان؟ وعليه فإنّ كلّ ذي مسكة يدرك سقوط هذه الأسطورة بوضوح.

أما الآيتان اللتان استشهد بهما أهل الحديث لتأييد هذه الأسطورة فلا ربط لهما بها من قريب أو بعيد.

فأولاً: أنّ قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾[٤]؛ بيان لحقيقة عامّة في أنّ صاحب كل شريعة يتمنى أن تتوّج جهوده بالنجاح وتتحقق أهدافه وغاياته، وتستقر كلمة الله على الأرض وتكون هي العليا، ولكن الشيطان يعمل في المقابل على عرقلة هذه الأهداف السامية والجهود المخلصة: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ هذا والحال: ﴿إِنّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، و: ﴿إِنّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾، وعليه فكل ما يحاوله إبليس من جهود يحبطها الله تعالى، حيث

---

(١) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٢) كما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله، كناية عن أنه أفصح العرب.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢.

قال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[١]، ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وثانياً: أنّ آية التثبيت[٢] إنما تثبت للأنبياء مقام العصمة، والتي لولاها لتمكن الزيغ والانحراف ووجد المغرضون والطغاة أرضاً خصبة للتسلل والتسويق لأهدافهم وغاياتهم الخبيثة، ولمارسوا نشاطاً دقيقاً ومحسوباً، وربما خدعوا حتى المخلصين واجتذبوهم إلى صفوفهم، ولما نجا من وساوس الشيطان إلا عباد الله الصالحون.

ومهما كان فآية التثبيت تدلّ على عدم حصول الزيغ، بدليل «لولا» الامتناعية.

قال محمّد حسين هيكل:

إنّ التمسك بقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ احتجاج مقلوب؛ لأنّ هذه الآية لا تلوّح بوقوع الأمر، بل تؤكد عدم وقوعه، فهي تقول: إنّ الله ثبّته فلم يفعل. وأما آية اليمين. كما تقدّم شأنها. لا صلة لها بحديث الغرانيق[٣].

وأساساً، فإنّ الآية المذكورة تفيد قاعدة عامة للمسلمين وأنهم مشمولون لرعاية الله ولرحمته ولطفه، وإن صدر عنهم زيغ فإنهم سيواجهون

---

(١) سورةالأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) راجع سورة الإسراء، الآيات: ٧٣-٧٥.

(٣) **حياة محمّد**صلى الله عليه وآله: ١٢٤-١٢٩.

أشدّ العقوبات الدنيويّة والأخروية.

كتّاب الوحي

كان النبي في الظاهر لا يعرف القراءة والكتابة، وكان معروفاً بين قومه بكونه أُمياً، إذ لم يعهدوا منه أنّه قرأ أو كتب شيئاً ما في يومٍ من الأيام؛ ولذلك كان يدعى بـ(الأمّي)، وقد ذكره القرآن بهذه الصفة أيضاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ إلى قوله:﴿ **فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ...**﴾[(١)].

والأمي نسبة إلى الأم، أي الذي لا يعرف القراءة والكتابة كيوم ولدته أمه. وقيل في معنى الأمي: أنّه منسوب إلى أم القرى وهي (المكرّمة مكّة)، فيكون المعنى هو الذي ولد في مكة، وقد وردت اشتقاقات لهذه الكلمة في موارد أخرى من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**﴾[(٢)]. وربما أريد بها المنسوبون إلى مكة، إلا أنّ النسبة الأولى أكثر اشتهاراً، وأوفق بآيات القرآن الأخرى، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَيَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ**﴾[(٣)]. إذ يبدو أن عبارة ﴿ **لاَيَعْلَمُونَ الْكِتَابَ**﴾ تفسير لكلمة (أميون)، ويظهر ذلك من مقابلة «**العرب**» بأهل الكتاب، حيث كان أهل الكتاب يعرفون القراءة والكتابة، بقرينة العطف. وكذلك الحديث المروي عن النبي الأكرمﷺ: «**إنا أُمّة أُميةّ لا**

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٧-١٥٨.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

نكتب ولا نحسب». ممّا يؤيد عدم القدرة على القراءة والكتابة.

ثـمّ أنّ الـذي يتناسـب وإعجـاز القـرآن هـو عـدم القـراءة والكتابـة، لا عـدم القدرة عليها، قال تعـالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَاب وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِـكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[1]. وهذه الآية تدلّ على أن النبي الأكـرمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لـم يكـن يقرأ أو يكتب، ولكنها لا تدل على أنه لم يستطع الكتابة أو القـراءة، وهـذا كـافٍ فـي إسـكات المخـالفين؛ لأنهـم لـم يكونـوا ليتصـورا أنّ النبـي يحسـن القـراءة والكتابة؛ ولذلك وجدوا الباب موصداً أمام اعتراضاتهم واتهاماتهم.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في تفسير هذه الآية:

قـال المفسـرون: لم يكـن الـنبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يحسـن الكتابـة، والآيـة لا تـدلّ على ذلك، بل فيها: أنهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لم يكن يكتب الكتاب، وقد لا يكتب الكتاب من يحسنه..[2].

وقال العلاّمة الطباطبائي:

ظـاهر التعـبير نفـي العـادة وهـو الأنسـب بالنسـبة إلى سـياق الحجّة[3].

مضافاً إلى أنّ القدرة على القراءة والكتابة كمـال، والأميّـة نقـص، وبمـا أنّ العناية الإلهية الخاصـة قـد أولـت النبـيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ جميع الكمـالات دون أن

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) الطوسي، أبو جعفر، (الشيخ الطوسي)، **التبيان**: ٨: ١٩٣.

(٣)الطباطبائي،محمد حسين، **الميزان**: ١٦: ١٤٥.

يدرس على أحد أو يتعلم من إنسان آخر؛ وإنما منحه الله «**العلم اللدني**»؛ لذلك لا يمكن تصوّر خلو ساحته صلى الله عليه وآله من هذا الكمال. ولكن كان عدم التظاهر بمعرفة القراءة والكتابة لإتمام الحجة، وسدّ الطريق أمام الاعتراض والتشكيك، ومن هنا كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحاجة إلى من يتولى عملية الكتابة له في مختلف الشؤون ومنها تدوين الوحي، فاختار طوال مدة حياته في مكة والمدينة من بين أصحابه من يتقن الكتابة، وكان أول من تولى الكتابة لرسول الله خصوصاً في مجال الوحي هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وواصل ذلك مدّة حياة النبي، وكان النبي يحرص على أن يكتب الإمام علي كل ما ينزل من الوحي؛ كي لا يفوته شيءٌ من الوحي السماوي.

قال سُليم بن قيس الهلالي وهو من التابعين:

جلست إلى علي عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: «**سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها**. فقال ابن الكوّاء[(١)]: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ فقال عليه السلام: **بلى، يحفظ عليَّ ما غبتُ عنه، فإذا قدمت عليه، قال لي: يا عليّ أنزل الله بعدك كذا وكذا، فيقرأنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه**»[(٢)].

وأوّل من تولى كتابة الوحي في المدينة المنوّرة أُبيّ بن كعب

(١) هو عبد الله بن عمرو اليشكري، عالم نسّابة، ومسائلته لأمير المؤمنين عليه السلام معروفة.

(٢) سليم بن قيس، الهلالي، **السقيفة**: ٢١٣ - ٢١٤.

الأنصاري. حيث كان يعلم الكتابة منذ الجاهلية. قال محمّد بن سعد:

كان أُبيّ يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وقال ابن عبد البر:

أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وآله عند مقدمه المدينة أُبيّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: كتبه فلان[٢].

وكان أُبي بن كعب من الذين عرض عليهم النبي الأكرم القرآن بشكل كامل، وكان من جملة الذين حضروا العرض الأخير، ومن هنا تولى رئاسة لجنة توحيد المصاحف في عهد عثمان، وكان رأيه هو المتّبع عند وقوع النزاع والخلاف.

وكان زيد بن ثابت جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة، وكان كاتباً وكان النبي في بداية الأمر إذا غاب أُبيّ بن كعب يرسل إلى زيد ليكتب له، حتى وجد لنفسه موقعاً بين كتّاب الرسول، بل وأمره النبي بتعلم اللغة العبرية ليتولى له ترجمة الرسائل العبرية والإجابة عنها، وكان زيد أكثر الكتّاب ملازمة للنبي صلى الله عليه وآله وكان يتولى في الغالب كتابة الرسائل.

وعليه يمكن القول بأنّ كتّاب الوحي هم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُبيّ

---

(١) **ابن سعد، الطبقات**: ٣، القسم الثاني: ٥٩.

(٢) راجع: **الإصابة**: ١: ١٩، وابن عبد البرّ القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب في حاشية الإصابة**: ١: ٥٠-٥١.

بن كعب وزيد بن ثابت، أما غيرهم من الكتّاب فيأتون بالدرجة الثانية من الأهمية.

قال ابن الأثير:

وكان من المواظبين على كتابة الرسائل، عبد الله بن الأرقم الزهري. وكان الكاتب لعهود رسول الله صلى الله عليه وآله إذا عاهد وصلحه إذا صالح، علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال: وممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وآله، الخلفاء الثلاثة، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة الأسيدي، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحة، ومحمّد بن مسلمة، وعبد الله بن أبي سلول، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وجهم أو جهيم بن الصلت، ومعيقب بن أبي فاطمة، وشرحبيل بن حسنة.

وأضاف:

وأول من كتب له صلى الله عليه وآله من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثمّ ارتدّ ورجع إلى مكّة, فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[1].

ويبدو أنّ هؤلاء من بين القلائل الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة من العرب آنذاك، وكانوا يتولون عند الضرورة أحياناً الكتابة للنبي، إلا أنّ

---

(١) **أُسد الغابة**: ١: ٥٠؛ سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

الكتّاب الرسميين هم الثلاثة المتقدمون، يضاف إليهم زيد بن أرقم.

قال ابن أبي الحديد:

الذي عليه المحققون من أهل السير أنّ الوحي كان يكتبه علي عليه السلام، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأنّ حنظلة بن الربيع التميمي، ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات، وما يقسم في أربابها.[1]

وقد أحصى أبو عبد الله الزنجاني أكثر من أربعين كاتباً للوحي، ويبدو أنّ هذا العدد كان يُلجأ إليه عند الضرورة.

وقد نقل البلاذري في خاتمة «**فتوح البلدان**» عن الواقدي:

دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلّهم يكتب: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وحاطب بن عمرو (أخو سهيل بن عمرو العامري)، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية، وخالد بن سعيد أخوه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وحويطب بن عبد العز العامري، وأبو سفيان بن حرب بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وجهين بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف. ومن حلفاء قريش: العلاء بن الحضرمي.

ومن النساء اللاتي كنّ يعلمن الكتابة في صدر الإسلام: أم كلثوم بنت

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١: ٣٣٨.

عقبة، وكريمة بنت المقداد، والشفاء بنت عبد الله، وقد علّمت الشفاء حفصة الكتابة بأمر من النبي. وكانت عائشة وأم سلمة تعلمان القراءة دون الكتابة.

وكان الكتّاب في المدينة: سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان زيد يعلم الكتابة بالعربية والعبرية، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي، وبشير بن سعد، وسعد بن ربيع، وأوس بن خولّي، وعبد الله بن أُبي[(١)].

وكانت الكتابة في عهد الرسالة تتم بمختلف الطرق وعلى ما يتوفر من أدوات الكتابة، مثل:

١- **العُسُب**، جمع عَسيب، وهو جريد النخل وخشبته الوسطى بعد تجريدها من أوراقها، فيكتب على الجزء المستعرض منها.

٢- **اللخاف**، جمع لخفة، وهي الحصى البيضاء والمستدقة.

٣- **الرّقاع**، جمع رُقعة، وهي قطع من الجلد أو الورق.

٤- **الأُدُم**، جمع أديم، وهو جلد مستحضر لغرض الكتابة عليه.

وبعد الانتهاء من عملية كتابة الآيات، يتم جمع المكتوب وحفظه في بيت النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وأحياناً يرغب بعض الصحابة باقتناء سورة أو آية فيقوم باستنساخها على الرقاع والورق ويحتفظ بها وتبقى في حوزته، وغالباً ما كان يكتبها على ستارة من قماش ويعلقها على الجدار.

---

(١) راجع: أبو الحسن، البلاذري، **فتوح البلدان**: ٤٥٧-٤٦٠.

أما الآيات فكان يتم ترتيبها وتنظيمها في سورة، وكانت كل سورة تبدأ بنزول البسملة وتنتهي بنزول بسملة جديدة، وبذلك يتم التمييز بين السور، ولم يتم في عهد الرسالة أي تنظيم وترتيب بين السور.

قال العلاّمة الطباطبائي:

لم يكن القرآن مؤلفاً في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكن منه سوى سور وآيات متفرّقة في أيدي الناس[1].

(١)الطباطبائي،محمد حسين، **الميزان**: ٣: ٧٨ – ٧٩.

الفصل الثاني:

نزول القرآن

إنّ القرآن هو مجموع الآيات والسور النازلة على النبي الأكرمﷺ قبل الهجرة وبعدها في مناسبات وأسباب مختلفة وعلى مراحل متفرقة، ثم تم جمعه في كتاب. فكان نزول القرآن تدريجياً على شكل آية آية وسورة سورة، واستمر ذلك إلى آخر حياة النبيﷺ فكلما وقعت حادثة أو واجه المسلمون مشكلة ما، أو تساؤلاً ما، نزلت سورة أو بضعة آيات، ومجموع هذه الحوادث والمناسبات تسمى «**أسباب النزول**»، أو «**شأن النزول**»، وأنّ معرفتها ضرورية لفهم الآيات بدقة. وإن نزول القرآن على نحو متفرق وعلى شكل نجوم هو الذي يميّزه من سائر الكتب السماوية الأخرى؛ وذلك لأنّ صحف إبراهيم وألواح موسى عليهما السلام، نزلتا دفعة واحدة، ومن هنا أشكل المشركون على نزول القرآن بشكل مختلف عن نزول الكتب السماوية السابقة، كما حكى القرآن عنهم ذلك بقوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ...**﴾، فقال تعالى في الإجابة عن تساؤلهم هذا: ﴿**كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾[1].

وجاء في موضع آخر: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْث وَنَزَّلْنَاهُ**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

تَنْزِيلاً﴾(١).

إنّ الحكمة من نزول القرآن بالتدريج، هي أن يستشعر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمسلمون أنهم تحت رعاية الله وأن العلاقة بينهم وبين الله تعالى قائمة على الدوام، مما يؤدي إلى تثبيت أفئدتهم، قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾**(٢). وقد كان هذا النوع من التثبيت المتواصل للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله كثير وقد تمت الإشارة إليه في الكثير من مواطن القرآن الكريم.

بداية النزول

كانت بداية نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان، وهذا ما يؤكده القرآن في قوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانِ﴾(٣).

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة مُبَارَكَة إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم﴾(٤).

﴿إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٥).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣ـ ٤.

(٥) سورة القدر، الآية: ١.

وتتردد ليلة القدر عند الإمامية بين: الحادية والعشرين، والثالثة والعشرين من شهر رمضان، فقد روى الكليني عن حسّان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سألته عن ليلة القدر فقال: «التمسها في ليلة إحدى وعشرين، أو ليلة ثلاث وعشرين».

وعن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«التقدير في ليلة تسع عشر، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»[1].

وقال الشيخ الصدوق: (اتفق مشايخنا على أنها ليلة ثلاث وعشرين)[2].

سنوات الفترة وانقطاع الوحي

كانت بداية نزول الوحي الرسالي والبعثة في السابع والعشرين من شهر رجب، وذلك قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة (٦٠٩ م)[3]. ولكن نزول القرآن

---

(١) محمّد بن الحسن، الحر العاملي، **وسائل الشيعة**: ٧، أبواب أحكام شهر رمضان: الباب٣٢، الحديث١و٢، والشيخ الطوسي، **التهذيب**: ٤: ٣٣٠، رقم: ١٠٣٢.

(٢) الشيخ الصدوق، **الخصال**: ٢: ١٠٢، و**التمهيد**: ١: ١٠٨-١٠٩.

(٣) هناك الكثير من الروايات في بيان حدوث البعثة في السابع والعشرين من شهر رجب، وقد حث على الإتيان بعبادات وأعمال مخصوصة، لما في ذلك اليوم من البركات والنعم. (راجع: ابن الشيخ، **الأمالي**: ٢٨. **الكافي**: ٤: ١٤٩، و**بحار الأنوار**: ١٨: ١٨٩. **وسائل الشيعة**: ٧، أبواب الصوم المندوب، الباب ١٥، الحديث: ١-٧. **مناقب ابن**

بوصفهِ كتاباً سماوياً قد حدث بعد ذلك بثلاث سنوات، وتسمى هذه السنوات الثلاث بـ (الفترة) وكان النبيﷺ في هذه المدة يقوم بدعوته السرية، حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1]، إنذاراً بإعلان الدعوة[2].

قال أبو عبد الله الزنجاني:

بعد نزول قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾، انقطع نزول الوحي لثلاث سنوات، وتسمى هذه المدّة بـ «فترة الوحي». ثم أخذ القرآن بعدها ينزل تدريجاً، مما أثار اعتراض المشركين[3].

شهرآشوب: ١: ١٥٠. **السيرة الحلبية**: ١: ٢٣٧. **منتخب كنز العمال في حاشية مسند أحمد**: ٣: ٣٦٢. ولكن لأبي جعفر الطبري الآملي(٢٢٤-٣١٠) رواية ترى بداية البعثة في اليوم السابع عشر من رمضان استناداً لقوله تعالى في الآية الحادية والأربعين من سورة الأنفال: **﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾**؛ ذلك لأنّ هذه الآية تتحدث عن واقعة بدر وقد صادف وقوعها في نفس هذا اليوم من السنة، ويبدو أن أبا عبد الله الزنجاني قد وافقه على ذلك (**تاريخ القرآن**: ٧). إلا أنّ الآية الكريمة لا تتحدّث عن أكثر من نزول آيات من القرآن في الأنفال وغيرها من الأُمور المتعلقة بالحرب، دون أن تكون ناظرة إلى بداية نزول القرآن أو البعثة في مثل هذا اليوم، **التمهيد**: ١: ١٠٦.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) **سيرة ابن هشام**: ١: ٢٨٠؛ أبو الحسن علي بن إبراهيم، والقمي: **تفسير القمي**، ذيل الآية الرابعة والتسعين من سورة الحجر. **المناقب**، لابن شهرآشوب: ١: ٤٠.

(٣)الزنجاني، أبو عبد الله، **تاريخ القرآن**: ٩.

مدة النزول

وقد استمر نزول القرآن التدريجي لمدة عشرين سنة، ابتداءً من السنة الثالثة بعد البعثة وانتهاءً بوفاة النبي الأكرمﷺ، فقد روى أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٨ هـ) حديثاً عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله الصادق‌عليه‌السلام قال:

سألته عن قول الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وإنما أُنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره.(١)

كما نقل محمّد بن مسعود العياشي السمرقندي (ت: ٣٢٠ هـ) عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبي عبد الله جعفر الصادق‌عليه‌السلام قال:

سألته عن قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ كيف أُنزل فيه القرآن، وإنما أُنزل القرآن في طوال عشرين سنة؟(٢).

وروى علي بن إبراهيم القمي:

سئل الإمام الصادق‌عليه‌السلام عن شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، كيف كان، وإنما أُنزل القرآن في طول عشرين سنة؟(٣).

فقال‌عليه‌السلام في جميع هذه الروايات: «... ثمّ نزل في طول عشرين

(١) أصول الكافي: ٢: ٦٢٨، الحديث: ٦.

(٢) تفسير العياشي: ١: ٨٠، الحديث: ١٨٤.

(٣) تفسير القمي: ١: ٦٦.

عاماً...»[١].

وهذا هو الذي مال إليه كل من ابن بابويه الصدوق[٢]، والعلاّمة المجلسي[٣]، والسيد عبد الله شبر[٤]، وغيرهم[٥].

وقال سعيد بن المسيَّب (ت: ٩٥ هـ) وهو من كبار التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة:

نزل القرآن على النبي الأكرمﷺ وهو في سن الثالثة والأربعين[٦].

وهذا غير البعثة الشريفة التي حصلت بإجماع الأمة في سنّ الأربعين. ونقل الواحدي النيسابوري عن عامر بن شراحيل الشعبي، وهو من فقهاء وأُدباء التابعين (٢٠-١٠٩ هـ) أنّه قال: (نزل القرآن على لسانه عشرين سنة)[٧]، كما نقل أحمد بن حنبل عنه أنه قال:

---

(١) واضح أنّ هذا المقدار من كلام الإمامعليه السلام لا يصلح جواباً عن الأسئلة الآنفة، والجواب الكامل الذي روي في جميع المصادر المتقدمة هو كالآتي: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ أُنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة». والذي دعا المصنف إلى عدم ذكر الجواب كاملاً هو تعارضه مع ما يتبناه من عدم نزول القرآن جملة واحدة. المترجم.

(٢) الشيخ الصدوق، **الاعتقادات**: ١٠١.

(٣) **بحار الأنوار**: ١٨: ٢٥٠ و٢٥٣.

(٤) عبد الله، شبّر، **تفسير شبّر**: ٣٥٠.

(٥) السيوطي ،جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**: ١: ٤٠.

(٦) الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**: ٢: ٦١٠.

(٧) علي بن أحمد، الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**: ٣.

(إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة... فلما مضت ثلاث سنين، قرن بنبوّته جبرائيل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة)، قال أبو الفداء المعروف بابن كثير: (إسناده صحيح بأكمله)[(١)].

وروى أبو جعفر الطبري عن عكرمة أنّ ابن عباس قال: (**فكان بين أوله وآخره عشرون سنة**)[(٢)]، وروى أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) عن محمّد بن إسماعيل البخاري حديثاً عن ابن عباس وعائشة أنّهما قالا: (**لبث النبي بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً**). ونقل رواية العشرين سنة لنزول القرآن عن أبي عبيدة القاسم بن سلام، ثم قال في آخر كلامه: (**هذا إسناد صحيح**)[(٣)].

وهنا ترد ثلاثة أسئلة:

١ـ كيف كان نزول القرآن أو بداية نزوله في ليلة القدر، رغم أنّ بعثة النبي قد حصلت في السابع والعشرين من شهر رجب بنزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق؟

٢ ـ كيف نزل القرآن في ليلة القدر، في حين أنّه نزل نجوماً في عشرين سنة وفي مناسبات مختلفة وحوادث متفرقة؟

---

(١) الصحيح أنه قال: «وهو إسناد صحيح إلى الشعبي»، المترجم. راجع: ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**: ٣: ٤. **الاتقان**: ١: ٤٥. **طبقات ابن سعد**: ١: ١٢٧.

(٢) **تفسير الطبري**: ٢: ٨٥.

(٣) ابن كثير، **فضائل القرآن**، (طبع في نهاية تفسير ابن كثير)، ص٢.

٣ ـ أي آيات أو سورة كانت هي الأولى نزولاً على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وإذا كانت أول الآيات نزولاً هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، فما هو وجه تسمية سورة الحمد بـ «فاتحة الكتاب»؟

أمّا الإجابة عن **السؤال الأول والثالث** فواضحة؛ لأنّ نزول القرآن ـ كما تمّت الإشارة له ـ قد حصل بعد البعثة بثلاث سنوات، أما السنوات الثلاث الأولى من البعثة فقد كانت الدعوة فيها تتم على نحو سرّي، ولم يكن هناك من كتاب للدين الإسلامي حتى نزل قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**...﴾ وأمر النبي صلى الله عليه وآله بالجهر وإعلان الدعوة، وبدأ القرآن بالنزول[1]. وأما سبب تسمية الحمد بـ «فاتحة الكتاب»، فإن كان ذلك قد حدث في عهد النبي صلى الله عليه وآله[2]؛ فلكونها أول سورة نزلت على نحوٍ كامل، فقد جاء في بعض الروايات: أنّ جبرائيل عليه السلام قد علّم النبي منذ اليوم الأول من البعثة صورة الصلاة والوضوء طبقاً للشريعة الإسلامية. وهذا دليل نزول الفاتحة بأكملها؛ إذ «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**»، كما نصّ على ذلك الحديث؛ وعليه لابد من أن تكون السورة المذكورة قد نزلت كاملة[3].

وأما بالنسبة إلى **السؤال الثاني**، فقد كثرت الأقوال واختلفت الآراء،

---

(١) راجع: **التمهيد**: ١: ١٠٨ فما بعد.

(٢) ويحتمل أن تكون هذه التسمية قد أطلقت على سورة الحمد بعد رحلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبعد ما تمّ جمع القرآن في مصحفٍ واحد، باعتبار وقوعها في بداية المصحف.

(٣) **التمهيد، للمؤلف**: ١: ١١٠.

وخلاصتها على النحو الآتي:

الرأي الأول: أنّ بداية نزول القرآن كانت في ليلة القدر، كما يبدو من ظاهر قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ وهذا الرأي هو الذي اختاره أكثر المحققين، حيث أنّ المعاصرين لنزول القرآن لم يفهموا من مفردة القرآن إرادة جميع القرآن، بعد أن كان ينزل عليهم تدريجياً وتباعاً؛ ولذلك قال أكثر المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية: «...أي بدء نزول القرآن فيه»[1]. إلا أولئك الذين يتعبدون بظاهر الروايات[2]. ليس للروايات حجية تعبدية فيما يتعلق بتفسير القرآن؛ لأنّ مجال التعبد هو العمل دون العقيدة والفهم، خصوصاً إذا كانت مخالفة لظاهر اللفظ واحتاجت إلى التأويل. مضافاً إلى أنّ هذا القرآن بألفاظه وعباراته وخصوصياته لا يمكن

---

(١) قال الزمخشري: (...ومعنى ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ابتدأ فيه إنزاله)، **الكشاف**: ١: ٢٢٧. وقال البيضاوي: (... أي ابتدأ فيه إنزاله...)، **أنوار التنزيل**: ١: ٢١٧. وقال الشيخ محمّد عبده: (المراد بإنزال القرآن فيه، بدؤه وأوله)، **تفسير المنار** ٢: ١٥٨. وقال المراغي: (أي هذه الأيام هي شهر رمضان الذي بدأ فيه بإنزال القرآن)، **تفسير المراغي**٢: ٧٣. وقال ابن شهراشوب: (القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق، وإنّما يفيد الجنس، فأيّ شيءٍ نزل فيه فقد طابق الظاهر)، **متشابهات القرآن**: ١: ٦٣، وأيضاً يقول:(شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن أي ابتدأ نزوله) **المناقب** ١: ١٥٠ وهكذا قال المفيد في **شرح العقائد/ تصحيح الاعتقاد**: ٥٨. والسيد المرتضى في **أجوبة المسائل الطرابلسيات الثالثة** ضمن المجموعة الأولى من رسائل الشريف المرتضى: ٤٠٣ـ ٤٠٥.

(٢) **تفسير الصافي**، المقدمة التاسعة، وكنز **الدقائق**، لمشهدي: ١: ٤٣٠. **تفسير العياشي**: ١: ٨٠، و**تفسير القمي**: ١: ٦٦.

أن يكون قد نزل في ليلة واحدة، إلا إذا عمدنا إلى التصرف والتأويل. فقد تحدث القرآن عن ماضٍ يعد مستقبلاً بعيداً بالنسبة إلى الليلة الأولى من القدر، من باب المثال:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَة وَيَوْمَ حُنَيْن إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا...﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَتَحْزَنْ أَنّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكاذِبِينَ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُوا لاَتَنْفِرُوا فِي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ و٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

الْحَرِّ...﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ....**﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ...**﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا...**﴾(٥).

وما إلى ذلك من الآيات القرآنية التي تخبر عن الماضي، ولو كان نزولها قد حدث في ليلة القدر (أول ليلة قدر)، لوردت بصيغة المستقبل (المستقبل البعيد)، وإلا لخرج الكلام عن حالة الصدق وابتعد عن الحقيقة؛ وذلك لأنّ هذه الآيات ناظرة إلى حوادث ستقع في المستقبل، ولو أنّ جميع الآيات قد نزلت جملة واحدة؛ كان معنى ذلك أنّ القرآن يخبر عن أمور قبل وقوعها وحدوثها وعليه لابد لنا من القول: لم يكن مراد القرآن من هذه

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١.

الكلمات جدّياً، ونحن ننزه الله من ذلك[1].

مضافاً إلى الاستدلال المتقدم، هناك في آيات القرآن ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومبهم ومبيّن، وأن مقتضى النسخ تأخر الناسخ عن المنسوخ من الناحية الزمنية، وهكذا بقية القيود، خصوصاً بيان المبهمات حيث يفرض المنطق وطبيعة الأشياء تأخرها زمنياً، إذن من غير المعقول أن يكون القرآن قد نزل جملة واحدة، وحتى قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...**﴾ وغيرها من الآيات المشابهة تتحدث عن الماضي، بحيث لا تشمل الآيات المذكورة آنفاً. إذن هذه الآيات لا تتحدث عن شيءٍ آخر غير الإخبار عن مضمون نفسها وهو بدء نزول القرآن.

توضيح ذلك: أنّ هذه الآيات هي بنفسها من أجزاء القرآن، فإذا تحدثت عن جميع القرآن وكونه نزل في ليلة القدر؛ تكون ضمناً قد تحدثت عن نفسها، ولازم ذلك أن تكون هي أيضاً قد نزلت في ليلة القدر ويجب أن ترد بصيغة «**الذي ينزل**» أو «**إنا ننزله**» ليكون حكاية عن الزمان الحاضر، إلا أنّ هذه الآيات تتحدث عن غيرها من الآيات، وهذا لا يؤدّي بنا إلا إلى القول بأنّ المراد من النزول في ليلة القدر هو بدء النزول، لا أنّ

---

(١) إلا أنّ هذا ليس على إطلاقه، فقد اعتاد العرب على استعمال الماضي وإرادة المستقبل وعدّوا ذلك من أساليب البلاغة لإظهار الأمر واقعاً قبل تحققه تأكيداً على حتميته، من ذلك أن يسأل السائل: ما هو حكم من صام في السفر؟ فيقال له في الجواب: أعاد الصوم، ولا شك في أنّ المراد: يعيد الصوم، والأمثلة على ذلك كثيرة، المترجم.

القرآن بأجمعه من بدايته إلى نهايته قد نزل في هذه الليلة[١].

قال الشيخ المفيد في تعليقه على مذهب الشيخ الصدوق حيث افترض نوعين من النزول للقرآن: دفعي وتدريجي:

الذي ذهب إليه أبو جعفر في هذا الباب، أصله حديث واحد لا يوجب علماً ولا عملاً، ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً فحالاً يدلّ على خلاف ما تضمّنه هذا الحديث، وذلك أنّ القرآن قد تضمّن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلا لوقت حدوثه عند السبب، مثلاً تحدّث الله عن مقالة المنافقين فقال: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]. أو ينقل كلام المشركين، فيقول: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَا لَهُم بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾[٣]. وهذا النوع من الإخبار عن الماضي لا يمكن صدوره قبل زمان

---

(١) وهذا يرده أيضاً أنّ الذي ينفعل بالمتغيرات الزمنية هي الممكنات، دون واجب الوجود الذي هو فوق الزمن بل خالقه، مضافاً إلى أنّ مسألة الناسخ والمنسوخ في علم الله تعود إلى البداء عند الله بمعناه الصحيح، فقد ثبت في محله أن الله تعالى حينما يحكم بشيء ثم ينسخه فيما بعد، لا يكون نسخه اللاحق لتجدد في علمه، معاذ الله؛ لكونه عالماً بالنسخ من حين إصدار الحكم المنسوخ؛ وقد أخفى ذلك لحكمة يعلمها، وعليه يكون من الطبيعي أن يخصّ الله نبيه بمعرفة الناسخ والمنسوخ في آنٍ واحد.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

وقوعه، ولذلك نظائر كثيرة في القرآن الكريم[(١)].

وقال السيد المرتضى علم الهدى:

والذي ذهب إليه أبو جعفر ابن بابويه من القطع على أنه أنزل جملة واحدة... إن كان معتمداً في ذلك على الأخبار المروية التي رواها، فتلك أخبار آحاد لا توجب علماً، ولا تقتضي قطعاً، وبإزائها أخبار كثيرة أشهر منها وأكثر، تقتضي أنه أنزل متفرّقاً، وأنّ بعضه بمكة وبعضه بالمدينة... وأنه صلى الله عليه وآله كان يتوقف عند حدوث حوادث كالظهار وغيره على نزول ما ينزل إليه من القرآن... فأما القرآن نفسه فدلّ على ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ وقد أجمع المفسرون على أنّ المراد من جملة (كذلك) أي: متفرّقاً[(٢)].

الرأي الثاني: هناك من ذهب إلى أنّه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله في ليلة القدر من كل عام بمقدار ما كانت تمسّ إليه الحاجة في ذلك العام جملة واحدة، ثم ينزل هذا المقدار متفرقاً على أيام تلك السنة بحسب الحاجة والمناسبات، وعلى هذه الفرضية يكون المراد من شهر رمضان الذي نزل فيه القرآن ـ وكذلك ليلة القدر ـ ليس رمضاناً واحداً أو ليلة قدرٍ واحدة،

---

(١) محمّد بن النعمان، الشيخ المفيد، **تصحيح الاعتقاد**: ٥٧ و٥٨.

(٢) **رسائل المرتضى**: المجموعة ١، جواب المسائل الطرابلسيات: ٣: ٤٠٣-٤٠٥. سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

وإنما جميع أشهر رمضان وليالي القدر من بدء البعثة وحتى نهايتها، أي أنّ المراد هو النوع دون الشخص. وهذا الرأي هو المنسوب إلى عبد الملك بن عبد العزيز جرُيح (ت: ١٥٠ هـ)، ووافقه عليه غيره من العلماء(١). وهذا الرأي يتنافى وظاهر التعبير القرآني ـ كما تقدم ـ وترد عليه جميع الإشكالات الواردة على الرأي الخامس كما سيأتي.

الرأي الثالث: إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿**أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ**﴾ أي: أُنزل في شأنه أو في فضله القرآن. قال سفيان بن عيينة (ت:١٩٨ هـ): (**معنى الآية: أُنزل في فضله القرآن**). وقال الضحاك بن مزاحم (ت:١٠٦ هـ) : (**أنزل في صومه في القرآن**)، وذهب إليه آخرون(٢). وطبعاً هذا الرأي إنما ينسجم مع آية ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ من سورة البقرة، ولا ينسجم مع آيتي سورة الدخان ولا يتناسب مع سورة القدر.

الرأي الرابع: إنّ أكثر آيات القرآن قد نزلت في شهر رمضان، وهو ما احتمله بعض العلماء مثل: سيد قطب(٣)، ولكن لا يوجد دليل على ذلك، مضافاً إلى أنّ هذا الرأي يختص بالآية الواردة في سورة البقرة دون سورة القدر والدخان حيث تقولان: ﴿**إِنّا انزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾، و﴿**إِنّا أَنزلْنَاهُ فِي**

---

(١) **التفسير الكبير**، الرازي: ٥: ٨٥. **الدر المنثور**: ١: ١٨٩. **تفسير الطبرسي**: ٢: ٢٧٦؛ **والإتقان**: ١: ٤٠.

(٢) **تفسير الطبرسي**:١: ٢٧٦. **الكشاف**:١: ٢٢٧. **الدر المنثور**:١: ١٩٠، **والتفسير الكبير**، للرازي: ٥: ٨٠.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ٢: ٧٩.

لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾.

وعليه لا يمكن قبول أيٍّ من هذه الآراء الثلاثة الأخيرة.

الرأي الخامس: هناك من يذهب إلى أنّ للقرآن نوعين من النزول وهما: الدفعي والتدريجي. بمعنى أنّ الذي نزل في ليلة القدر هو القرآن بجميع آياته وسوره، وربما كان هذا هو أشهر الآراء عند أهل الحديث، ومنشأ ذلك روايات تذكر هذا التفصيل، وهناك من أخذ بظاهر هذه الروايات وهناك من قام بتأويلها. قال جلال الدين السيوطي:

> **هذا هو أصح الأقوال وأشهرها، وقد دلّت عليه الكثير من الروايات. وقد روي عن ابن عباس: أُنزل القرآن ليلة القدر جملة واحدةً إلى السماء الدنيا ووضع في بيت العزة ثم أُنزل نجوماً على النبيصلى الله عليه وآله في عشرين سنة[1].**

وفقاً لروايات أهل السنّة فإنّ القرآن قد نزل جملة واحدة إلى السماء الأولى (أقرب السماوات إلى الأرض)، ثم أُودع في «**بيت العزة**»، وأما في روايات الشيعة فإن القرآن قد نزل من العرش إلى السماء الرابعة، ثم أُودع في «**البيت المعمور**»، وذهب الشيخ الصدوق إلى اعتبار ذلك جزءاً من عقائد الإمامية:

> **نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر جملةً واحدة إلى البيت المعمور في السماء الرابعة، ثم نزل من البيت المعمور في مدّة**

---

(١)السيوطي، جلال الدين، **الإتقان**: ١: ٣٩-٤٠.

عشرين سنة، وأنّ الله أعطى نبيّه العلم جملةً[(١)].

وإن كان أهل الظاهر يكتفون بظاهر هذه الروايات، إلا أنّ أهل التحقيق عمدوا إلى تأويلها لما فيها من الإشكالات الآتية:

ما هي الحكمة والمصلحة من نزول القرآن من العرش إلى السماء الأولى أو الرابعة وإيداعه في بيت العزة أو البيت المعمور؟ وما هي فائدة هذا النزول للناس وللنبيﷺ حتى يذكره الله بمثل هذه القوّة والعظمة؟

إنّ ما هو المقروء من القرآن هي آياته وسوره ومعانيه ومفاهيمه التي تهدي الناس إلى سواء السبيل، فهل في نزوله في ليلة القدر إلى السماء الأولى فضيلة أو مكسب للناس؟

وقد أجاب الفخر الرازي عن ذلك قائلاً:

ويحتمل أن يكون ذلك تسهيلاً على جبرائيل أو لمصلحة النبيﷺ في توقع الوحي من أقرب الجهات[(٢)].

إلا أنّ هذه الإجابة لا تتناسب والمقام العلمي الشامخ للفخر الرازي، إذ لا وجود للقرب والبعد المكاني في الملأ الأعلى (ما وراء الطبيعة).

وقد ذكر العلماء للنزول الدفعي والتدريجي للقرآن توجيهات هي أقرب إلى تأويل الأحاديث، نشير فيما يأتي إلى بعضها:

---

(١)الصدوق، **الاعتقادات**: الباب: ٣١.

(٢) **التفسير الكبير**، الرازي: ٥: ٨٥.

١ـ إنّ المراد من النزول الدفعي للقرآن على النبي الأكرمﷺ في ليلة القدر هو إحاطته علماً بالمحتوى العام للقرآن. وقد ورد هذا التأويل في كلام **الشيخ الصدوق**، حيث قال: (... وإن الله أعطى نبيّه العلم جملة) أي: أن القرآن لم ينزل على النبي في ليلة القدر بألفاظه وعباراته، وإنما أعطي العلم بمحتواه فقط وقد علم النبي بهذا المحتوى على نحو إجمالي.

٢ـ ذهب **الفيض الكاشاني** إلى تفسير البيت المعمور بقلب النبيﷺ؛ وذلك لأنّ قلبه الشريف هو بيت الله المعمور الواقع في السماء الرابعة. حيث تخطى النبي مراتب الجماد والنبات والحيوان وبلغ قمة المرتبة الرابعة التي تعني عالم الإنسانية، ومن ثم أخذ القرآن ينزل طوال عشرين سنة ويجري من قلبه على لسانه الشريف بمقدار ما يتلوه عليه جبرائيل[١]. وهذا التفسير أيضاً لا يحل المشكلة، لأنه لا يثبت نوعين من النزول، وإنما أقصى ما يثبته هو الإحاطات العلمية العامة.

٣ ـ وقال **أبو عبد الله الزنجاني**: إنّ روح القرآن التي تحمل أهدافه العامة العالية هي التي نزلت في تلك الليلة على قلب النبي الأكرمﷺ، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ**﴾، ثم جرى على لسانه طوال سنوات البعثة؛ ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْث وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾[٢].

---

(١) محسن، الفيض الكاشاني، **تفسير الصافي**: ١: ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

٤- وقد ذكر **العلاّمة الطباطبائي** هذا التأويل وتناوله بتحقيق أفضل:

إنّ الكتاب ذو حقيقةٍ أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفريق والتفصيل والانبساط والتدريج هو المصحح لكونه واحداً غير تدريجي ونازلاً بالإنزال دون التنزيل. وهذا الاحتمال هو الظاهر من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيم خَبِير﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَـبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَاب مَكْنُون * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَـب فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْم﴾[4]. إذن فالمراد بإنزال القرآن في ليلة القدر، إنزال حقيقة الكتاب المتوحّدة إلى قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه دفعة، كما أنزل القرآن المفصّل في فواصل وظروف على قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أيضاً تدريجياً في مدّة الدعوة النبوية[5].

إنّ هذا النوع من التأويلات، حسن وجيد لو كان هناك ما يقتضيه وتوفر له سند يثبته. ومن جهة أخرى فإن ظاهر آيات القرآن هو هذا القرآن

---

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧-٧٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.

(٥) **الميزان**: ٢: ١٥-١٦.

الذي بين أيدينا، ولا يتحدث عن حقيقة أخرى خفية وبعيدة عنّا ولا نعرفها.

إنّ الله إنما يستعرض نزول القرآن في ليلة القدر وشهر رمضان؛ لبيان عظمة هذا الشهر وهذه الليلة، كما ينبغي أن يكون هذا مفهوماً للسامع وأن يكون الحديث عن قرآن معروف للناس، هذا مضافاً إلى عدم جدوائية الإخبار عن نزول (قرآن باطني) من مرتبته العليا إلى مرتبة دنيا، مع بُعد كلا المرتبتين عن متناول الناس وحتى النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فأي فائدة يمكن أن تجنى من ذلك؛ ليتم الحديث عنه بهذا المستوى من التفخيم والتعظيم. وعليه فإن هذه التأويلات إنما تكون مناسبة ومقبولة إذا تمّ إثبات أصل الموضوع وإذا أردنا تفسير هذه الآيات، فإن هذا النوع من التأويلات لن يكون مجدياً، وأنّ الآيات المذكورة تفيد بداية نزول القرآن.

أول آية وسورة نزلت من القرآن

هنا ك ثلاثة آراء في بيان أول ما نزل من الآيات والسور، وهي:

١- هناك من يذهب إلى أنّ أول الآيات نزولاً هي الآيات الثلاث أو الخمس الأولى من سورة العلق، والتي نزلت مقارنة لبداية البعثة عندما نزل الملك (جبرائيل) مبشراً إيّاه بالنبوّة قائلاً: ﴿**إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾(١). وروي عن الإمام جعفر الصادقعَلَيْهِالسَّلَامُ أنه قال:

---

(١) راجع: **التفسير المنسوب للإمام العسكري**عَلَيْهِالسَّلَامُ: ١٥٧. **بحار الأنوار**: ١٨: ٢٠٦، ح: ٣٦. **تفسير البرهان**: ٢: ٤٧٨. **صحيح مسلم**: ١: ٩٧. **صحيح البخاري**: ١: ٣.

أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك... وآخر ما نزل عليه: إذا جاء نصر الله..﴾(١).

٢- وهناك من يرى أنّ أول السور نزولاً هي سورة المدثر، روي عن ابن سَلمَة أنه قال:

سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أيّ القرآن اُنزلَ قبل؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، قلت: أو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّ﴾؟ قال: «أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله»: «إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، ثمّ نظرت إلى السماء، فإذا هو [جبرائيل]؛ فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ﴾»(٢).

فاستفاد جماعة من هذه الراوية في أنّ هذه السورة هي أول سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وآله في بداية الوحي(٣). ولكن متن الحديث لا يشير إلى شيءٍ من ذلك وإنما هو مجرد استنتاج من قبل جابر بن عبد الله، وربما حدث ذلك بعد مدة من البعثة وذلك لانقطاع الوحي بعد البعثة طوال مدة (الفترة) ثم استؤنف نزوله ثانية، والشاهد على هذا المدعى رواية أخرى عن جابر بن عبد

(١) **أصول الكافي**: ٢: ٦٢٨. **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: ٢: ٦. **بحار الأنوار**: ٩٢: ٣٩.

(٢) **صحيح مسلم**: ١: ٩٩. راجع: الإمام أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**: ٣: ٣٠٦.

(٣) راجع: الزركشي، بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**: ١: ٢٠٦.

الله الأنصاري عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله تحدث فيها عن فترة الوحي جاء فيها:

سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يُحدّث عن فترة الوحي، قال:« فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيّ بين السماء والأرض، فرجعت فقلت: زملوني زملوني؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❖ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، ثمّ تتابع الوحي»[1].

٣- هناك من يرى أنّ الفاتحة هي أول السور نزولاً، قال الزمخشري:

أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل. وروى العلاّمة الطبرسي عن الأستاذ أحمد الزاهد في كتابه (الإيضاح) بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالبعليه السلام أنه قال: «سألت النبيصلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بثوابه سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكة (فاتحة الكتاب)، ثمّ ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ثمّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾»[2].

وروى الواحدي النيشابوري في (أسباب النزول) حول بداية البعثة:

كان رسول الله إذا خلى وحده سمع نداءً فيفزع له، وللمرّة الأخيرة ناداه الملك: يا محمّد، قال: لبيك، قال: قل: ﴿بِسْمِ اللّهِ

---

(١) صحيح البخاري: ١: ٤. صحيح مسلم: ١: ٩٨. راجع: مسند أحمد: ٣: ٣٢٥.

(٢) تفسير الطبرسي: ١٠: ٤٠٥. راجع: الكشاف: ٤: ٧٧٥.

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[(١)].

لا شكّ في أنّ النبيصَلَّاللّهُعَلَيْهِوَآلِه كان طبقاً للشريعة الإسلامية يصلي منذ بعثته، وكان يصلي معه: علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة، ولا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب. وقد جاء في الحديث أنّ أوّل ما بدأ به جبرائيل أن علمه الوضوء والصلاة. فلابد أنّ سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة. قال جلال الدين السيوطي:

(لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب)[(٢)].

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة؛ نظراً لأنّ الآيات الثلاث أو الخمس الأولى من سورة العلق إنما نزلت تبشيراً بنبوّتهصَلَّاللّهُعَلَيْهِوَآلِه وعلى هذا إجماع أهل الملة. ثمّ نزلت عليه آيات من سورة المدّثر. أما الفاتحة فهي أول سورة نزلت بصورة كاملة، ولم يكن لبضعة آيات من سورة العلق أو سورة المدّثر صفة السورة في بدء الأمر، وإنما حصلت على هذه الصفة بعد اكتمال نزول آياتها؛ ولذلك لا مانع من القول بأن أول سورة كاملة نزلت هي سورة الحمد، وسميت بـ «**فاتحة الكتاب**»، وأنّ فرضها في الصلاة يعبّر عن أهميتها، حتى جعلت عدلاً للكتاب، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾**[(٣)]، والسبع المثاني هي الحمد؛ لاشتمالها على

---

(١) أسباب النزول: ١١.

(٢) الإتقان: ١: ١٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

سبع آيات. إذن لو اعتبرنا نزول الآيات؛ كانت العلق هي السورة الأولى، وتقع الحمد في الترتيب الخامس، وأما إذا اعتبرنا نزول السور بشكل كامل؛ كانت سورة الحمد هي الأولى.

آخر الآيات والسور نزولا

جاء في الروايات المأثورة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام: أنّ آخر ما نزل سورة النصر، حيث تبشر في ظاهرها بانتصار الإسلام نهائياً، وأن دعائمه قد ترسّخت وأصبحت قائمة ومحكمة، إذ بدأ الناس باعتناق الإسلام جماعات جماعات ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

ولما نزلت هذه السورة فرح الصحابة واستبشروا، سوى العباس بن عبد المطلب، حيث غمّه نزولها وبكى. فقال له النبي: «ما يبكيك يا عمّ؟» قال: «أظنّ أنه قد نعيت إليك نفسك يا رسول الله، فقال: «إنه لكما تقول»، وعاشصلى الله عليه وآله بعدها سنتين[(1)].

قال الإمام الصادقعليه السلام: «آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾»[(2)]. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: آخر سورة نزلت: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾. وروي أيضاً أنّ آخر سورة نزلت (البراءة)حيث نزلت آياتها الأولى في السنة التاسعة من الهجرة، فبعث بها النبي مع

---

(١) تفسير الطبرسي: ١٠: ٥٥٤.

(٢) تفسير البرهان: ١: ٢٩.

علي عليه السلام ليقرأها على ملأ من المشركين[1].

وجاء في كثيرٍ من الروايات:

أنّ آخر آية نزلت على رسول الله هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2]. حيث نزل بها جبرائيل وقال: «ضعها بين آيات الربا وآية الدين، أي بعد الآية مئتين وثمانين من سورة البقرة». وعاش النبي بعدها واحداً وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام[3].

وذكر أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح اليعقوبي (المتوفى بعد عام ٢٩٢) في تاريخه:

(قيل: إنّ آخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[4]، ثمّ قال: وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة، وكان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب بغدير خم)[5].

أجل، لا شك في أنّ سورة النصر قد نزلت قبل (البراءة)، حيث نزلت في عام فتح مكة (عام الفتح) أي في العام الثامن للهجرة، وطريق الجمع بين

---

(١) **تفسير الصافي**: ١: ٦٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٣) **تفسير شبّر**: ٨٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) **تاريخ اليعقوبي**: ٢: ٣٥.

هذه الروايات بأن نقول: أنّ آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر، وآخر سورة نزلت باعتبار مفتتحها هي سورة براءة. وأما آية: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ**﴾ فإن صحّ أنها نزلت بمنى يوم النحر في حجّة الوداع كما جاء في رواية الماوردي[1]؛ فلا يمكن أن تكون هي الأخيرة؛ لأنّ آية (الإكمال) نزلت على النبي بعد عودته من حجة الوداع وفي أثناء الطريق في موقع غدير خم؛ وعليه يبدو أنّ ما قاله ابن واضح اليعقوبي هو الأصح؛ لأنّ سورة براءة قد نزلت بعد فتح مكة في العام التاسع من الهجرة، في حين نزلت سورة المائدة في العام العاشر للهجرة (سنة حجة الوداع). يضاف إلى ذلك أنّ المائدة مشتملة على سلسلة من الأحكام التي تعلن عن وقف القتال واستقرار الإسلام، خاصة وأنّ آية (الإكمال) التي تنذر بانتهاء الوحي تناسب وجودها في آخر سورة. إذن فإن آخر سورة كاملة هي سورة النصر حيث نزلت في عام الفتح، وآخر آية هي آية الإكمال، ويحتمل بالنظر إلى آيات الأحكام أن تكون آية: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ**﴾ هي الأخيرة.

السور المكية والمدنية وفوائد معرفتها

إنّ من المسائل المهمة في العلوم القرآنية، هي معرفة السور المكية والمدنية، وأنّ تحديد المكي والمدني من السور ضروري للأمور الآتية:

١- إنّ معرفة تاريخ وتسلسل الآيات والسور ونزولها التدريجي إنما يكون من خلال معرفة السور المكية والمدنية، ويعد ذلك من الأهداف

(١) البرهان: ١: ٢١٠.

التاريخية المهمة، فما فتئ الإنسان يبحث في كل ظاهرة تاريخية للوقوف على ظرف تحققها، وأسباب ظهورها، وبذلك نشأ علم التاريخ.

٢- إنّ فهم محتوى الآية يلعب دوراً أساسياً في الاستدلال الفقهي واستنباط الأحكام الشرعية، فقد تبدو الآية في ظاهرها مشتملة على حكم شرعي إلا أنّ نزولها في مكة يضطرنا إلى تأويلها أو تفسيرها على خلاف ظاهرها، بالنظر إلى عدم تشريع ذلك الحكم في المرحلة المكية، فمثلاً وقع الكلام بين الفقهاء في مسألة تكليف الكفار بفروع الدين، حيث ذهب أكثر الفقهاء إلى عدم تكليفهم، واستندوا في ذلك إلى الكثير من الأدلة والروايات. إلا أنّ هناك من ذهب إلى تكليف الكفار بالفروع مستنداً في ذلك إلى الآية السابقة من سورة فصّلت التي نزلت في ذمّ المشركين بسبب عدم دفعهم للزكاة، هذا في حين أنّ سورة فصلت قد نزلت في مكة، ولم يتم تشريع الزكاة إلا في المرحلة المدنية. أي أنّ الآية قد نزلت في وقت لم تكن فيه الزكاة واجبة حتى على المسلمين أنفسهم، فضلاً عن المشركين، وعليه كيف يُذمّ المشركون على شيء لم يجب عليهم؟ ولذلك هناك تأويلات لهذه الآية:

الأول: إنّ المراد من الزكاة في هذه الآية مجرد أداء الصدقات التي حُرم المشركون منها.

الثاني: إنّ المراد، حرمان المشركين من أداء الزكاة؛ وذلك لكفرهم المانع من دفعهم لها، وأنهم لو كانوا مؤمنين لما حرموا من الحصول على ثواب ذلك؛ لأنّ الشرط في صحة الصدقة هو قصد القربة، والكافرون

عاجزون عن فعل ذلك[١].

٣- فيما يتعلق بالاستدلالات الكلامية يعود أكثرها، خصوصاً ما كان منها في فضائل أهل البيت، إلى المرحلة المدنية؛ ولذلك ذهب البعض إلى اعتبار بعض السور أو الآيات مكية؛ لغرض إبطال الاستدلال بها لصالح أهل البيت؛ ولذلك فإن المعرفة الدقيقة للمكي والمدني من السور والآيات من ضروريات علم الكلام في بحث الإمامة. فمثلاً هناك من اعتبر سورة الدهر بأجمعها مكية، وهناك من ذهب إلى مدنيتها بأجمعها، وهناك من ذهب إلى مدنيتها باستثناء قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾[٢]. وهناك من ذهب إلى مدنية السورة من بدايتها إلى الآية الثانية والعشرين، ومكيّةِ ما بعدها إلى آخر السورة. وأما نحن فنذهب إلى مدنيتها بأجمعها.

قالوا في شأن نزول قوله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * أنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**﴾[٣]:

أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) راجع: تفسير الطبرسي: ٩: ٤-٥، والميزان: ١٧: ٣٨٣ـ ٣٨٤، ولا يخفى رجوع كلا التأويلين في مضمونهما إلى شيء واحد، المترجم.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الإنسان، الآيات: ٧ـ ١٢.

ووجوه العرب، وقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً؛ فنذر صوم ثلاثة أيام، إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت فاطمةعليها السلام كذلك، وكذلك فضة؛ فبرآ، وليس عندهم شيء؛ فاستقرض عليعليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهودي، وجاء به إلى فاطمةعليها السلام؛ فطحنت صاعاً منها فاختبزته، وصلى عليّ المغربَ، وقرّبته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم، وسألهم فأعطوه، ولم يذوقوا إلا الماء. فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدمته إلى عليّعليه السلام؛ فإذا يتيمٌ في الباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء. فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته، وقدمته إلى عليّعليه السلام، فإذا أسيرٌ بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الرابع، وقد قضوا نذورهم أتى عليّعليه السلام، ومعه الحسن والحسينصلى الله عليه وآله إلى النبيصلى الله عليه وآله وبهما ضعفٌ، فبكى رسول اللهصلى الله عليه وآله، ونزل جبريلعليه السلام بسورة «هل أتى»[1].

ولإثبات مدنية السورة ذكر الطبرسي روايات ترتيب النزول التي تتضمن مدنية سورة الدهر بأسانيد معتبرة[2]. إلا أنّ عبد الله بن الزبير حيث لم يتحمل إثبات هذه الفضيلة لأهل البيت، فقد أصر على اعتبار هذه

(١) الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**: ١٠: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) راجع: **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٤٠٤-٤٠٦. **شواهد التنزيل**، للحاكم الحسكاني: ٢٩٩-٣١٥.

السورة مكية بأجمعها[١]؛ وقد غفل أنه لم يكن في مكة أسير. وقد صرّح مجاهد وقتادة من التابعين بمدنية سورة الدهر بجميع آياتها، ولكن هناك من قال بالتفصيل[٢]. هذا وقد ذهب سيد قطب من المعاصرين إلى مكية سورة الدهر بلحاظ سياقها[٣].

٤- كثير من المعضلات القرآنية لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال معرفة السور والآيات المكية والمدنية. فمثلاً فيما يتعلق بمسألة نسخ القرآن بالقرآن سلك البعض طريق الإفراط. فذهب إلى نسخ أكثر من مائتي وعشرين آية، في حين أن هذا العدد الهائل لا يمكن أن يكون صحيحاً ولا ينسجم مع الواقع، بينما سلك بعض آخر طريق التفريط وذهب إلى عدم إمكان نسخ القرآن، خاصة نسخ القرآن بالقرآن؛ معللاً ذلك بأنّ شرط تحقق النسخ هو التنافي بين آيتين، وهو منفي[٤] بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾[٥]. وهناك من سلك طريقاً وسطاً فذهب إلى وجود النسخ، ولكن في عدد قليل من الآيات. ومن الآيات التي ذهب المفرطون إلى نسخها قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...**﴾[٦]، حيث نزلت في الزواج المنقطع، وقد ذهب الإمام محمّد بن إدريس الشافعي إلى

(١) **الدر المنثور**: ٦: ٢٩٧.

(٢) راجع: **التمهيد**: ج١: ١٥٤-١٥٥.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ٢: ٢١٥.

(٤) **البيان في تفسير القرآن**، أبو القاسم الخوئي: ٢٠٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٤.

نسخها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[1].

إلّا أنّ هذا الرأي مرفوض لسببين:

الأول: إن المتمتع بها زوجة شرعاً، وإن كانت في بعض أحكامها تختلف عن الزوجة بالعقد الدائم، وإلاّ لما تحققت الزوجية.

والثاني: إن الآية التي جعلت ناسخة قد وردت في سورة «المؤمنون» وهي مكية بأجمعها، ولم تُستثن هذه الآية. في حين أنّ الناسخ ينبغي أن يأتي بعد المنسوخ من الناحية الزمنية، وهذا ما نبه إليه الزرقاني أيضاً[2].

المعيار في المكي والمدني

طبقاً للإحصائية المستفادة من روايات ترتيب النزول، هناك (٨٦) سورة مكية، و(٢٨) سورة مدنية، وهناك ثلاثة معايير لهذا التقسيم:

الأول: المعيار الزمني: حيث يذهب جلّ المفسرين إلى جعل هجرة النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ من مكة إلى المدينة معياراً لتحديد السور المكية والمدنية. فكل ما نزل من السور قبل الهجرة مكي، وما نزل بعدها فمدني، سواء أكان نزوله في المدينة أو غيرها كالسور التي نزلت في أسفار النبي أو حتى في مكة بعد الفتح في ذهابه إلى الحج والعمرة فهو مدني بأجمعه. كما أنّ ملاك

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ـ ٧.

(٢) الزرقاني،محمّد عبد العظيم، **مناهل العرفان**: ١: ١٩٥.

الهجرة يتحدد بالوصول إلى المدينة ودخولها، فما نزل بعد الخروج من مكة وقبل دخول المدينة فهو مكي، ومن هنا يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[١]. مكي لنزوله أثناء الطريق في هجرته إلى المدينة.

الثاني: المعيار المكاني: فما نزل في مكة وما حولها مكي، وما نزل في المدينة وما حولها مدني، سواء نزل قبل الهجرة أو بعدها، وعليه فما نزل في غير هاتين المدينتين ليس مكياً ولا مدنياً. وقد نقل السيوطي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أُنزل في ثلاثة أمكنة: مكة والمدينة والشام». وقال ابن كثير: المراد من الشام تبوك[٢].

الثالث: المعيار الخطابي: فكل سورة خوطب بها المشركون مكية، وكل سورة خوطب بها المؤمنون مدنية. فقد روي في هذا الشأن عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهي مكية. وكل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مدنية[٣]، وذلك لأن الغلبة في المدينة كانت مع المؤمنين، بخلاف مكة. ولكن وردت عبارة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في بعض السور المدنية، كما في سورة البقرة، الأمر الذي يهدم هذا المعيار.

وقد حدّدت لتعيين السور المكية والمدنية ملاكات لا يمكن لأيّ منها

(١) سورة القصص، الآية: ٨٥.

(٢) **الإتقان**: ١: ٢٣.

(٣) **المستدرك**: ٣: ١٨ـ ١٩.

لوحده أن يكون ملاكاً جامعاً مانعاً، وإنما هو تحديد إجمالي، وإليك بياناً بتلك الملاكات:

١- النص والخبر.

٢- العلامات الصورية والظاهرية.

٣- العلامات المضمونية والمعنوية.

وقال العلاّمة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت: ٧٣٢): هناك طريقان لمعرفة المكي والمدني: سماعي، وذلك من خلال نقل الروايات. وقياسي، وذلك من خلال الضوابط المحددة. فكما نقل علقمة بن قيس (ت: ٦٢) عن عبد الله بن مسعود: كل سورة جاء فيها: **(يا أيها الناس)**، أو لفظ (كلا)، أو تصدرت بالحروف المقطعة، باستثناء الزهراوين (البقرة، وآل عمران)، وكذلك (الرعد) بناءً على القول بمدنيتها، أو وردت فيها قصة آدم وإبليس (من السور الطوال)، أو جاء فيها خبر الأنبياء السابقين والأمم السالفة، فهي مكية، وكل سورة ورد فيها كلام حول الفرائض والتكاليف والحدود الشرعية، فهي مدنية[1].

وهناك من ذكر ملاكات أخرى لمعرفة المكي والمدني، وهي كالآتي:

١- قصر الآيات، وكذلك قصر السور يُعد بشكل عام دليلاً على مكيتها، وأنّ طول الآيات والسور بشكل عام دليل على مدنيتها.

٢- إنّ أسلوب اللحن الشديد كان موجّهاً في الغالب لأهل مكة

---

(١) **البرهان**: ١: ١٨٩.

لكونهم أهل عناد ولجاج ووقوف بوجه الحقّ في حين أن أُسلوب المدني مرنٌ وهادئٌ وهو في عمومه موجّه إلى المؤمنين.

٣- إنّ البحث في أصول المعارف والإيمان والدعوة إلى الإسلام من خصائص السور المكية، وأما في السور المدنية، فيتم الحديث عن تفاصيل الأحكام الشرعية وبيان الشريعة الإسلامية.

٤- إنّ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق والاستقامة في الرأي وسلامة العقيدة، وتجنب العناد، وترك اللجاج، وكذلك مواجهة عقائد المشركين الباطلة وتسفيهها، من خصائص السور المكية، في حين أنّ مواجهة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الاعتدال في المعتقدات، ومواجهة المنافقين وذكر صفاتهم، من خصائص السور المدنية.

٥- غالباً ما يكون الخطاب بـ (**يا أيها الناس**) من خصائص السور المكية، في حين نجد أنّ الخطاب بـ (**يا أيها الذين آمنوا**) من خصائص السور المدنية.

وطبعاً أنّ هذه الخصائص ليست على كليتها، وإنما تصدق في بعض السور، فإذا اجتمعت عدة خصائص وأدت إلى العلم واليقين ولم يكن هناك ما يعارضها، كان ذلك موجباً لقوّة الاحتمال والاطمئنان[1]، مما له تطبيقات فقهية وتاريخية وغيرها.

---

(١) لا يخفى التهافت بين قوله: (أدت إلى العلم واليقين)، وقوله (موجباً لقوة الاحتمال والاطمئنان)! المترجم.

وعليه فإن ملاك تحديد المكي والمدني: إما هو النقل والروايات وهو ما يصطلح عليه بالسماع. أو الاجتهاد من خلال النظر في الشواهد الظاهرية، وأسلوب الآيات والسجع والوزن وقصر الآيات والسور، أو الشواهد المضمونية، بمعنى أنّ شكل بيان أصول العقائد والأحكام ومواجهة الكفار والمنافقين مثلاً دليل على مكية ومدنية السور.

الشبهات الواردة حول مكية السور ومدنيتها

إنّ أكثر الشبهات الواردة في هذا المجال مذكورة على ألسنة المستشرقين؛ حيث ذهبوا إلى تأثر القرآن وتبعيته للأجواء المحيطة بالمنطقة، والظروف التي عاشها النبي الأكرمﷺ، ولم يمنحوه صبغة إلهية ثابتة. ولكن ينبغي التفريق بين التأثر بالأجواء، وبين مواكبة الظروف السائدة للتأثير على الناس. فالذي يريد التأثير على الناس عليه أولاً أن يجعل نشاطه منسجماً مع الأجواء التي يعيشها، وأن يأخذ بنظر اعتباره الواقعيات التي تتحكم بمحيطه، ويعمل على مواكبتها؛ ليتمكن من مخاطبة الناس بلغة يفهمونها، فعليه أن يتعرف على طبيعة الأجواء بشكل كامل، حتى يتمكن من إدراك الأسباب المؤثرة فيهم، وأن لا يأتيهم بثقافة مغايرة ومباينة لثقافتهم، وإلا لم يحقق النجاح المطلوب في هدايتهم والتأثير فيهم.

وعليه هناك فرق بين أن يكون المحيط قد أثر فيه وجعله تابعاً له، وبين أن يكون قد تفاعل مع الأجواء بغية التأثير فيها على نحو أفضل. فمثلاً إذا كان الاتجاه السائد هو إقبال أفراد المجتمع على الفصاحة والشعر والعبارات الموزونة، فقام شخص بالترويج لدعوته مستفيداً من هذا الإقبال، فإنه يكون

قد واكب هذا المجتمع للتأثير فيه، لا أنه تبعه في ذلك وتأثر به.

بعد هذه المقدمة المختصرة ندخل في الشبهات المذكورة:

١- إنّ الأسلوب المكي تطغى عليه الشدّة والعنف، في حين يسود الأسلوب المدني الميل إلى السلم؛ وذلك لأنّ موقف المكيين كان صلباً وقوياً لا يلين، بخلاف أهل المدينة؛ لذلك اتخذ القرآن موقفين متمايزين، وبذلك يكون القرآن منفعلاً ومتأثراً بالحوادث والأجواء المحيطة به، ولم يكن له استقلالية بإزائها.

جوابنا، أولاً: أن أُسلوب التهديد والوعيد لا يقتصر على السور المكية فقط. بل قد انتهج القرآن هذا الأسلوب حتى في السور المدنية، فإذا كان في المدينة معاندون لا يرضخون للحق بل ويحاربونه، فقد اتخذ القرآن معهم نفس السياسة التي انتهجها بحقّ المكيين، وهذا ما يؤكد قدرة القرآن وليس ضعفه، من ذلك ما نقرأه في سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[1]. و﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾[2]. و﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[3]. كما أنّ شدّة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨- ٢٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

أُسلوب الآيات التي نزلت بحقّ المنافقين، والعتاة من أهل الكتاب في المدينة لم يكن بأخف من الأسلوب المكي، بل قد يكون أشد في بعض المواطن وربما كانت أشد السور القرآنية هي سورة براءة، وهي من آخر السور نزولاً، والمخاطب فيها عامة أهل الشرك والعناد.

وفي قبال ذلك نجد في الكثير من السور المكية أسلوباً ليناً سلمياً، حيث نزلت في مواطن تقتضي اللين والمرونة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١). وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢). وقوله في سورة الشورى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣).

٢- إنّ قصر الآيات والسور المكية، وطولهما في المرحلة المدنية راجع إلى الاختلاف بين المجتمعين في كل واحدة من هاتين المدينتين، فالغالب على أهل مكة هو الأمية، وانعدام الثقافة، والقسوة والبعد عن الحضارة. من

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٨٧- ٨٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٣٦- ٣٨.

هنا كان من الضروري أن تنسجم الآيات المكية مع ما يتناسب والبيئة المكية من الاقتصار في الكلام على الأقل الممكن، فكانت العبارة قصيرة وموجزة ومختصرة ومفيدة، في حين كان المجتمع المدني مجتمعاً متعلماً إلى حدّ ما وعلى معرفة بالحضارة، ومن هنا كانت الآيات المدنية أكثر سعة وتفصيلاً.

جوابه؛ **أولاً**: إن التكلم بأُسلوب يتناسب والبيئة التي تقع هدفاً للخطاب هو أسلوب الحكماء والخطباء الحاذقين، وأحد شروط البلاغة، فلكل مقامٍ مقال.

وثانياً: قد نزلت في مكة الكثير من السور الطوال، مثل: الأنعام، والأعراف، والإسراء، والكهف، وطه، ومريم، والأنبياء، والمؤمنون. كما نزلت في المدينة بعض قصار السور، مثل: النصر، والزلزلة، والبينة.

٣- لا وجود لآيات الأحكام في السور المكية، فجميع ما ورد من هذه الآيات، قد ورد في السور المدنية فقط:

يردّ هذا الكلام وجود بعض آيات الأحكام في السور المكية، مثل الآيات: (١٤١-١٤٦) من سورة الأنعام، حيث وردت في بيان أحكام الثمرات والأنعام والحلال والحرام. والآيتين: (١٥١-١٥٢) في الأموال والأعمال المحللة والمحرمة. كما جاءت الآيات: (٣١-٣٣) من سورة الأعراف حول الحلال والحرام، والزينة والفواحش. وقد تم في سورة الإسراء شرح الكثير من المبادئ الأخلاقية والأحكام الرئيسة في الإسلام؛ وبذلك لا يكون الادعاء المتقدم صحيحاً.

٤- لا يوجد في السور المكية استدلال وبراهين، بخلاف السور المدنية حيث استخدم فيها أُسلوب الاستدلال وتقديم البراهين.

وهذه الدعوى مردودة أيضاً، فقد جاء في بعض السور المكية الاستدلال على نفي أن يكون لله ولد أو شريك: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إله إذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إله بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هذَا ذِكْرُ مَن مَعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُعْرِضُونَ﴾(٢).

كما استدل لإثبات النبوة بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْم يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وجاء حول القيامة: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّماء مَاءً مُبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّات وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَات لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ﴾(٤). وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٢ـ ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآيات: ٤٨ ـ ٥١.

(٤) سورة ق، الآيات: ٩– ١١.

لَبْس مِنْ خَلْق جَدِيد﴾[١]. وجاء في سورة أخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[٢]. وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٣]. وعليه يكون الاستدلال المبرهن قد ورد في الكثير من الآيات والسور المكية.

بالالتفات إلى هذه الإشكالات وأجوبتها النقضية والحلية، لا يمكن القول بتأثر القرآن بالبيئة التي نزل فيها. ولكن بالالتفات إلى تمهيد الأرضية وتذليل العقبات أمام الدعوة وإيجاد المناخ المناسب لتوسيع رقعة الدعوة الإسلامية، كان الأسلوب المدني مختلفاً عن المكي، فإن كل حركة في بدايتها ستواجه لا محالة بعض العقبات التي لا بد من تذليلها قبل كل شيءٍ، ثم العمل على تطوير الدعوة والإعلان عن أهدافها وغاياتها بالتزامن مع بيان الشريعة. وعلى هذا الأساس سوف تختلف أساليب البيان وأشكال الدعوة في الحالتين الآنفتين، ولا يمكن توقّع تقدّم الأسلوب الثاني على الأسلوب الأول.

ترتيب النزول

هناك في ترتيب نزول سور القرآن روايات معتمدة لدى كبار العلماء،

---

(١) سورة ق، الآية: ١٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٣) سورة الجاثية، الآيتان: ٢١- ٢٢.

وقد رويت في غالبها عن ابن عباس، مثل الرواية التي يرويها أحمد بن أبي يعقوب الكاتب، المعروف بابن واضح اليعقوبي (ت:٢٩٢) في تاريخه عن محمّد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[١]. أو الرواية التي ينقلها محمّد بن إسحاق الوراق المعروف بابن النديم (ت: ٣٨٥) في كتاب «**الفهرست**»[٢]. أو العلاّمة الطبرسي صاحب التفسير عن شيخه أبي محمّد مهدي بن نزار الحسيني القايني، عن علاّمة القرن السابع الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني النيشابوري، صاحب كتاب «**شواهد التنزيل**»، حيث ذكر رواية الترتيب عن ابن عباس، كما نقل رواية عن كتاب «**الإيضاح**» **لأحمد الزاهد**[٣]، وكذلك الإمام بدر الدين الزركشي، أوّل محقق في المسائل القرآنية (ت: ٧٩٤ هـ) حيث ذكر في كتابه «**البرهان في علوم القرآن**» الذي ألفهُ عام (٧٧٣)، روايات الترتيب بشكل تفصيلي، وقال: «**هذا نزل من القرآن وعليه استقرت الرواية من الثقات**»[٤]. كما ذكر علاّمة عصره (جلال الدين السيوطي ت:٩١١ هـ) في كتابه المعروف «**الإتقان في علوم القرآن**»، هذه الروايات، كما أورد في هذا المجال منظومة عن أبي الحسن بن حصّار، موجودة في كتابه «**الناسخ**

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**: ٢: ٢٦ـ ٣٥.

(٢) ابن النديم، **الفهرست**، الفن الثالث من المقام الأول: ٤٣ ـ ٤٧.

(٣) **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٤٠٥ـ ٤٠٦.

(٤) **البرهان**: ١: ١٩٣.

والمنسوخ»، وقد أورد السيوطي رواية الترتيب عن جابر بن زيد أيضاً[(١)]، وتعتبر متمّمة لرواية ابن عباس[(٢)].

قال العلاّمة الطبرسي وغيره من كبار العلماء في هذا المجال:

إنّ المناط في رعاية ترتيب نزول السور هو أوائل ما ينزل من السور، فإذا نزلت آيات ثم توقفت وافتتحت سورة جديدة واكتملت، ثم نزلت سائر آيات السور السابقة بعد اكتمال السورة الثانية، كانت السورة التي نزلت آياتها الأولى سابقاً هي المتقدمة في ترتيب نزولها على اللاحقة. كما حصل ذلك بالنسبة لسورة العلق. حيث نزلت آياتها الخمس الأولى أولاً في بداية البعثة، ثم نزلت سائر آياتها بعد عدة سنوات، وهكذا سورة المدثر، وسورة المزمل وغيرهما؛ ولذلك اعتبرت سورة العلق أول السور نزولاً[(٣)].

إنّ ترتيب السور طبقاً لرواية ابن عباس وتكميلها طبقاً لرواية جابر بن زيد مع تصحيحها ومقابلتها على عدة نسخ معتمدة على النحو الآتي:

---

(١) جابر بن زيد: من مشاهير فقهاء البصرة، وكبار التابعين، روى عن ابن عباس وعكرمة، توفي سنة ١٠٣، وفي ذلك قال قتادة: (مات اليوم أعلم أهل العراق).

(٢) الإتقان: ١: ٢٢-٢٩.

(٣) راجع: **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٤٠٥، حيث نقل ما تقدم عن كتاب **(الإيضاح)** لأحمد الزاهد.

السور المكية (٨٦ سورة):

الترتيب النزولي	الترتيب الموجود	اسم السورة	الترتيب النزولي	الترتيب الموجود	اسم السورة	الترتيب النزولي	الترتيب الموجود	اسم السورة	الترتيب النزولي	الترتيب الموجود	اسم السورة
١	٩٦	العلق	٢٣	٥٣	النجم	٤٥	٢٠	طه	٦٧	٥١	الذاريات
٢	٦٨	القلم	٢٤	٨٠	عبس	٤٦	٥٦	الواقعة	٦٨	٨٨	الغاشية
٣	٧٣	المزمل	٢٥	٩٧	القدر	٤٧	٢٦	الشعراء	٦٩	١٨	الكهف
٤	٧٤	المدثر	٢٦	٩١	الشمس	٤٨	٢٧	النمل	٧٠	١٦	النحل
٥	١	الحمد*	٢٧	٨٥	البروج	٤٩	٢٨	القصص	٧١	٧١	نوح
٦	١١١	المسد	٢٨	٩٥	التين	٥٠	١٧	الإسراء	٧٢	١٤	إبراهيم
٧	٨١	التكوير	٢٩	١٠٦	قريش	٥١	١٠	يونس	٧٣	٢١	الأنبياء
٨	٨٧	الأعلى	٣٠	١٠١	القارعة	٥٢	١١	هود	٧٤	٢٣	المؤمنون
٩	٩٢	الليل	٣١	٧٥	القيامة	٥٣	١٢	يوسف	٧٥	٣٢	السجدة
١٠	٨٩	الفجر	٣٢	١٠٤	الهمزة	٥٤	١٥	الحجر	٧٦	٥٢	الطور
١١	٩٣	الضحى	٣٣	٧٧	المرسلات	٥٥	٦	الأنعام	٧٧	٦٧	الملك
١٢	٩٤	الشرح	٣٤	٥٠	ق	٥٦	٣٧	الصافات	٧٨	٦٩	الحاقة
١٣	١٠٣	العصر	٣٥	٩٠	البلد	٥٧	٣١	لقمان	٧٩	٧٠	المعارج
١٤	١٠٠	العاديات	٣٦	٨٦	الطارق	٥٨	٣٤	سبأ	٨٠	٧٨	النبأ

* حسب نقل السيوطي لم ترد سورة الحمد في رواية ابن عباس؛ لذلك عمدنا إلى تصحيحها على رواية جابر بن زيد، وكذلك لما ورد في تاريخ اليعقوبي، (الاتقان: ج١، ص٢٥، وتاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٦).

١٥	١٠٨	الكوثر	٣٧	٥٤	القمر	٥٩	٣٩	الزمر	٨١	٧٩	النازعات
١٦	١٠٢	التكاثر	٣٨	٣٨	ص	٦٠	٤٠	غافر	٨٢	٨٢	الإنفطار
١٧	١٠٧	الماعون	٣٩	٧	الأعراف	٦١	٤١	فصلت	٨٣	٨٤	الإنشقاق
١٨	١٠٩	الكافرون	٤٠	٧٢	الجن	٦٢	٤٢	الشورى	٨٤	٣٠	الروم
١٩	١٠٥	الفيل	٤١	٣٦	يس	٦٣	٤٣	الزخرف	٨٥	٢٩	العنكبوت
٢٠	١١٣	الفلق	٤٢	٢٥	الفرقان	٦٤	٤٤	الدخان	٨٦	٨٣	المطففين
٢١	١١٤	الناس	٤٣	٣٥	فاطر	٦٥	٤٥	الجاثية			
٢٢	١١٢	التوحيد	٤٤	١٩	مريم	٦٦	٤٦	الأحقاف			

السور المدنية (٢٨ سورة):

٨٧	٢	البقرة	٩٧	٥٥	الرحمن	١٠٧	٤٩	الحجرات
٨٨	٨	الأنفال	٩٨	٧٦	الدهر	١٠٨	٦٦	التحريم
٨٩	٣	آل عمران	٩٩	٦٥	الطلاق	١٠٩	٦٢	الجمعة
٩٠	٣٣	الأحزاب	١٠٠	٩٨	البيّنة	١١٠	٦٤	التغابن
٩١	٦٠	الممتحنة	١٠١	٥٩	الحشر	١١١	٦١	الصف*
٩٢	٤	النساء	١٠٢	١١٠	النصر	١١٢	٤٨	الفتح
٩٣	٩٩	الزلزال	١٠٣	٢٤	النور	١١٣	٥	المائدة*
٩٤	٥٧	الحديد	١٠٤	٢٢	الحج	١١٤	٩	التوبة
٩٥	٤٧	محمّد صلى الله عليه وآله	١٠٥	٦٣	المنافقون			
٩٦	١٣	الرعد	١٠٦	٥٨	المجادلة			

---

* جعل الزركشي سورة الصف بعد سورة التحريم وقبل سورة الجمعة في ترتيب السور المدنية.

* جعل سورة البراءة قبل سورة المائدة وسورة المائدة آخر السور في هذا الترتيب.

السور المختلف فيها

إن ما أوردناه من ترتيب السور المكية والمدنية كان طبقاً لرواية ابن عباس نقلاً عن الزركشي والطبرسي، وتم تصحيحها وإكمالها على رواية جابر بن زيد: ولكن في الوقت نفسه هناك اختلاف بشأن ما ينيف على ثلاثين سورة حيث اختلفت أوجه النظر في كونها مكية أو مدنية، وإليك بيانها على النحو الآتي:

١- **الفاتحة**، حيث ذهب مجاهد إلى مدنيتها، مع أنّه ورد بشأنها في بعض السور المكية قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[1]. والسبع المثاني هي سورة الحمد. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الحمد كنز أخرج من تحت العرش وأنزلت في مكة**». وقال الحسين بن فضل[2]: هذا خطأ كبير ارتكبه مجاهد؛ لأنه مخالف لاتفاق العلماء[3].

٢- **النساء**، ذهب النحاس[4] إلى مكيتها، لمكان قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[5]؛ لأنها نزلت في مكة عام الفتح، وهو رأي باطل، إذ لا يمكن لآية واحدة أن تتحكم بمسار السورة بأكملها،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) كان علاّمة عصره في التفسير، ودرّس الفقه والقرآن في داره التي ابتاعها له ابن طاهر سنة ٢١٧هـ وكان مرجع الناس في الفتوى، مات سنة ٢٨٢ هـ عن عمر يناهز ١٠٤ سنوات، وأضحى قبره مزاراً.

(٣) **الإتقان**: ١: ١٣٠.

(٤) أبو عمير عيسى بن محمّد النحاس (ت: ٢٥٦ هـ) من كبار العلماء والمحدثين.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

مضافاً إلى أنّ المعيار في المدني هو النزول بعد الهجرة حتى وإن نزلت في مكة، فهي مدنية رغم نزولها في مكة.

٣- **يونس**، حيث نسب إلى ابن عباس القول بمدنيتها، هذا في حين أنّ هناك العديد من الروايات المنقولة عن ابن عباس نفسه تثبت خلاف ذلك.

٤- **الرعد**، حيث ذهب محمّد بن السائب الكلبي من القدماء، وسيد قطب من المعاصرين إلى كونها مكية؛ وذلك لأنّ مضمونها ولحنها يشابه السور المكية، إلا أنّ روايات الترتيب مطبقة على مدنيتها، مضافاً إلى أنّ شدة اللحن قد توجد في الكثير من السور المدنية أيضاً كما في سورة البقرة.

٥- **الحج**، ذهب أبو محمّد مكي بن أبي طالب إلى كونها مكية، مستدلاً لذلك بالآية (٥٢) التي نزلت في جواب أُسطورة الغرانيق. وهو باطل من جهتين؛ **الأولى**: إن قصة الغرانيق أسطورة محضة لا أساس لها من الصحة. **والثانية**: إن مضمون هذه السورة لا ينسجم مع الأسلوب المكي.

٦- **الفرقان**، انفرد الضحاك في القول بمدنيتها خلافاً لروايات الترتيب وإجماع المفسرين.

٧- **يس**، هناك قولٌ بمدنيتها، ولكنه لم يعرف قائله، ولم يقدّم دليل على ذلك.

٨- **سورة ص**، عدّت مدنية بناءً على قول شاذ، لم يعرف قائله.

٩- **سورة محمّد** صلى الله عليه وآله، هناك من خالف الإجماع وذهب إلى مكيتها.

١٠- **الحجرات**، هناك من خالف الإجماع وذهب إلى مكيتها.

١١- **الرحمن**، ذهب سيد قطب بسبب أُسلوبها ونسق نظمها، وجلال الدين السيوطي ـ استناداً إلى روايتين؛ إحداهما عن المستدرك للحاكم، والثانية عن مسند أحمد ذهبا إلى مكيتها، وهو مردود للأسباب الآتية؛ **أولاً**: إن الأسلوب والنظم لا يكفي لوحده في تحديد مكية السورة أو مدنيتها. **وثانياً**: أنّ رواية الحاكم ليست صريحة في مكية هذه السورة، وأنّ رواية مسند أحمد ضعيفة السند(١)، **وثالثاً**: إن روايات الترتيب مجمعة على مدنية هذه السورة.

١٢- **الحديد**، هناك من ذهب إلى مكيتها، لأنّ عمر إنما أسلم إثر قراءتها في لوح أخذه من أخته حين اقتحم بيتها في مكة(٢). وهذا الرأي لا يمكن الأخذ به بسبب اختلاف الروايات التي تنقل هذه الحادثة، فهناك من الروايات تقول أنّ السورة التي أخذها من أخته كانت سورة (طه)، وهناك روايات تقول إنها (الحاقة)(٣).

١٣- **الصف**، ذهب ابن حزم إلى مكيتها خلافاً للمشهور وروايات الترتيب.

١٤- **الجمعة**، هناك قول مجهول يذهب إلى مكيتها، خلافاً لإجماع المفسرين وروايات ترتيب النزول.

---

(١) **الإتقان**: ١: ٣٣.

(٢) **الناسخ والمنسوخ في القرآن**، لابن حزم الأندلسي، في حاشية الجلالين: ٢: ١٩٧.

(٣) راجع: **سيرة ابن هشام**: ١: ٣٧٠. **أسد الغابة**: ٤: ٥٤. **الإصابة**: ٢: ٥١٩، **وتفسير الطبرسي**: ٩: ٢٣٧، **وأسباب النزول في حاشية الجلالين**: ٢: ٩٤.

١٥- **التغابن**، نسب إلى ابن عباس الذهاب إلى مكيتها، وهو مخالف للروايات المنقولة عن ابن عباس نفسه.

١٦- **الملك**، هناك من ذهب إلى مدنيتها خلافاً لإجماع العلماء.

١٧- **الإنسان**، ذهب عبد الله بن الزبير، وبعض من المنكرين لفضائل أهل البيت عليهم السلام في غالبيتهم، إلى مكيتها، كي يبعدوا فضيلة أهل البيت عليهم السلام في قصة إطعامهم الطعام للمسكين واليتيم والأسير. وقد ذهب سيد قطب إلى مكية السورة بلحاظ سياقها، ولكن قال الحافظ الحسكاني:

(اعترض بعض النواصب على هذه القصة بأن قال: اتفق أهل التفسير على أنّ هذه السورة مكية، قلت: كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر أنها مدنية)؟![1].

وللعلاّمة الطبرسي تحقيق دقيق حول مدنية هذه السورة[2]. والعمدة في ذلك روايات السلف التي تتفق على مدنية هذه السورة.

١٨- **المطففون**، قال اليعقوبي: (إنّ هذه السورة هي أول السور نزولاً في المدينة)، وهناك من ذهب إلى نزولها في الطريق إلى الهجرة بين مكة والمدينة. إلاّ أنّ روايات الترتيب أجمعت على كونها آخر السور المكية نزولاً.

١٩- **الأعلى**، هناك من ذهب إلى مدنيتها، لمكان قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

---

(١) شواهد التنزيل: ٣١٠ ـ ٣١٥.

(٢) تفسير الطبرسي: ١٠: ٤٠٥.

مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[١]، الذي نزل بشأن صلاة العيد، إلاّ أنّ هذه الآيات عامة، ولا ينافي تطبيق بعض الروايات فيها على صلاة العيد.

٢٠- **الليل**، هناك من ذهب إلى مدنيتها، للروايات الواردة في بيان شأن نزولها[٢].

٢١- **القدر**، هناك من ذهب إلى مدنيتها، فقد ورد في شأن نزولها: إن النبي رأى القردة تنزو على منبره[٣]، مع أن النبي الأكرمﷺ لم يتخذ منبراً في مكة. إلا أنّ هذا الاستدلال ضعيف للغاية لأن رؤية المنبر في المنام لا تعني بالضرورة أن يكون له منبر حقيقة[٤].

٢٢- **البينة**، ذهب مكي بن أبي طالب إلى مكيتها[٥]، رغم اتفاق روايات الترتيب على مدنيتها.

٢٣- **الزلزال**، هناك من ذهب إلى مكيتها بسبب أُسلوبها الشديد. ولكن روايات الترتيب تخالف ذلك.

٢٤- **العاديات**، ذهب قتادة إلى مدنيتها استناداً إلى رواية ضعيفة لا يعتمد عليها[٦].

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤-١٥.

(٢) راجع: **الدر المنثور**: ٦: ٣٥٧. **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٥٠١.

(٣) راجع: **المستدرك**: ٣: ١٧١.

(٤) إلا أنّ الضمير في (منبره) يفهم منه أن هناك منبر للنبي هو الذي رآه في المنام، المترجم.

(٥) أبو محمّد مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**: ٢: ٣٨٦.

(٦) راجع: **الدر المنثور**: ٦: ٣٨٣. **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٥٢٧. **تفسير الطبري**: ٣٠: ١٧٧.

٢٥- **التكاثر**، ذهب جلال الدين السيوطي، إلى مدنيتها لنزولها بشأن اليهود في المدينة[١]، إلا أنها لا تدل على اختصاصها باليهود، كما لم ترد رواية في ذلك.

٢٦- **الماعون**، ذهب الضحاك إلى مدنيتها، خلافاً لروايات الترتيب.

٢٧- **الكوثر**، قال جماعة: نزلت هذه السورة في المدينة على النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ أثناء نومه[٢]، وهو غير صحيح، إذ لم تنزل عليه آية أو سورة في نومه، إلا إذا كانت قد نزلت عليه في اليقظة سابقاً.

٢٨- **التوحيد**، رجح السيوطي مدنيتها[٣]. إلا أنّ الرواية التي استند إليها غير ثابتة.

٢٩،٣٠- **المعوذتان**، ذهب اليعقوبي إلى أنهما من آخر السور المدنية نزولاً[٤]، إلا أنّ هناك الكثير من الروايات التي تثبت خلاف ذلك.

آيات مستثنيات

جاء في كتب بعض المتقدمين أنّ بعض الآيات قد وردت في سور لا تنتمي إلى حقبتها، بمعنى أن تدرج بعض الآيات المدنية في سورة مكية أو بعض الآيات المكية في سورة مدنية، إلا أننا من خلال تتبعنا وصلنا إلى

(١) **الإتقان**: ١: ١٤.

(٢) **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٥٤٨.

(٣)السيوطي، جلال الدين، **لباب النقول في حاشية الجلالين**: ٢: ١٤٧. **الإتقان**: ١: ١٤.

(٤) **تاريخ اليعقوبي**: ٢: ٣٥.

نتيجة مخالفة لهذا الرأي، فكل سورة مكية فهي مكية بجميع آياتها، وكل سورة مدنية فهي مدنية بجميع آياتها[١]. ونشير هنا إلى نماذج من ذلك باختصار:

النموذج الأول: قالوا أنّ قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[٢]، قد نزل على النبيﷺ في عرفات[٣]، إلا أنّ هذا الوهم قد نشأ بناءً على الاعتبار المكاني في التمييز بين المكي والمدني، في حين أنّ المعيار الصحيح في ذلك هو الاعتبار الزماني، فما نزل بعد الهجرة فهو مدني حتى وإن نزل في مكة.

النموذج الثاني: قيل، أنّ قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[٤]، نزل في مكة عند وفاة أبي طالب، وقد وعده النبيﷺ أن يستغفر له[٥]. وقد ذكر الطبرسي في تفسيره أنّ بعض المسلمين سألوا النبيﷺ بعد فتح مكة أن يأذن لهم بالاستغفار لآبائهم، فنزلت الآية المتقدمة لتمنع المسلمين من

---

(١) راجع: **التمهيد**: ١: ١٦٩ـ ٢٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) **تاريخ القرآن**: ٢٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٣– ١١٤.

(٥) **صحيح البخاري**: ٢: ١١٩، و٦: ٨٧.

الاستغفار لآبائهم المشركين بشكل قاطع[1].

النموذج الثالث: قيل أنّ الآيات الثلاث الأولى من سورة يوسف مدنية، وقد ضعّف جلال الدين السيوطي هذا القول، والعجيب أن يقبله شخص مثل أبي عبد الله الزنجاني[2].

وقيل في الاستدلال على مدنية هذه الآيات: طلب كفار مكة من اليهود أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله في المدينة عن يوسف عليه السلام، فنزلت هذه الآيات الثلاث، في حين إذا نزلت جميع القصة قبل ذلك في مكة لم يبق هناك من معنىً لتأجيل مقدمتها لتنزل فيما بعد في المدينة. وطبعاً من الممكن أن يكون العكس هو الصحيح أي أنّ اليهود هم الذين أشاروا على الكفار والمشركين في مكة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله عن قصة يوسف عليه السلام فسألوه فنزلت هذه السورة.

أسباب النزول

ينبغي القول في بيان أهمية معرفة أسباب النزول أو شأن النزول: أنّ القرآن ـ كما نعلم ـ قد نزل نجوماً وفي مختلف المناسبات بحسب الاقتضاء، فإذا وقعت حادثة أو واجه المسلمون مشكلة نزلت آية أو عدة آيات أو سورة لرفع الإشكال والإجابة عنه، وواضح أنّ الآيات النازلة في كل مناسبة أو حادثة، إنما هي ناظرة إلى تلك المناسبة والحادثة، وعليه إذا واجهَنا إبهامٌ

---

(١) تفسير الطبرسي: ٥: ٧٦.

(٢) راجع: الإتقان: ١: ١٥. تاريخ القرآن: ٢٨.

أو إشكال في ألفاظ الآية أو معناها، وجب رفع ذلك الإبهام والإشكال بالرجوع إلى تلك المناسبة أو الحادثة التي استدعت نزولها، إذن يجب لفهم المعنى الكامل لكل آية الرجوع إلى شأن نزولها، وإلا بقيت الآية على إبهامها. مثلاً فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿إِنّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا....﴾[1]، أشكل بأنّ السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة من الأركان، فلماذا عبّر في هذه الآية بلفظ «لا جناح»[2]؟

إنّ ظاهر معنى الآية: لا معصية مترتبة على السعي بين هذين الجبلين، وهو ما يثبت الجواز دون الوجوب، إلا أننا إذا راجعنا شأن نزول هذه الآية سيتضح أنها إنما نزلت لدفع شبهة المعصية، فانه بعد صلح الحديبية في السنة الهجرية السادسة تم الاتفاق على السماح للنبي الأكرمﷺ وأصحابه في الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، وان يرفع المشركون أصنامهم لمدة ثلاثة أيام من حول البيت ومن الصفا والمروة؛ ليتمكن المسلمون من أداء شعائرهم بصورة أفضل، وبعد انقضاء الأيام الثلاثة أعيدت الأصنام إلى مواضعها، وكان بعض المسلمين قد تأخر عن إتمام السعي لسبب ما، وبعد إعادة الأصنام تأثم المسلمون من السعي بين الصفا والمروة، فنزلت هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) قال المصنّف: «جناح معرب من كناه» فارسية بمعنى: ذنب. والصحيح: إن كلمة «جناح» عربية بمعنى الميل والانحراف، ومنه قوله تعالى: (فإن جنحوا للسلم فاجنح لها) أي: إن مالوا إلى السلم، المترجم.

الآية لنفي هذا التأثم وإثبات وجوب السعي بين الصفا والمروة حتى مع وجود الأصنام عليها، لأنّ السعي في الأساس من شعائر الله، وأما وجود الأصنام فهو أمر عارض لا يؤثر في أصل تشريع السعي[١]. وبذلك يتضح معنى الآية من خلال الرجوع إلى شأن نزولها بشكل واضح، وأن الآية ليست بصدد إثبات الجواز والوجوب من هذه الناحية، وإنما هي في سياق مجرد رفع توهّم المنع. إذن لمعرفة أسباب النزول دور حاسم في فهم معاني الآيات وتفسيرها بشكل واضح[٢].

إنّ طريق التعرف على أسباب النزول طريق معقد وشائك، وذلك لأنّ المتقدمين لم يضبطوا لنا في هذا المجال سوى النزر القليل الذي لا ينفعنا كثيراً. وربما كان السبب وراء إهمالهم لضبطها أنها كانت واضحة وبديهية بالنسبة لهم؛ فلم يجدوا حاجة أو ضرورة لضبط وتسجيل ما هو بديهي عندهم للأجيال القادمة.

ثم ظهرت فيما بعد في هذا المجال روايات تعاني أكثرها من ضعف السند؛ بل وقد تعمل الأهواء على اختلاقها، خاصة في عصر حكومة بني أمية، حيث اختلقوا أسبابَ نزولٍ لا تحصى؛ ليفسروا القرآن على ما تهوى أنفسهم، حتى روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: (ثلاثة لا أصل لها: المغازي والفتن والتفسير). ونقل بدر الدين الزركشي عن بعض المحققين:

---

(١) راجع: **تفسير العياشي**: ١: ٧٠.

(٢) **التمهيد**: ١: ٢٤٣ فما بعد.

(المراد من ذلك أن أكثر الروايات في هذا المجال ضعيف، لا أنها مرفوضة بأجمعها)[١]. وأشهر من كتب في هذا الموضوع أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٨٦ هـ)، وقد أشكل عليه السيوطي (ت:٩١١ هـ) بأنه سعى إلى جمع الروايات الضعيفة، وقد خلط بين الصحيح والسقيم، وقد نقل أكثر رواياته من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو طريق واهٍ وضعيف جداً... .[٢] ثم بادر السيوطي نفسه إلى كتابة رسالة في هذا المجال عنوانها (**لباب العقول**)، لم يسلم فيها بدوره من نقل الروايات الضعيفة، فمثلاً قال بشأن قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْق مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ**﴾[٣]، أنّ النبي حينما وقف على جثمان حمزة تأثر وقال: «**لأمثلن بسبعين منهم مكانك**» أي بقطع آذانهم وأنوفهم وبقر بطونهم، فنزل جبريل بهذه الآيات في منعه من ذلك... .[٤] هذا مع أن سورة النحل مكية، فقد نزلت قبل سنوات من «واقعة أُحد» التي حدثت في السنة الهجرية الرابعة، مضافاً إلى استحالة صدورها من النبي الذي هو تجسيد العدل والإنصاف في سيرته. أجل، أنّ هذه الآيات نزلت في مكة حينما كان يتعرض المسلمون

---

(١) البرهان: ٢: ١٥٦.

(٢) لباب النقول في حاشية الجلالين: ١: ١١.

(٣) سورة النحل، الآيات: ١٢٦– ١٢٨.

(٤) لباب النقول في حاشية الجلالين: ١: ٢١٣.

للعذاب تحت أيدي المشركين، لتأمرهم بعدم التفكير في تجاوز الحد في الثأر وتفضيل الصبر على ذلك[١].

سبب النزول أو شأن النزول

ما هو الفرق بين سبب النزول وشأنه؟ أغلب المفسرين لم يروا فرقاً بينهما، فكل مناسبة أوجبت نزول آية أو آيات، قالوا: أنها سبب في نزولها أو شأن لها، في حين أنّ هناك فرقاً بينهما، بمعنى أن شأن النزول أعم من سبب النزول. فكلما نزلت آية في حدث أو شخص أو واقعة من الماضي أو الحاضر أو المستقبل كانت جميع هذه الموارد شأناً لنزول هذه الآية، فيقال مثلاً: أنّ هذه الآية قد نزلت في عصمة الأنبياء أو عصمة الملائكة أو النبي إبراهيم أو نوح أو آدم فجميع هذه الأمور شأن نزول الآية. وأما سبب النزول فهو الحادثة أو الواقعة التي تستدعي نزول الآية أو الآيات. وبعبارة أخرى: أنّ ذلك الحدث يؤدي إلى نزولها. ومن هنا كان السبب أخصّ، والشأن أعمّ، فكل سبب هو شأن وليس العكس.

التنزيل والتأويل

يُطلق التنزيل في مصطلح السلف على مورد النزول، وهو الحادثة الخاصة التي سببت نزول الآية، أما التأويل فهو المعنى العام الذي يفهم من الآية، ويمكن تطبيقه على المصاديق الأخرى المشابهة، وقد عبر عن هذين المفهومين بالظهر والبطن أيضاً، فالظهر هو التنزيل والبطن هو التأويل. وقد

---

(١) التمهيد: ١: ٢٤٧-٢٥٣.

سأل الفضيل بن يسار الإمام الصادق عليه السلام عن الحديث المروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي يقول: «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن» فقال عليه السلام: **«ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن؛ يجري كما تجري الشمس والقمر»**[(١)]. وفي حديث آخر قال: **«ظهر القرآن الذي نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم»**[(٢)].

الفائدة الفقهية من شأن النزول والتنزيل والتأويل

توصل الفقهاء وعلماء الإسلام من خلال الالتفات إلى شأن النزول، وظهر الآيات وبطنها إلى قاعدة تساعدهم على استنباط الأحكام، وهي: (أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد). أي أن على الفقيه الحاذق أن يتجاوز خصوصيات المورد، ويلاحظ النواحي العامة للألفاظ، وطبعاً لا يمكن إنكار خصوصية المورد ودورها في فهم الدلالة الكلامية، إلا أنها لا تصلح دليلاً على انحصار الحكم بها. لأنّ الأحكام الإلهية عامة تنطبق على جميع الأفراد وجميع الأزمنة. وفيما يلي سنذكر نموذجين من القرآن الكريم تمت معالجتهما في الروايات من الناحية العامة:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)]. هذه الآية من الآيات ذات الظهر والبطن

---

(١) الصفار، **بصائر الدرجات**: ١٩٦، ح:٧.

(٢) **تفسير العياشي**: ١: ١١، ح: ٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(التنزيل والتأويل)، وقد إتّضحت عموميتها بتوجيه من الإمام المعصوم، فإن هذه الآية بظاهرها تنافي الآيات التي توجب التوجه إلى الكعبة في الصلاة، ولكن من خلال الرجوع إلى شأن النزول يرتفع هذا التنافي، حيث أنّ شأن نزولها كالآتي:

احتج اليهود على المسلمين بان الصلاة إلى بيت المقدس؛ فإن كانت حقاً كما كنتم تفعلون، إذن يبطل تحويل القبلة إلى الكعبة، وإذا كان تحويلها إلى الكعبة حقاً، ثبت بذلك بطلان الصلاة السابقة التي كنتم تتوجهون فيها إلى بيت المقدس. فأنزل الله هذه الآية لإثبات أنّ كلا الأمرين حقّ؛ وذلك لأن أصل الصلاة حقيقة ثابتة، أما التوجه إلى الكعبة أو بيت المقدس؛ فهو مجرّد أمر اعتباري، جُعل لإضفاء الوحدة والانسجام على سلوك المسلمين، وأنّ الله لا يُحدّ بجهة ﴿**إِنّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.

وقد استدل في الروايات من خلال هذه الآية على جواز التوجه إلى أي ناحية في الصلاة المندوبة حال الركوب على دابة أو في الطائرة أثناء حركتها(١)، وهذا هو بطن الآية الذي علمناه بتوجيه من المعصومين عليهم السلام.

النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**وَأَنّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾(٢). والمساجد هنا إما جمع «مسجد» بمعنى المعبد ومكان العبادة، فيكون معنى الآية: (أنّ مواضع وأمكنة العبادة لله). أو أنها جمع «مسجَد»

---

(١) **وسائل الشيعة**: ج٣، أبواب القبلة، الباب: ٨و١٥.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

مصدر ميمي بمعنى العبادة، أي لا تجوز عبادة غير الله، وعلى كلا المعنيين يبدو من ظاهر الآية نفي أن يكون لله شريك. ولكن هناك رواية صحيحة استنبط فيها الإمام من الآية معنى آخر يشمل «أعضاء السجود»، وقال بعض المفسرين مثل: سعيد بن جبير، والزجّاج والفرّاء: المساجد يشمل مواضع السجود (الأعضاء السبعة في السجود) وإنها لله، وقد أنعم بها على الإنسان فلا ينبغي توظيفها لغير الله[1]. وقد ورد هذا التأويل عن الإمام الجوادعليه السلام: حيث سئل في مجلس المعتصم العباسي عن موضع القطع من يد السارق، فأجاب كل عالم ممن حضر في المجلس بعلمه، فالتفت المعتصم إلى الإمام الجوادعليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال الإمامعليه السلام:

أنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف. قال المعتصم: لِمَ؟ فقالعليه السلام : لقول رسول اللهصلى الله عليه وآله : «السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين» ؛ فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأنّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به: هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع[2].

معرفة أسباب النزول

إنّ الطريق الوحيد في الوصول إلى معرفة أسباب النزول منحصر بالروايات،

---

(١) **تفسير الطبرسي**: ١٠: ٣٧٢.

(٢) **وسائل الشيعة**: ج١٨، أبواب حدّ السرقة، الباب: ٤.

وللأسف الشديد لم يهتم السلف في تمحيص هذه الروايات، فكانت أغلب الروايات المنقولة في هذا المجال مجروحة أو مختلقة سوى النزر القليل وهو بدوره ضعيف السند أو متعارض ومتهافت، قال الواحدي في أسباب النزول:

(لا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطِلاب).

ثمّ روى عن ابن عباس، قال: قال رسول الله:

(اتقوا الحديث [عني] إلا ما علمتم؛ فأنّه من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوّأ مقعده من النار).

والسلف الماضون رحمهم الله، كانوا في أبعد الغاية احترازاً عن القول في نزول الآية، فعن محمّد بن سيرين، قال:

(سألت عبيدة عن آيةٍ من القرآن، فقال: اتق الله وقل سداداً).

وذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن. أي الذين يعلمون أسباب النزول. قال الواحدي:

(وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة)[1].

---

(١) أسباب النزول: ٤.

ولذلك لابدّ من التمسك بالاحتياط في الوصول إلى حقائق القرآن. وقد تقدم أن أشرنا إلى كلمة أحمد بن حنبل في هذا المجال حيث قال:

(ثلاثة لا أصل لها: المغازي، والفتن، والتفسير).

هذا ولم يتمكن جلال الدين السيوطي رغم ألمعيته إلا من جمع سوى ٢٥٠ حديثاً مسنداً فيها من الصحيح والسقيم[١]. ولكن لحسن الحظ هناك الكثير من الروايات الصحيحة الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام وقد تم حتى الآن رصد أكثر من أربعة آلاف رواية في هذا الموضوع.

إنّ المصادر المتوفرة لدينا يمكن الوصول من خلالها إلى أسباب النزول إلى حدٍّ ما، من قبيل: «**جامع البيان**» للطبري، و«**الدر المنثور**» للسيوطي، و«**التبيان**» للشيخ الطوسي، يضاف إلى ذلك الكتب التي صنفت في أسباب النزول، مثل: «**أسباب النزول**» للواحدي، و«**لباب النقول**» للسيوطي. وطبعاً قد امتزج الصحيح بالسقيم في هذه المصادر، ولابد من النظر فيها بتحقيق وتمحيص، وأنّ تحديد الصحيح من غيره خاصة في موارد التعارض يتم عبر أحد الطرق الآتية:

١- ينبغي أن يكون سند الرواية وعلى الأخص من تنتهي إليه سلسلة السند موثوقاً به بأن يكون معصوماً أو صحابياً ثقة مثل: عبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وابن عباس ممن له باع وسابقة في القرآن الكريم وقد

---

(١) راجع: **الإتقان**: ٤: ٢١٤-٢٥٧.

أجمعت عليه الأمّة بالقبول، أو التابعين الأخيار الأبرار مثل: مجاهد، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب ممن عرف بالصدق وعدم الكذب.

٢- يجب أن تبلغ الروايات حدّ التواتر أو الاستفاضة، وإن اختلفت ألفاظها، وكان المضمون واحداً، وإذا اختلفت في مضامينها فيشترط إمكان الجمع بينها، وعندها يحصل لنا اطمئنان بصحة الخبر المذكور، كالروايات الواردة في تحويل القبلة، وأسباب نزول الآيات المتعلقة بها.

٣- يجب أن تساعد الروايات الواردة في بيان شأن النزول على حل الإبهام بشكل تام، الأمر الذي يشهد على صدقها، رغم عدم صحتها أو حسنها سنداً، وأغلب الوقائع التاريخية من هذا القبيل، حيث يمكن الوصول إلى صحتها من خلال الربط بين عدد من الحوادث التاريخية، وإلا لم يكن بإمكاننا الوصول إلى ذلك بالاعتماد على صحة الإسناد فقط، وهذا ما يمكن توضيحه من خلال آية النسيء، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(١). والنسيء هنا بمعنى تأجيل الأشهر الحرام.

حيث كان القتال محرماً في الأشهر الحرم. وكانت الغاية من هذا التحريم ضمان أمن القوافل التي كانت تستغرق رحلتها إلى الحج من النقاط البعيدة من شبه الجزيرة العربية الأشهر الثلاثة وهي : ذو القعدة، وذو الحجة،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

والمحرم. كما كانوا يعتمرون في رجب أيضاً. إلا أنّ جبابرة القبائل العربية حيث كانوا يجدون أنفسهم على أعتاب النصر وقد داهمهم واحد من هذه الأشهر، يعمدون إلى إنسائه، وإيقاف القتال في شهر آخر، وبذلك كانوا يتلاعبون بالأحكام الإلهية والسنة القائمة، وقد حرمت هذه الظاهرة في السنة التاسعة من الهجرة وبشكل كامل[١]. من هنا فان الروايات الواردة في بيان سبب نزول هذه الآية توافق عبارات الآية، كما أنّ القرائن والشواهد تؤيد هذا المطلب أيضاً، وترفع إبهام الآية. وإن لم تكن قوية السند، ويمكن بيان الموارد الأخرى على أساس هذه القاعدة.

حضور ناقل السبب

هل يشترط في ناقل سبب النزول أن يكون قد شاهد الحادثة بعينه؟ ذهب أكثر العلماء إلى اشتراط ذلك كي لا ينقطع سند الرواية، قال الواحدي:

(لا يحلّ القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها)[٢].

ولكن الآخرين يرون كفاية حصول العلم القطعي لدى الناقل بسبب النزول دون اشتراط حضوره أثناء وقوع الحادثة. قال الحاكم النيسابوري في «**علم الحديث**»:

(إذا قال الصحابي الذي أدرك الوحي ونزول القرآن: نزلت الآية

---

(١) تفسير الطبرسي: ٥: ٢٩.

(٢) أسباب النزول: ٤.

كذا في حادثة كذا، كان كلامه بمنزلة الحديث المسند، أي يعدّ حديثاً مروياً عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ)[١].

ويبدو أنّ هذا القول هو الأصح. فلا يشترط حضور الناقل بعد افتراض علمه وكونه عادلاً وصادقاً، فتكفي إذن وثاقته، ومن هنا نعتمد على الروايات المنقولة عن الأئمة الأطهارعَلَيْهِمُالسَّلَامُ بشأن القرآن الكريم.

أسماء القرآن وأوصافه

ذكر المفسر الكبير في القرن الهجري السادس جمال الدين أبو الفتوح الرازي في مقدمة تفسيره ثلاثة وأربعين اسماً للقرآن[٢]، ولكن أغلب هذه الأسماء هي في واقعها مجرّد صفات له، ومن هنا اكتفى الطبرسي في مجمع البيان بأربعة أسماء للقرآن وهي: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر[٣]. وذكر بدر الدين الزركشي[٤]:

(أن الحرّالي قد ألف كتاباً في هذا المجال وذكر فيه أكثر من تسعين إسماً ونعتاً للقرآن الكريم).

كما نقل عن القاضي العزيزي خمسٌ وخمسون إسماً للقرآن الكريم نستعرضها في القائمة الآتية، وقد وافق رأي أبي الفتوح الرازي في الأسماء

---

(١) **المستدرك: ٢: ٢٥٨ و٢٦٣. معرفة علوم الحديث: ١٩-٢٠.**

(٢)الرازي، أبو الفتوح، **روض الجنان وروح الجنان**: ١ : ٥ المقدمة.

(٣) **تفسير الطبرسي**: ١: ١٤ المقدمة، الفن الرابع.

(٤) **البرهان: ١: ٢٧٣-٢٧٦. الإتقان: ١: ١٤٣-١٤٦.**

الثلاثة والأربعين الأولى:

١- القرآن: ﴿أنّ علَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ * فَإِذَا قرأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(١).

٢- الفرقان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَاناً﴾(٢). و﴿وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإنجيلَ * مِن قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾(٣). و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(٤).

٣- الكتاب: ﴿إِنّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾(٥). و﴿إِنّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾(٦). و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾(٧).

٤- الذكر: ﴿ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(٨). و﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٩). و﴿وأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُونَ﴾(١٠). و﴿وأَنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٧ـ ١٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣-٤.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٠٥.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.
(٩) سورة الحجر، الآية: ٩.
(١٠) سورة النحل، الآية: ٤٤.

تُسْأَلُونَ﴾[1]. و﴿ وَهذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَـهُ مُنكِـرُونَ﴾[2]. و﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾[3]. و﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[4]. و﴿إِنّ الَّـذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَأَنّهُ لَكِتَـبٌ عَزِيزٌ﴾[5]. و﴿وَلَقَـدْ يَسَّـرْنَا الْقُـرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾[6].

٥- التنزيـل: ﴿وَإِنّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[7]. و﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَـا عَلَيْـكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾[8]. و﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْـث وَنَزَّلْنَـاهُ تَنْزِيلاً﴾[9].

٦- الحديث: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[10]. و﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَـى آثَـارِهِم إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[11]. و﴿أَفَمِـنْ هـذَا الْحَـدِيثِ تَعْجَبُـونَ ❊

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.

(٣) سورة ص، الآية: ١.

(٤) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٦) سورة القمر، الآية: ١٧.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢.

(٨) سورة الإنسان، الآية: ٢٣.

(٩) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(١٠) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(١١) سورة الكهف، الآية: ٦.

وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ﴾[١]. و﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيث مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٢].

٧- الموعظة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[٣].

٨- التذكرة: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤]. و﴿إِنّ هذهِ تَذْكِرَةٌ﴾[٥].

٩- الذكرى: ﴿فِي هذهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنينَ﴾[٦].

١٠- البيان: ﴿هذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٧].

١١- الهدى: ﴿ذلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨].

١٢- الشفاء: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾[٩].

١٣- الحكم: ﴿وَكَذلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾[١٠].

١٤- الحكمة: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٤٨.

(٥) سورة المزمل، الآية: ١٩.

(٦) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٩) سورة فصلت، الآية: ٤٤

(١٠) سورة الرعد، الآية: ٣٧.

وَالْحِكْمَةِ﴾[١].

١٥- الحكيم: ﴿ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[٢].

١٦- المهيمن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[٣].

١٧- الهادي: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[٤].

١٨- النور: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾[٥].

١٩- الرحمة: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

٢٠- العصمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً﴾[٧].

٢١- النعمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٨].

٢٢- الحقّ: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[٩].

٢٣- التبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١٠].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ١-٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٦) سورة النمل، الآية: ٧٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٨) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٩) سورة الحاقة، الآية: ٥١.

(١٠) سورة النحل، الآية: ٨٩.

٢٤- البصائر: ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(١).

٢٥- المبارك: ﴿هذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾(٢).

٢٦- المجيد: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(٣).

٢٧- العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾(٤).

٢٨- العظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(٥).

٢٩- الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(٦).

٣٠- السراج: ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(٧).

٣١- المنير: ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(٨). بناءً على كون السراج المنير هو القرآن الذي أنزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

٣٢- البشير: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾(٩).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.

(٣) سورة ق، الآية: ١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٩) سورة فصلت، الآيتان: ٣-٤.

٣٣- النذير: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[١].

٣٤- الصراط: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٢].

٣٥- الحبل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تفرَّقُوا﴾[٣].

٣٦- الروح: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[٤].

٣٧- القصص: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[٥].

٣٨- الفصل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[٦].

٣٩- النجوم: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[٧]. بناءً على كون النجوم هنا بمعنى النزول التدريجي للقرآن.

٤٠- العجب: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً﴾[٨].

٤١- القيّم: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾[٩].

٤٢- المبين: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَـابِ الْمُبِينِ﴾[١٠].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤.

(٢) سورة الحمد، الآية: ٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٦) سورة الطارق، الآية: ١٣.

(٧) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

(٨) سورة الجن، الآية: ١.

(٩) سورة الكهف، الآيتان: ١-٢.

(١٠) سورة يوسف، الآية: ١.

٤٣- العليّ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[١].

٤٤- الكلام: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٢].

٤٥- القول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾[٣].

٤٦- البلاغ: ﴿ هذا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾[٤].

٤٧- المتشابه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾[٥].

٤٨- العربّي: ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٦].

٤٩- العدل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾[٧].

٥٠- البشرى: ﴿هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

٥١- الأمر: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾[٩].

٥٢- الإيمان: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾[١٠].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٨) سورة النمل، الآية: ٢.

(٩) سورة الطلاق، الآية: ٥.

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

٥٣- النّبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[(١)].

٥٤- الوحي: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾[(٢)].

٥٥- العلم: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[(٣)].

مفهوم السورة والآية

السورة من سور البلد الذي يحيط به، شبهت السورة به لإحاطتها بآياتها، كما يحيط السور بالمنازل في البلد.

وهناك من ذهب إلى أنّ السورة بمعنى المكانة والمنزلة الرفيعة، فعن ابن فارس: أنّ من معاني السورة العلو والارتفاع، وسار يسور بمعنى الغضب والإنبعاث. كما تسمى كل طبقة من البناء سورة.

قال أبو الفتوح: (اعلم أنّ السورة بمعنى المنزلة، من منازل الشرف)، والدليل على ذلك قول النابغة الذبياني:

ألم تـرَ أنّ اللهَ أعطـاكَ سـورةً ... ترى كلَّ ملكٍ دونَها يتذبـذبُ

وقيل: إنما سمي سور المدينة سوراً؛ لارتفاعه وعلوه[(٤)].

وهناك من ذهب إلى أنّ سورة مأخوذة من «سؤر» بمعنى بقية الشيء والقطعة منه، قال أبو الفتوح في هذا المعنى:

---

(١) سورة النبأ، الآيتان: ١و ٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٧.

(٤) **روض الجنان**: ١: ٩ المقدمة.

أنّ الذي يهمز الواو يعيد أصل الكلمة إلى (سؤر الماء) وهو البقية منه في الآنية.

وتقول العرب: (**أسأرت في الإناء**) إذا أبقى في الإناء شيئاً. ومن هنا قال الشاعر الأعشى بني ثعلبة:

فبانت وقد أسأرَت في الفؤا د صدعاً على نأيها مستطيرا[1]

وعليه فإن السورة كانت في الأصل سؤرة، ثم خفت لتسهيلها على النطق والتلفظ بها، وأُبدلت واواً، وقد أجمع القراء على قراءتها كذلك، ولم يقرأها أي واحد في جميع مواضع ورودها التسعة في القرآن مهموزة.

أما الآية فتعني العلاّمة، لأنّ كل آية في القرآن دليل على صحة كلام الله تعالى، أو أنّ كل آية تشتمل على حكم من الأحكام الشرعية، أو حكمة أو موعظة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَات بَيِّنَات وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ**﴾[2]. و﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ وَأَنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[3]. و﴿**...كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[4].

قال الجاحظ:

(سمّى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على

---

(١) روض الجنان ١: ٩ المقدّمة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

الجملة والتفصيل. سمّى جملته قرآناً كما سمّوه ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية)[1].

وقال الراغب الإصفهاني:

واشتقاق الآية إما من «آي» فإنها هي التي تبيّن آياً من آي، أو من قولهم: آوي إليه. والصحيح إنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبّت والإقامة على الشيء. يقال: تأيَّ، أي: ترفق. أو من قولهم: آوى إليه. وقيل للبناء العالي: «آية» نحو: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾. ولكلّ جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من سورة، وقد يقال لكلّ كلام منه منفصل بفصل لفظي: آية. وعلى هذا اعتبار آيات السور التي تعبّر بها السورة[2].

يجدر بنا أن نشير باختصار إلى أنّ اشتمال كل سورة على مجموعة من الآيات هو أمر توقيفي، وأن أصغر سورة وهي سورة الكوثر مشتملة على ثلاث آيات. وأنّ أكبر سورة هي سورة البقرة حيث تشتمل على (٢٨٦) آية. ومهما كان فان عدد الآيات في كل سورة قلّ أو كثر قد اشتملت عليه السور بأمرٍ من النبي الأكرمﷺ وبقيت إلى الآن كما كانت عليه، وفي ذلك سر كامن يعود إلى إعجاز القرآن وتناسب آياته.

(١) **الإتقان:** ١: ١٤٣.

(٢) **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الإصفهاني: «مادة أي».

أسماء السور

إنّ أسماء السور كعدد الآيات ضمن كل سورة توقيفي وبأمر من شخص النبي الأكرمﷺ، وأنّ لأكثر السور اسماً واحداً، وهناك من السور ما له إسمان أو أكثر، وقد كانت هذه التسميات طبقاً لطريقة العرب تحدث لأدنى مناسبة(١)، وإليك قائمة بأوجه بعض التسميات:

البقرة: لم يستعمل لفظ البقرة ولا الحديث عنها إلا في هذه السورة، وأنها وإن وردت في الآية (١٤٤) و(١٤٦) من سورة الأنعام بلفظ «البقر»، وفي الآية ٤٣ و٤٦ من سورة يوسف بلفظ «البقرات»، ولكنها في هذه المواضع لم تشتمل على التفصيل الذي اشتملت عليه في سورة البقرة.

آل عمران: ورد لفظ «آل عمران» في هذه السورة مرتين فقط، ولم يرد في غيرها أبداً.

النساء: ذكرت أحكام النساء في سبع عشرة آية من هذه السورة بالتفصيل.

المائدة: لم يرد لفظ المائدة في القرآن إلا في هذه السورة، حيث ذكر مرتين في الآية (١١٢) و(١١٤).

الأنعام: تحدثت ست آيات من هذه السورة عن الأنعام وبشكل أكثر من سائر سور القرآن.

الأعراف: ورد لفظ الأعراف مرتين في هذه السورة فقط، وذلك في الآيتين: (٤٦) و(٤٨)، ولم يرد في أي موضع آخر من القرآن.

---

(١) البرهان: ١: ٢٧٠. الإتقان: ١: ١٥٩.

الأنفال: ورد لفظ الأنفال مرتين في الآية الأولى من هذه السورة فقط.

البراءة: تحدثت عن البراءة من المشركين، ولم يتكرر هذا الأمر في غيرها من السور.

يونس: هي السورة الوحيدة التي تحدّثت عن النبي يونسعليه السلام.

هود: هي السورة الوحيدة التي تحدّثت عن النبي هودعليه السلام.

يوسف: تكرر اسم هذا النبي خمساً وعشرين مرّة في هذه السورة.

الرعد: هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها تسبيح الرعد وذلك في الآية (١٣)، أما في سورة البقرة فلم يذكر الرعد إلا منفرداً دون بيان حالة تسبيحه.

إبراهيم: تحدّثت بالتفصيل عن دعاء النبي إبراهيمعليه السلام بشأن مكة المكرّمة وذريته الطيبة.

الحجر: السورة الوحيدة التي جاء فيها ذكر أصحاب الحجر.

النحل: السورة الوحيدة التي تحدّثت عن النحل.

الإسراء: السورة الوحيدة التي تحدّثت عن الإسراء.

الكهف: السورة الوحيدة التي تحدّثت عن أصحاب الكهف.

مريم: هي السورة الوحيدة التي تعرضت لبيان سيرة السيدة مريم العذراء أُمّ المسيح ابتداءً من قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ**﴾ من الآية (١٦) إلى (٣٥)، وأما في سورة آل عمران فقد تمّ بيان سيرتها تحت عنوان آل عمران.

طه: بدأت بلفظ (طه).

الأنبياء: السورة الوحيدة التي تحدّثت عن الأنبياء المعروفين لدى العرب.

الحج: تحدّثت الآيات من (٢٥) إلى (٣٨) عن أحكام الحج بالتفصيل، وتم فيها الإعلان عن الحج بقوله: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾.

المؤمنون: حيث بدأت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

النور: لمكان ورود آية النور فيها.

الفرقان: ذكر القرآن في هذه السورة بإسم الفرقان، حيث بارك الله نفسه فيها.

الشعراء: السورة الوحيدة التي جاء فيها لفظ الشعراء.

النمل: هي السورة الوحيدة التي تحدّثت عن النمل.

القصص: ورد في هذه السورة قوله تعالى: ﴿**قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ**﴾ فعلاً ومصدراً، ورغم أنّ سورة يوسف قد احتوت على قوله تعالى: ﴿**نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ إلا أنّ الأولوية في هذه السورة كانت ليوسف عليه السلام فسمّيت بإسمه.

العنكبوت: السورة الوحيدة التي ذكر فيها العنكبوت.

الروم: السورة الوحيدة التي ذكر فيها خبر الروم.

السجدة: سميّت بذلك لاشتمالها على آية السجدة، ورغم وجود آيات أخرى تجب فيها السجدة من سور العزائم، إلا أنّ الأولوية في تلك السور كانت لتسميات أخرى.

الأحزاب: السورة الوحيدة التي أشارت إلى وقعة الأحزاب.

سبأ: السورة الوحيدة التي ورد فيها لفظ «سبأ».

فكما لاحظتم فإن هناك مناسبة في كل تسمية، وطبعاً أنّ العلل التي

تذكر في هذه التسميات ليست حاصرة (لا طرداً ولا عكساً) إذ يكفي في التسمية أدنى مناسبة.

تعدّد أسماء بعض السور

إنّ لأكثر السور إسماً واحداً فقط، وهناك من السور ماله اسمين أو أكثر لأسباب خاصة، مثل سورة الحمد حيث تُعرف أيضاً بفاتحة الكتاب، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني، وقد ذكر لها جلال الدين السيوطي أكثر من عشرين إسماً.

وإنما سميت الحمد بفاتحة الكتاب؛ لافتتاح القرآن بها، ولكونها أول سورة في القرآن، لا من حيث الترتيب في المصحف الراهن فحسب، بل لكونها أول سورة كاملة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وأما «**أم الكتاب**» فالأم بمعنى الغاية والهدف، وإنما سميت الحمد بـ (أم الكتاب) لاشتمالها على جميع الغايات والمقاصد والأهداف القرآنية، رغم قصرها ومن هنا اعتبرت أفضل السور القرآنية.

وأما سبب تسميتها بـ «**السبع المثاني**» فلاشتمالها على سبع آيات، ولكونها من السور القصيرة التي تعرف بـ «**المثاني**». ولإمكان تكرارها وإمكان تلاوتها أكثر من سائر السور.

وفيما يلي نذكر سوراً متعددة الأسماء:

---

(١) **الإتقان**: ١: ١٥١.

التوبة = البراءة.

الإسراء[١] = سبحان = بني إسرائيل.

النمل = سليمان.

غافر = مؤمن.

فصلت = السجدة.

محمّد = القتال.

القمر = اقتربت.

الملك = تبارك.

المعارج = سأل = واقع.

النبأ = عمّ.

البيّنة = لم يكن.

الماعون = الدين = أرأيت.

المسد = تبّت.

التوحيد = الإخلاص[٢].

الدهر = الإنسان = هل أتى.

---

(١) وجاء أسرى بصيغة الفعل الماضي، من مصدر الإسراء أيضاً.

(٢) **الإتقان**: ١: ١٥٥-١٥٩.

قريش = الإيلاف.

الشرح = الانشراح.

أسماء الأجزاء المختلفة لسور القرآن

١ـ **السبع الطوال**: وتحتوي على سبع سور طويلة وهي :

البقرة، وآل عمران، والنساء، والأعراف، والأنعام، والمائدة، ويونس.

٢ـ **المئين**: وهي السور التي يتجاوز عدد آياتها المائة، ولكنها لا تبلغ السور الطوال في حجمها، وهي قرابة اثني عشرة سورة، ومنها:

هود، ويوسف، والنحل، والكهف، ومريم، الخ.

٣ ـ **المثاني**: السور التي لا يبلغ عدد آياتها المئة، وهي قرابة عشرين سورة، سميت بالمثاني؛ لإمكان تكرارها، ولقصرها يمكن قراءتها لأكثر من مرة.

٤ـ **الحواميم**: وهي سبع سور تبدأ بالحروف المقطعة (حم)، وهي: المؤمن، فصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

٥ ـ **الممتحنات**: قرابة عشرين سورة، وهي: الفتح، والحشر، والسجدة، والطلاق، والقلم، والحجرات، وتبارك، والتغابن، والمنافقون، والجمعة، والصف، والجن، ونوح، والمجادلة، والممتحنة، والتحريم.

٦ـ **المفصلات**: وتبدأ من المفصلات إلى آخر القرآن، وإنما سميت بالمفصلات لتقارب فواصل الآيات فيها.

إعراب أسماء السور

إنّ اسم كل سورة علم لها، وعليه إذا ضُمّ إلى العلمية سبب آخر من

موانع الصرف، أصبح الاسم «**غير منصرف**»، فمثلاً، سور: يوسف، ويونس، وإبراهيم، ولقمان، وسبأ، تكون مما لا ينصرف للعلمية والعجمة.

وسور: عبس، وفصلت، واقترب، وقل أوحي، وتبارك، وتبت، ولم يكن، مما لا ينصرف بسبب العلمية ووزن الفعل.

وسور: الفاتحة، والتوبة، والبراءة، وقريش، ومريم، مما لا ينصرف بسبب العلمية والتأنيث.

وسور: آل عمران، والإنسان، والرحمن، مما لا ينصرف بسبب العلمية وإضافة الألف والنون. وأما غير ذلك من السور فهي مما ينصرف، لمكان (أل) التي هي للتعريف، والاسم إذا كان معرفة فهو منصرف.

وهناك من أسماء القرآن ما هو مبني بسبب تكونه من حرفٍ واحد أو حرفين، مثل: ق، وص، ويس، وطه.

وهناك منها ما يقرأ على الهيئة التي أصبحت بها علماً، فمثلاً: (المطففين) تكتب بالياء، رفعاً ونصباً وجرّاً، ويظهر إعرابها على النون. وأما المؤمنون والكافرون والمنافقون، فهي بالواو دائماً، وذلك بملاحظة صرف الحالة الأولى التي نقلت بها. قال أبو حيان التوحيدي:

ما سمّي منها بجملة تحكى، نحو:﴿**قل أوحي**﴾[(١)]، و﴿**أتى أمر الله**﴾[(٢)]، أو بفعل لا ضمير فيه، أُعرب إعراب ما لا ينصرف [وذلك لخروجها عن

(١) سورة الجن، الآية: ١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١.

كونها جملة أو فعلاً وصيرورتها إسماً] وما سمّي منها بإسم.. غير حرف هجاء، فإن كان فيه اللام انجرّ [وكان معرباً] وإلا منع [من] الصرف[١].

عدد سور القرآن وآياته

نزل القرآن بمئة وأربعة عشر سورة على هيئتها الراهنة بلا زيادة أو نقصان، وقد وصلت إلينا بنقل التابعين عن الصحابة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا العدد متواتر، وما زاد عليه غير معتبر، وما نقص عنه ليس عليه دليل. قيل: إنّ مصحف عبد الله بن مسعود كان فاقداً لسورة الحمد والمعوذتين (الناس والفلق)، وذلك لأنه كان يتصور أن الحمد عدل القرآن وأنها مستقلة عنه، كما ورد في وصفها في القرآن: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[٢]. حيث جعل الحمد التي هي السبع المثاني في قبال القرآن. وأما المعوذتان، فلم يعتبرهما قرآناً، وإنما دعاءان لدفع العين وإبطال السحر، أنزلها الله على النبي وحياً ليعيذ بهما الحسن والحسين عليهما السلام من إصابتها بالعين، ولذلك كان ابن مسعود يعمد إلى حكهما متى وجدهما في مصحف ويقول: «**لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه**».

وأما مصحف أُبيّ بن كعب فكان مشتملاً على مائة وخمس عشرة سورة، وذلك لأنه كان يعتبر سورة الفيل وقريش سورة واحدة، ولم يكن يفصل بينهما بالبسملة. وأضاف سورتين بإسم الحفد والخلع إلى القرآن.

---

(١) **الاتقان** ١: ١٦٢-١٦٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

أما تحديد فواصل الآيات ونهاية كل آية فهو أمر توقيفي، وكان يتم بإشراف من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وليست مسألة اجتهادية، وعليه يعتمد في صحتها على صحة النقل واستقامته، فلا تنتهي الآية باستيفاء الجملة معناها كاملاً، بل قد تنتهي الآية قبل اكتمال الجملة، فيتم إكمالها في الآية التالية. وأما اختلاف المتقدمين الطفيف في حجم الآيات، فسببه أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يمكث أحياناً على مواطن ولا يواصل التلاوة، فيتصور بعض السامعين أنّ الآية قد انتهت، مع أنه واصل قراءته في الكثير من التلاوات الأخرى.

نقل عن ابن عباس أنه قال:

(جميع آيات القرآن (٦٦٠٠) آية، وجميع حروف القرآن (٣٢٠٦٧١)، وأما كلمات القرآن فهناك اختلاف فيها، فهناك من ذهب إلى أنها: (٧٧٢٧٧)، وهناك من ذهب إلى أنها: (٧٧٩٣٤)، وهناك من ذهب إلى أنها: (٧٧٤٣٤)).

أما العدد الصحيح للآيات طبقاً لرواية الكوفيين التي هي أصح الروايات فهو: (٦٢٣٦) آية، وهو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام[1]. وهو ما عليه المصحف الراهن أيضاً، وهو مبني على اعتبار البسملة في الفاتحة آية، دون عدّها آية مستقلة في فواتح السور الأخرى، واعتبار بعض الحروف المقطعة في أوائل بعض السور آية، ولكن هناك اختلاف في عدد الآيات من كل سورة[2].

(١) راجع: **الإتقان**: ١: ١٨٩-١٩٠ و١٩٧.

(٢) المصدر المتقدم: ١٩٠-١٩٥.

عدد آيات السور* طبقاً لرواية الكوفيين

ت	السورة	عدد الآيات	ت	السورة	عدد الآيات	ت	السورة	عدد الآيات	ت	السورة	عدد الآيات
١	الحمد	٧	٣٣	الأحزاب	٧٣	٦٥	الطلاق	٢	٩٧	القدر	٥
٢	البقرة	٢٨٦	٣٤	سبأ	٥٤	٦٦	التحريم	١٢	٩٨	البيّنة	٨
٣	آل عمران	٢٠٠	٣٥	فاطر	٤٥	٦٧	الملك	٣٠	٩٩	الزلزلة	٨
٤	النساء	١٧٦	٣٦	يس	٨٣	٦٨	القلم	٥٢	١٠٠	العاديات	١١
٥	المائدة	١٢٠	٣٧	الصافات	١٨٢	٦٩	الحاقة	٥٢	١٠١	القارعة	١١
٦	الأنعام	١٦٥	٣٨	ص	٨٨	٧٠	المعارج	٤٤	١٠٢	التكاثر	٨
٧	الأعراف	٢٠٦	٣٩	الزمر	٧٥	٧١	نوح	٢٨	١٠٣	العصر	٣
٨	الأنفال	٧٥	٤٠	غافر	٨٥	٧٢	الجن	٢٨	١٠٤	الهمزة	٩
٩	التوبة	١٢٩	٤١	فصلت	٥٤	٧٣	المزمل	٢٠	١٠٥	الفيل	٥
١٠	يونس	١٠٩	٤٢	الشورى	٥٣	٧٤	المدثر	٥٦	١٠٦	قريش	٤
١١	هود	١٢٣	٤٣	الزخرف	٨٩	٧٥	القيامة	٤٠	١٠٧	الماعون	٧
١٢	يوسف	١١١	٤٤	الدخان	٥٩	٧٦	الإنسان	٣١	١٠٨	الكوثر	٣
١٣	الرعد	٤٣	٤٥	الجاثية	٣٧	٧٧	المرسلات	٥٠	١٠٩	الكافرون	٦
١٤	إبراهيم	٥٢	٤٦	الأحقاف	٣٥	٧٨	النبأ	٤٠	١١٠	النصر	٣
١٥	الحجر	٩٩	٤٧	محمّد	٣٨	٧٩	النازعات	٤٦	١١١	المسد	٥
١٦	النحل	١٢٨	٤٨	الفتح	٢٩	٨٠	عبس	٤٢	١١٢	الإخلاص	٤
١٧	الإسراء	١١١	٤٩	الحجرات	١٨	٨١	التكوير	٢٩	١١٣	الفلق	٥
١٨	الكهف	١١٠	٥٠	ق	٤٥	٨٢	الانفطار	١٩	١١٤	الناس	٦
١٩	مريم	٩٨	٥١	الذاريات	٦٠	٨٣	المطففين	٣٦			
٢٠	طه	١٣٥	٥٢	الطور	٤٩	٨٤	الانشقاق	٢٥			
٢١	الأنبياء	١١٢	٥٣	النجم	٦٢	٨٥	البروج	٢٢			

* مجموع آيات كلّ السور (٦٢٣٦) آية، وهو موافق لرواية الكوفيين عن ابن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمن السلمي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢٢	الحج	٧٨	٥٤	القمر	٥٥	٨٦	الطارق	١٧			
٢٣	المؤمنون	١١٨	٥٥	الرحمن	٧٨	٨٧	الأعلى	١٩			
٢٤	النور	٦٤	٥٦	الواقعة	٩٦	٨٨	الغاشية	٢٦			
٢٥	الفرقان	٧٧	٥٧	الحديد	٢٩	٨٩	الفجر	٣٠			
٢٦	الشعراء	٢٢٧	٥٨	المجادلة	٢٢	٩٠	البلد	٢٠			
٢٧	النمل	٩٣	٥٩	الحشر	٢٤	٩١	الشمس	١٥			
٢٨	القصص	٨٨	٦٠	الممتحنة	١٣	٩٢	الليل	٢١			
٢٩	العنكبوت	٦٩	٦١	الصف	١٤	٩٣	الضحى	١١			
٣٠	الروم	٦٠	٦٢	الجمعة	١١	٩٤	الانشراح	٨			
٣١	لقمان	٣٤	٦٣	المنافقون	١١	٩٥	التين	٨			
٣٢	السجدة	٣٠	٦٤	التغابن	١٨	٩٦	العلق	١٩			

وبذلك يكون مجموع آيات جميع السور (٦٢٣٦) آية حيث تطابق رواية الكوفيين عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السُلمي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الفصل الثالث

جمع القرآن وتأليفه

إنّ جمع القرآن وتأليفه على شكله الراهن لم يتم في وقت واحد، بل كان على مرّ الزمان ومختلف الأشخاص والفئات، إلا أنّ ترتيب الآيات وتنظيمها وعددها في كل سورة إنما حدث في حياة النبي وبأمر منه، فهي توقيفية وعلينا أخذها تعبداً، وتلاوة السورة كما هي. وكان نزول كل سورة يبدأ بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وكانت الآيات تدرج فيها على ترتيب النزول، حتى تنزل بسملة جديدة لتعلن بداية نزول سورة جديدة، وهذا هو التنظيم الطبيعي للآيات، وقد يتفق أحياناً أن يقوم النبي الأكرمصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بإشارة من جبريل، فيأمر بإدراج آية من سورة أخرى على خلاف النظم الطبيعي كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(١). حيث قيل أنّها من آخر الآيات نزولاً، فأمر النبي بوضعها بين آيات الربا وآية الدين من سورة البقرة. ومهما كان؛ فأنّ نظم الآيات سواءً أكان طبيعياً أو بإشارة وأمر من النبي، إنما هو توقيفي لا يخضع للأذواق والاجتهادات.

وأما فيما يتعلق بترتيب ونظم السور. فهناك اختلاف بين العلماء. حيث

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

ذهب السيد المرتضى علم الهدى وكثير من المحققين وآية الله السيد الخوئي رحمه الله إلى أنّ القرآن الذي بين أيدينا، إنما كان بهذا الشكل في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث كان محفوظاً في صدور الصحابة، ومن المستبعد أن يغفل النبي مسألة بمثل هذه الأهمية، ليقوم غيره بمهمة نظم القرآن وترتيبه.

وهذا الرأي غير مقبول؛ إذ أنّ حفظ بعض الصحابة أو جمعهم للقرآن لا يشكل دليلاً على أنّ ما حفظوه أو جمعوه كان على الترتيب الراهن للسور. إذا قام كل شخص بحفظ وضبط ما نزل من القرآن حتى ذلك اليوم سمي حافظاً وجامعاً للقرآن، مع أنّ نزول القرآن لم يكتمل بعد. وعليه فأنّ حفظ القرآن لا يستلزم منه الترتيب الراهن له. أما أهمية هذه المسألة فلم تتضح بشكل جيد، فالمهم هو اكتمال السور واستقلالها عن بعضها حتى لا تشتبه آيات كل سورة بالآيات في غيرها من السور، وهذا ما تم تحقيقه في حياة النبي صلى الله عليه وآله. أما الترتيب بين السور فلم يكن قبل اختتام نزول القرآن، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان على قيد الحياة ويحتمل نزول القرآن عليه في كل وقت. وعليه من الطبيعي أن يبادر الصحابة إلى ترتيب سور القرآن بعد اليأس من نزول شيء آخر من القرآن، وذلك إنما يكون بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

من هنا فقد ذهب أكثر المحققين والمؤرخين استناداً إلى الروايات الواردة في هذا الخصوص إلى أنّ جمع السور وترتيبها إنما حدث بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكان أول من جمع القرآن هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن ثم زيد بن ثابت وغيره من كبار الصحابة. وعليه فإن جمع الصحابة للقرآن بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعتبر من الوقائع التاريخية

المفروغ عنها.

إنّ الإمام علي عليه السلام كان أول شخص بادر إلى جمع القرآن بعد وفاة النبي الأكرم مباشرة، حيث جاء في الروايات أنه قعد في بيته ستة أشهر حتى أكمل جمع القرآن، قال ابن النديم:

(فهو أول مصحف جمع فيه القرآن وكان هذا المصحف عند آل جعفر. ... ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن).[1]

ونقل محمّد بن سيرين عن عكرمة:

(لما كان بدء خلافة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته يجمع القرآن. قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلّفوه هذا التأليف ما استطاعوه. قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه).[2]

وقال ابن جزي الكلبي:

(كان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي جمعه علي بن أبي طالب على ترتيب

---

(١) الفهرست: ٤٧ـ ٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢: ١٠١، الاستيعاب بهامش الإصابة: ٢: ٢٥٣، الاتقان: ١: ٥٧.

نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير).[(١)]

وصف مصحف الإمام علي عليه السلام

كان المصحف الذي جمعه الإمام علي بن أبي طالب يتمتع بمزايا فريدة لم تتوفر عليها سائر المصاحف الأخرى، ومنها الأمور الآتية:

أولاً: أنّه رتب السور والآيات بشكل دقيق، وطبقاً لنزولها الزمني فكان ترتيب السور المكية قبل السور المدنية، مع توضيح المراحل التاريخية لنزول الآيات، وبذلك يمكن فهم المسار الطبيعي لتسلسل التشريع والأحكام، وخاصة مسألة الناسخ والمنسوخ.

ثانياً: أُلّف هذا المصحف وفقاً لقراءة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهي القراءة الصحيحة وبذلك لا يتطرق فيه أي خلاف فيما يتعلق بالقراءات، وبذلك يمكن فهم مضمون القرآن ومحتواه بالشكل الصحيح، وهو أمر مهم للغاية، إذ كثيراً ما يؤدي الاختلاف في القرآن إلى سلوك المفسر طريقاً خاطئاً في تفسيره، وهذا ما لم يكن ليقع أو يحدث في المصحف الذي جمعه الإمام علي عليه السلام.

ثالثاً: كان هذا المصحف مشتملاً على التنزيل والتأويل وأسباب نزول الآيات والسور، وكان ذلك بطبيعة الحال على هامش المصحف. وكانت هذه التهميشات خير أداة لفهم معاني القرآن ورفع الكثير من مبهماته. ومضافاً إلى بيان أسباب النزول، كانت هناك تأويلات أيضاً، وهي عبارة عن

(١) ابن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**: ١: ٤، وكذلك **التمهيد**: ج١.

فهم عام وشامل يساعد على كشف الموارد الخاصة في الآيات، قال الإمام عليعليه السلام: «**ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل**».

وقال أيضاً:

«ما نزلت آية على رسول اللهصلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي ما دعا».[1]

وعليه لو وصل إلينا هذا المصحف المشتمل على هذه الأمور الدقيقة، لتمّ التغلب على أكثر المشاكل المستعصية حالياً في فهم معضلات القرآن الكريم[2].

مصير مصحف الإمام عليعليه السلام

روى سليم بن قيس الهلالي (ت:٩٠ هـ) وهو من خلّص أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام عن سليمان المحمّدي:

(لما رأى أمير المؤمنين غدر الناس به، لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه. وكان في

(١) البلاغي ،محمّد جواد، آلاء الرحمن: ج١، ص٢٥٧.

(٢) تفسير البرهان: ج١، ص١٦، ح١٤.

الصحف والشظاظ والأشار والرقاع).

وفي رواية اليعقوبي:

(حمله على جمل، وأتى به إلى القوم، وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد. وخاطبهم قائلاً: «إني لم أزل منذ قبض رسول اللهصلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله وتجهيزه، ثمّ بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها، وليس منه آية إلاّ وقد أقرأنيها رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها، أن تقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين». فقام إليه رجل من كبار القوم، فنظر فيه وإذا فيه أشياء؛ فقال: يا علي، أردده فلا حاجة لنا فيه، ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعونا إليه. فقال الإمام علي: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه». ثمّ دخل بيته، ولم يرَ أحدٌ ذلك القرآن بعدها أبداً).(١)

وفي عهد عثمان حيث احتدم الخلاف بين الصحابة حول المصاحف سأل طلحة بن عبد الله الإمام أمير المؤمنينعليه السلام لو يخرج للناس مصحفه الذي جمعه بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله وأتى به إلى القوم فرفضوه، فقال:

(وما يمنعك أن تخرج كتاب الله إلى الناس؟!، فكفّعليه السلام عن الجواب أولاً، فكرر طلحة السؤال، فقال: لا أراك يا أبا الحسن

(١) السقيفة: ٨٢.

أجبتني عما سألتك من أمر القرآن ألا تظهره إلى الناس؟ فقال عليه السلام: «يا طلحة عمداً كففت عن جوابك. فأخبرني عما كتبه القوم، أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟» قال طلحة: بل قرآن كله. فقال عليه السلام: «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة..» قال طلحة: حسبي، أما إذا كان قرآناً فحسبي)[1].

وقد أراد الإمام علي عليه السلام من وراء ذلك الحفاظ على الوحدة بين المسلمين، والمحافظة على سلامة النصّ القرآني أيضاً.

جمع زيد بن ثابت

لقد أوصى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بجمع القرآن والحفاظ عليه من الضياع[2]، وصيانته من التحريف، كما تعرضت له التوراة عند اليهود، وقد امتثل الإمام علي عليه السلام وأنجز هذه الوصية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة كما تقدم ذكره وقد عرضه على القوم، ولكنهم رفضوه لأسباب خاصة. ولكن لما كان القرآن هو المصدر الأول لتشريع الدين الإسلامي، وقاعدة لقيام المجتمع الإسلامي، من هنا كان على الخلفاء الاستفادة من كتاب الوحي في عملية جمع القرآن، وأن يشمروا عن سواعدهم لجمع القرآن وما تفرق منه في الأكتاف والعسب وصدور الرجال، وسد الفراغ الحاصل بعد استشهاد

(١) المصدر المتقدم: ١٢٤.

(٢) تفسير القمي: ٧٤٥.

سبعين أو أربعمائة من حفاظ القرآن في حرب اليمامة[١].

ومن هنا دعا الخليفة الأول زيد بن ثابت لجمع القرآن، قال زيد في ذلك:

(أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعمر جالس عنده. قال: إنّ هذا ـ وأشار إلى عمر ـ أتاني وقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وأخاف أن يستحرّ بهم القتل في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن، وأشارَ عليّ بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال: هو والله خير. فلم يزل يراجعني عمر حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت الذي رأى عمر..ثمّ قال زيد: قال لي أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فتتبع القرآن واجمعه.. قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبلٍ من مكانه لم يكن أثقل عليّ مما كلفوني به، فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فلم يزل أبو بكر وعمر يلحان عليّ حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.. قال زيد: فقمت أتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال).[٢]

---

(١) **فتح الباري**: ٧: ٤٤٧.

- قتل في تلك الواقعة (٣٦٠) من المهاجرين والأنصار القاطنين في المدينة، و(٣٠٠) من المهاجرين القاطنين في خارجها، و(٣٠٠) من التابعين (**تاريخ الطبري**: ٢: ٥١٦).

(٢) **صحيح البخاري**: ٦: ٢٢٥. **مصاحف السجستاني**: ٦. **الكامل في التاريخ** لابن أثير: ٢: ٢٤٧ و٣: ٥٦. **البرهان**: ١: ٢٣٣.

طريقة زيد في جمع القرآن

اشتغل زيد بجمع القرآن بعد أن كان متفرقاً، وقد قام بذلك ضمن لجنة من بعض الصحابة، وكان أول ما قام به أن وجّه نداءً عاماً إلى ملأ الناس: (من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من القرآن فليأت به). وجاء في رواية اليعقوبي: أنّه ألّف لجنة من خمسة وعشرين عضواً[(١)]، ترأسهم بنفسه. وكان اجتماعهم على باب المسجد يومياً، والناس يأتونهم بآي القرآن وسوره، كلّ حسب ما عنده من القرآن. وكانوا لا يقبلون من أحدٍ شيئاً حتى يأتي بشاهدين يشهدان بصحة ما جاء به. الشاهد الأول عبارة عن نسخة خطية، أي كتابة تدل على أنّ هذا المكتوب من الوحي القرآني. والشاهد الثاني من حفظ أحد الصحابة، أي يشهد أحد الصحابة بأنه سمع هذه الآية أو السورة من رسول الله صلى الله عليه وآله[(٢)]، وهنا أمران جديران بالملاحظة:

١- قبلت آيتان من آخر سورة براءة من خزيمة بن ثابت الأنصاري، دون مطالبته بشاهد يشهد له بصحة ما جاء به، لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عدّ شهادته بشهادتين[(٣)].

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**: ٢: ١١٣.

(٢) مع غض النظر عن تحفظنا تجاه هذا النوع من الجمع نقول: أنّ عد شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري شهادتين تدل على كفاية الشاهدين عن حفظ دون الحاجة إلى شهادة خطية، والذي يدل على ذلك أيضاً أن عمر حين جاء بعبارة «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» أرادوا منه شاهداً آخر ولم يشترطوا أن يكون هذا الشاهد مكتوباً، فكان يمكن لعمر أن يأتي بصحابي آخر ليشهد على مدعاه من حفظه. المعرّب.

(٣) **مصاحف السجستاني**: ٦ـ ٩، و**صحيح البخاري**: ٦: ٢٢٥، وكذلك **أسد الغابة**: ٢: ١١٤.

٢- لم تقبل عبارة (الشيخ والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما البتة نكالاً من الله) التي كان عمر قد جاء بها متصوّراً أنها من القرآن، حيث طلب منه أن يأتي بشاهد آخر، فلم يتمكن من ذلك، فقد أنكر الجميع أن يكونوا قد سمعوا هذه العبارة من رسول الله. وقد بقي عمر على إصراره على كونها من القرآن إلى آخر حياته، وكان يقول: (لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي).

وهكذا جمع زيد الآيات والسور القرآنية من التفرق وخطر التحريف، وكان يحفظ كل سورة بعد اكتمالها في أديم باسم «**الربعة**» حتى اكتملت السور كلها، دون أن يكون هناك أي ترتيب بين السور[١]، ثم أودعت هذه السور عند أبي بكر، ثم انتقلت بعده إلى عمر، وبعد وفاة عمر احتفظت به حفصة. وعند توحيد المصاحف في عهد عثمان استعاره منها؛ ليقارن سائر النسخ به، ثم أعاده إليها، ولما ماتت أخذه مروان من ورثتها وكان حينها والياً لمعاوية على المدينة وأتلفه[٢].

مصاحف الصحابة

وبعد وفاة النبي الأكرمﷺ، وعدم تلقي الجهاز الحاكم مصحف الإمام علي عليه السلام بالقبول، قام عدد من الصحابة غير زيد بن ثابت بجمع

(١) ابن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير ابن كثير**: ١: ٢٦١ و**البرهان**: ٢: ٣٥ و**الإتقان**: ١: ٥٨ و**فتح الباري**: ٩: ١٦، والزرقاني، **مناهل العرفان**: ١: ٢٥٤، وأحمد أمين المصري، **فجر الإسلام**: ١٩٥.

(٢) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: ٧: ٤٤٩ و**التمهيد**: ١: ٣٠٠.

القرآن أيضاً، منهم: عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري.

وقيل: إن أول من جمع القرآن في مصحف ككتاب منظم، هو سالم مولى أبي حذيفة، وبعد أن جمعوا القرآن تشاوروا فيما يسمونه، فقال بعضهم: سمّوه «**السفر**»، فقال سالم: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه. ثم قال سالم: (**رأيت مثله في الحبشة يُسمّى المصحف**). فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه المصحف[1]. وفيما يلي نستعرض تعريفاً ببعض مصاحف الصحابة وخصائصها.

مصحف ابن مسعود

كان لمصحف ابن مسعود الخصائص الآتية:

١- ترتيب السور على أساس الطول والقصر على النحو الآتي: السبع الطوال، والمئين، والمثاني، والحواميم، والممتحنات، والمفصلات.

٢- احتواء هذا المصحف على مائة واحدى عشرة سورة، وذلك لعدم تضمنه لسورة الحمد والمعوذتين (الفلق والناس)، حيث كان هدفه من جمع القرآن حفظه من الضياع، وبما أنه لا يمكن تصور ضياع الحمد، وذلك لتكرارها في الصلوات اليومية الخمس، لم يجد ضرورة إلى إدراجها في مصحفه[2]. أو لأنّ الحمد عدل القرآن، فلا ينبغي ضمها إلى القرآن، وأما

---

(١) راجع: **الكامل في التاريخ**: ٣: ٥٥ والإتقان: ١: ٥٨ و**مصاحف السجستاني**: ١١-١٤.

(٢) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**: ٤٨-٤٩.

دليله على عدم إدراج المعوذتين في مصحفه، فلأنه كان يذهب إلى عدم اعتبارهما قرآناً، وإنما هما مجرد دعاءين لدفع العين والحسد وإبطال السحر، وقد أوحى بهما الله إلى نبيه ليعوّذ بهما الحسنين، ويبعد عنهما أعين الحاسدين. وكان كلما وجدهما في مصحف عمل على حكهما وإزالتهما منه قائلاً: (لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه). وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما في صلاته[(١)].

٣- قال صاحب كتاب الإقناع: (كانت البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود. وقال: ولا يؤخذ بهذا).[(٢)]

٤- وقد خالف ابن مسعود في مصحفه، المشهور في كثير من الآيات والكلمات القرآنية، حيث كان يرى إمكان تبديل الكلمات القرآنية بما يرادفها، وكان يقول: كلما أشكل على شخص النطق بكلمة أو أشكل فهمها، أمكن إبدالها بكلمة أسهل منها شرط أن يكون لها نفس المعنى، ولذلك أبدل كلمة «زخرف» بكلمة «ذهب»، وكلمة «عهن» أبدلها بكلمة «صوف». كما علّم يوماً أعجمياً فأشكل عليه التلفظ بكلمة «الأثيم» فأجاز له قراءة الآية على النحو الآتي: «**انّ شجرة الزقوم طعام الفاجر**»، بدلاً من «**طعام الأثيم**»[(٣)].

٥- كما كان ابن مسعود في مصحفه هذا يستبدل بعض الكلمات

---

(١) **الدر المنثور**: ٦: ٤١٦-٤١٧. **فتح الباري**: ٨: ٥٨١.

(٢) **الإتقان**: ١: ٦٥.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**: ٤: ١٩٣، وتفسير **الرازي**: ١: ٢١٣، وتفسير **الطبري**: ١٥: ١٦٣، و٢٣: ٩٦ و**تأويل مشكل القرآن**: ٢٤.

لتوضيح معنى الآية، ففي قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[١] كان يقول: «....فاقطعوا أيمانهما»؛ إذ لم يكن معروفاً من الآية أي يد يجب قطعها. أو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾[٢] كان يقرؤها: (وأقيموا الوزن باللسان)؛ لأنّ إقامة الوزن بالميزان يتم عبر تساوي اللسانين في كفتي الميزان. أو قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[٣] يقرؤها: (إني نذرت للرحمن صمتاً...) لأنّ الصوم المنذور هنا هو صوم السكوت[٤].

٦- كان يضيف أحياناً من عنده بعض الألفاظ والكلمات إلى آيات القرآن ولم تكن هذه الإضافات التوضيحية التي اعتاد عليها السابقون بكثرة لتؤثر في النص القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [فاختلفوا] فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، فكانت إضافة كلمة (فاختلفوا)؛ لإيضاح أنّ بعثة الأنبياء إنما كانت بعد ظهور الاختلاف[٥]. وبناء على ما ذكره السيوطي عن ابن مردويه أنه قال: كان ابن مسعود يقول: كنا على عهد

---

(١) سورةالمائدة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٩.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٤) راجع: **تفسير الطبري**: ٨: ٤٢١ و**الكشاف**: ١: ٤٥٩؛ أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**: ٢: ٧٧؛ شمس الدين الذهبي، **تذكرة الحفاظ**: ١: ٣٤٠ و**الإتقان**: ١: ٤٧ و**صحيح البخاري**: ٦: ٢٢٨.

(٥) **الكشاف**: ١: ٢٥٥.

النبي نقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ [أن علياً مولى المؤمنين] وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١). إلا أنّ هذا النوع من الإضافات أثار بعض التساؤلات ومنها مسألة تحريف القرآن، إلا أن الكثير من هذه النسب غير صحيحة ويحتمل أن يكون للسياسة دخل في اختلاق الكثير منها على لسان ابن مسعود، خصوصاً إذا أخذنا مواقفه المعروفة تجاه الحكومات المعاصرة له. مضافاً إلى أنّ الكثير من هذه الإضافات كانت ذات طابع تفسيري وتوضيحي مما جرت عليه العادة آنذاك، حيث كان الصحابة يكتبون بعض الشروح التفسيرية على هامش مصاحفهم، ويعملون على نقلها إلى الناس من أجل المحافظة على مفهوم الآيات ومعانيها(٢).

مصحف ابيّ بن كعب

كانت خصائص مصحف أُبي بن كعب كالآتي:

١- كان ترتيب مصحف أُبي بن كعب شبيهاً بترتيب ابن مسعود ويختلف عنه في وضعه سورة الأنفال بعد سورة يونس وقبل سورة براءة، كما اختلفت عنه في تقديم وتأخير بعض السور، كما أنه كان مشتملاً على الحمد والمعوذتين خلافاً لمصحف ابن مسعود.

٢- اشتمل مصحف أُبيّ بن كعب على دعائين بإسم الخلع والحفد على

---

(١) الدر المنثور: ٢: ٢٩٨.

(٢) راجع: التمهيد: ١: ٣٢٠-٣٢٢.

خلاف المصاحف الأخرى توهماً منه أنهما سورتين، فأدرجهما في القرآن، مع أنهما من أدعية القنوت.

أما صورة دعاء الخلع فهي: «**بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك**».

وأما صورة دعاء الحفد فهي: «**بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد. نخشى عذابك ونرجو رحمتك. إن عذابك بالكفار ملحق**»(١).

٣- عدّ أُبي بن كعب سورة الفيل وقريش سورة واحدة، فوضعهما في القرآن دون أن يفصل بينهما بالبسملة(٢). وقد جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ من قرأ سورة الفيل في صلاته وجب عليه بعدها أن يقرأ سورة قريش ولكن مع ذكر البسملة بين السورتين(٣)، أي أنّ هاتين السورتين تعدان في القراءة سورة واحدة، ولكنهما في النص القرآني سورتان. وهذه الرواية تثبت خلاف ما عليه مصحف أُبي بن كعب. وعليه فقد احتوى مصحف أُبي بن كعب على (١١٦) سورة.

٤- افتتح مصحف أُبي بن كعب سورة الزمر بـ (حم) وبذلك ارتفعت سور الحواميم عنده إلى ثمان سور في حين أنها في المصاحف الأخرى لا

---

(١) **الإتقان**: ١: ٦٥.

(٢) المصدر المتقدّم: ١: ٦٤ـ ٦٥.

(٣) **وسائل الشيعة**: ج٤، أبواب القراءة في الصلاة، الباب العاشر.

تتجاوز السبع[1].

٥- كما اختلفت قراءة هذا المصحف عن المشهور، حيث تم إبدال بعض الكلمات فيه إلى ما يرادفها، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾[2]. والموجود في مصحف أُبي «**قالوا يا ويلنا من هبنا من مرقدنا**». وفي قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْاْ فِيهِ**﴾، قال: «مروا فيه» أو «سعوا فيه»[3]. وأضاف بعض الكلمات للشرح والتوضيح، على النحو الآتي: ﴿**فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّام** [متتابعات] **فِي الْحَجِّ**﴾[4]، حيث أنّ الكلمة المضافة إنما هي لبيان أنّ هذه الأيام الثلاثة لابد من الإتيان بها على التوالي. أو في قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ** [إلى أجل مسمى] **فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾. فالعبارة المضافة لتوضيح أنّ المراد من الآية هو متعة النكاح المنقطع دون الدائم[5]. وهكذا قوله تعالى: ﴿**إِنّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا** [من نفسي فكيف أظهركم عليها] **لِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا تَسْعَى**﴾[6].

كما تقدم أن قلنا في معرض الحديث عن مصحف ابن مسعود، لا ينبغي عدّ هذه الإضافات التوضيحية والتفسيرية في مصاحف الصحابة تحريفاً بالزيادة في القرآن، يؤدي إلى تطرقه إلى القرآن الموجود بين

---

(١) **الإتقان**: ١: ٦٤.

(٢) **تفسير الطبرسي**: ٨: ٤٢٨.ياسين: ٥٢.

(٣) **الإتقان**: ١: ٤٧، سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٤) **الكشاف**: ١: ٢٤٢، سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٥) **تفسير الطبري**: ٥: ٩..، سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٦) ابن خالويه، **شواذ القراءات**: ٨٧، سورة طه، الآية: ١٥.

أيدينا. وطبعاً أنّ هذا الأسلوب كان سائداً ومتبعاً ولكنه هجر فيما بعد.

مصاحف غير معروفة

يتضح من بعض كتب القرآن أنّ اختلاف قراءات الصحابة كان عائداً إلى اختلاف المصاحف التي جمعوها، وأن الهدف من وراء توحيد عثمان للمصاحف كان سببه اختلافهم هذا في القراءات، فعمد إلى إتلاف المصاحف بعد توحيد المسلمين على مصحف واحد لدرء الاختلاف، قال ابن خطيب:

(إنّ القراءات المختلفة المنقولة عن رجال الصدر الأول والصحابة كانت موجودة في مصاحفهم).(١)

وفيما يلي إشارة إلى القراءات الشاذة في بعض تلك المصاحف:

١ـ مصحف عائشة(٢)

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر (ص ١٥). والقراءة المشهورة: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾(٣) (ص١٥).

إن يدعون من دونه إلا أوثاناً... (ص ٢٩).

---

(١) **الفرقان في جمع وتدوين القرآن**: ١١٠.

(٢) جاء في صحيح البخاري: أنّ عراقياً سأل عائشة مصحفها ليستنسخ منه، مما يدل على وجود مصحف لعائشة كما للآخرين، (**صحيح البخاري**: ٦: ٢٢٨. **فتح الباري**: ٩: ٣٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

والقراءة المشهورة: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلا إِنَاثاً﴾[١].

إنكم وما تدعون من دون الله حطب جهنم (ص ٩٣).

والقراءة المشهورة: ﴿أَنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٢].

إذ تلِقونه... (ص ١٠٠).

والقراءة المشهورة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾[٣].

والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة... (ص ٩٠).

والقراءة المشهورة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾[٤].

إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأوَل. (الإتقان، ج٣، ص٧٣).

والقراءة المشهورة: ﴿إِنّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٥].

٢ـ مصحف معاذ بن جبل

إلا أنّ يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضاء الأمر... (ص ١٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

(٣) سورة النور، الآية: ١٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

والقراءة المشهورة: ﴿...وَقُضِيَ الأَمْرُ...﴾[1].

ومن يكِسّب خطيئة... (ص ٢٨).

والقراءة المشهورة: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً...﴾[2].

أنّ الذين يكِسّبون الإثم... (ص ٤٠).

والقراءة المشهورة: ﴿أنّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمِ...﴾[3].

وبالله لأكيدنّ... (ص ٦٥).

والقراءة المشهورة: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ...﴾[4].

وإذا ألقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرنون (ص ١٠٤).

والقراءة المشهورة: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ...﴾[5].

يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشّاد [بتشديد الشين] (ص ١٣٢).

والقراءة المشهورة بتخفيف الشين[6]. قال ابن خالويه: (**رشّاد [بالتشديد] صفة مبالغة يراد منها، الله تبارك وتعالى**).

٣ـ مصحف أبي الدرداء

لو أطاعونا ما قتّلوا... [بتشديد التاء] (ص ٢٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ٣٨.

والقراءة المشهورة بتخفيفها[١].

من بعد وصيّةٍ يوصّي بها أو دين... (ص ٢٥).

والقراءة المشهورة: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّة يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْن...﴾[٢].

قليلاً ما تتذكرون... (ص ٤٢).

والقراءة المشهورة: ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

بالغدوّ والأيصال... (ص ٤٨).

والقراءة المشهورة: ﴿بِالْغُدُوِّ والآصَالِ...﴾[٤].

ما كان للنبيّ أن يكون له أسرى (ص ٥٠).

والقراءة المشهورة: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾[٥].

ليخرج الناس من الظلمات إلى النور... (ص ٦٨).

والقراءة المشهورة: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٦].

ما كان ينبغي لنا أن نُتَخَّذ من دونك من أولياء (ص ١٠٤).

والقراءة المشهورة: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾[(١)].

من أزواجنا وذرياتنا قرّات أعين. وما أخفي لهم من قرّات أعين (ص ١١٨).

والقراءة المشهورة ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الموضعين[(٢)].

ما كَذّبَ الفؤاد ما رأى... (ص ١٤٦).

والقراءة المشهورة بتخفيف الذال وفتحها[(٣)].

كعصفٍ ماَكول [بفتح الهمزة] (ص ١٨٠).

والقراءة المشهورة بتسكينها[(٤)].

٤- مصحف عثمان

إنّ ربك هو الخالق العليم (ص ٧١).

والقراءة المشهورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[(٥)].

ويهيا لكم من أمركم مرفقاً (ص ٧٨).

والقراءة المشهورة: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِن أَمْرِكُم مِرْفَقاً﴾[(٦)].

ليلا يعلم أهل الكتاب (ص ١٥٣).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٨.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧؛ سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٣) سورة النجم، الآية: ١١.

(٤) سورة الفيل، الآية: ٥.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٦.

(٦) سورة الكهف، الآية: ١٦.

والقراءة المشهورة: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَـبِ﴾[١].

وإن كان ذا عسرةٍ فنظرة إلى ميسرة (ص ١٧).

والقراءة المشهورة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَة فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَة﴾[٢].

وإني خَفَّتِ الموالي من ورائي (ص ٨٣).

والقراءة المشهورة: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾[٣].

٥- مصحف أنس بن مالك

ملك يوم الدين (ص ١).

والقراءة المشهورة: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤].

فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما (ص ١١).

والقراءة المشهورة: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٥].

والمقيمون الصلاة (ص ١١).

والقراءة المشهورة: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾[٦].

حتى يتطهّرن فإذا تطهّرن (ص ١٤).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥.

(٤) سورة الحمد، الآية: ٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

والقراءة المشهورة: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾[١].

كشجرةٍ طيبةٍ ثابت أصلها (ص ٦٨).

والقراءة المشهورة: ﴿كَشَجَرَة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾[٢].

إني نذرت للرحمن صوماً وصمتاً (ص ٨٤).

والقراءة المشهورة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً﴾[٣].

توحيد المصاحف

كما تقدم أن ذكرنا، فإنّ فترة ما بعد وفاة النبي الأكرمصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت فترة جمع القرآن. حيث بادر كبار الصحابة كلّ بما لديه من كفاءة إلى جمع الآيات وترتيب السور القرآنية، وضمنه كل واحدٍ منهم في مصحفه الخاص، كما كان هناك من يلجأ إلى غيره في استنساخ مصحف له، أو يكتب له بعض الآيات والسور. وبذلك انتشرت نسخ القرآن مع اتساع رقعة الدول الإسلامية، ومع ازدياد عدد المسلمين مسّت الحاجة إلى نسخ جديدة للقرآن، حيث إنّه التشريع السماوي الوحيد الذي يتعيّن على المسلمين تنظيم حياتهم على أساسه، فهو مصدر أحكامهم وقوانينهم ومناسكهم.

وحازت بعض تلك المصاحف على مكانة مرموقة في بعض الحواضر الإسلامية تبعاً لمكانة جامعها، فكان مصحف عبد الله بن مسعود مصحفاً

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٦.

لأهل الكوفة[١]، كما أضحى مصحف أُبيّ بن كعب مصحفاً لأهل البصرة، ومصحف المقداد بن الأسود مصحف أهل دمشق.

اختلاف المصاحف

كان جامعو المصاحف كثيرين، ولم يكن هناك تنسيق فيما بينهم في عملية جمعهم للقرآن، كما أنهم لم يكونوا على نسق واحد من الكفاءة والعلم، ولذلك كان كل مصحف يختلف عن غيره في الأسلوب والترتيب والقراءة وما إلى ذلك.

وقد أدىّ هذا الاختلاف بين المصاحف إلى ظهور الاختلاف بين الناس، وقد يحدث أن يلتقي المسلمون ببعضهم كأن يكونوا من بلاد مختلفة، فتجمعهم ساحة حرب أو غيرها من المناسبات، وبفعل العصبية للمذهب والمعتقد يبدأ كل واحدٍ منهم بتكفير الآخر فيحتدم النزاع والجدال بينهم.

وإليك بعض الأمثلة حول الخلافات التي وقعت بين الناس بشأن المصاحف وتعصب بعضهم لقراءة بعض أصحاب المصاحف:

١- في غزوة مرج أرمينية بعدما قفل حذيفة راجعاً قال لسعيد بن العاص:

(لقد رأيت في سفري هذا أمراً لئن ترك ليختلفنّ في القرآن! ثمّ لا يقومون عليه أبداً! قال سعيد: وما ذاك؟ قال: رأيت اُناساً من أهل حمص يزعمون أنّ قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا

---

(١) كانت الكوفة آنذاك معقلاً للعلم والمعارف الإسلامية على أعلى المستويات.

القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: أنّ قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا على ابن مسعود. وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا على أبي موسى الأشعري، ويسمّون مصحفه "لباب القلوب". فلما وصل ركب حذيفة وسعيد إلى الكوفة، أخبر حذيفة الناس بذلك، وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكثيرٌ من التابعين، وعارضه أصحاب ابن مسعود قائلين: ما تنكر، ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟! فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعرابٌ فاسكتوا، فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتينّ أمير المؤمنين [يعني عثمان] ولأشيرنّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. ولما التقى حذيفة بابن مسعود أشار عليه بالأمر، ولكن ابن مسعود أغلظ له بالقول، فغضب سعيد وقام، وتفرّق الناس، وغضب حذيفة وسار إلى عثمان).(١)

٢- روي عن يزيد النخعي أنه قال:

(إنّي لفي المسجد [مسجد الكوفة] زمن الوليد بن عقبة، وكان والياً على الكوفة من قبل عثمان، في حلقةٍ فيها حذيفة بن اليمان. وليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة [أي: لم يكن للمسجد آنذاك سدنة ولا حفظة] إذ هتف هاتفٌ: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ١١١.

الأشعري، فليأت الزاوية عند باب كندة. ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، فليأت الزاوية عند دار عبد الله، فاختلفا في قراءة آية من سورة البقرة، قرأ هذا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾. وقرأ هذا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾؛ فغضب حذيفة واحمرّت عيناه، ثمّ قام ففرز قميصه في حجزته وهو في المسجد، فقال: أما أن يركب إلى أمير المؤمنين وأما أركب، فهكذا كان من قبلكم)!

وفي رواية ابن أبي الشعثاء أن حذيفة قال:

(قراءة ابن أمّ عبد! وقراءة أبي موسى الأشعري! والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين، لآمرنه بجعلها قراءة واحدة.. فغضب عبد الله، فقال كلمة شديدة فسكت حذيفة).

وفي رواية ثالثة: قال حذيفة: (يقول أهل الكوفة: قراءة عبد الله! ويقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى! والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لآمرنه بغرق هذه المصاحف! فقال له عبد الله: أما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء [يعني: سقر]).[1]

قال ابن حجر:

(إن ابن مسعود قال لحذيفة: بلغني عنك كذا. قال: نعم، كرهت أن يقال: قرأ فلان، وقرأ فلان، فيختلفون كما اختلف

---

(١) مصاحف السجستاني: ١١-١٤.

أهل الكتاب).[١]

٣- روى ابن أشتة عن أنس بن مالك:

(اختلفوا في القرآن على عهد عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل [أحد أصحاب المصاحف] والمعلم يعلم قراءة الرجل [أي: رجل آخر من أصحاب المصاحف] فكان الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين؛ فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان بن عفان؛ فقال: عندي تكذبون به، وتلحنون فيه، فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً ولحناً).[٢]

٤- عن محمّد بن سيرين أنه قال:

(كان الرجل يقرأ، حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول! فرفع ذلك إلى عثمان؛ فتعاظم في نفسه، فجمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار).[٣]

٥- وعن بكير الأشج:

(أنّ أناساً بالعراق كان يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها قال [أي: السائل]: ألا إني أكفر بهذه القراءة، ففشا ذلك في الناس؛ فتكلم بعضهم مع عثمان في ذلك).[٤]

---

(١) فتح الباري: ٩: ١٥.

(٢) الإتقان: ١: ٥٩. مصاحف السجستاني: ٢١.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣: ٦٢. مصاحف السجستاني: ص٢٥.

(٤) فتح الباري: ٩: ١٦.

إنّ حوادث من هذا القبيل حول قراءة القرآن والاختلاف فيه، كان بالإمكان أن تؤدي إلى كوارث وفتن كبيرة، لولا غيرة رجال نابهين مثل حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه.

دخول حذيفة إلى المدينة

عاد حذيفة من غزاة أرمينية مستاءً من خلاف الناس في القرآن. فشاور عدداً من الصحابة في الكوفة لإيجاد حلّ لهذه المشكلة قبل تفاقمها. فكان رأيه أن يحملوا عثمان على توحيد المصاحف، وإجبار المسلمين على قراءة واحدة، فأجمع الصحابة على صواب ذلك[1]، باستثناء عبد الله بن مسعود، فتوجه حذيفة بأسرع ما يمكن إلى المدينة، ليحمل عثمان على إدراك أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله قبل تفرقها.

قال حذيفة لعثمان:

(أنا النذير العيان، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى! قال عثمان: وما ذاك؟ قال حذيفة: غزوت مرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة اُبي بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، ويأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً)![2]

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ١١١.

(٢) صحيح البخاري: ٦: ٢٢٥. مصاحف السجستاني: ١٩-٢٠. الكامل في التاريخ: ٣: ١١١.

عثمان يستشير الصحابة

إنّ هذه الحادثة ونظائرها دعت عثمان إلى تدارك الخطر، وكان ذلك مشروعاً عظيماً وظاهرة إبداعية لم يلتفت إليها أحد من قبل، مضافاً إلى ما يواجه هذه العملية من عقبات، وذلك بسبب انتشار العديد من هذه المصاحف في البلاد القريبة والبعيدة، مع ملاحظة أنّ وراء كل مصحف رجال من كبار الصحابة لم يكن من السهل تجاوزهم طبقاً للأعراف السائدة بين المجتمع الإسلامي آنذاك، وكان يحتمل أن يتحزب كل فريق إلى مصحفه ويدافع عنه ولو بخوض الحرب، الأمر الذي يشكل عقبة كأداء أمام عملية توحيد المصاحف. من هنا فقد قام عثمان بعقد اجتماع ضم عدداً من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ممن كان في المدينة، واستشارهم في هذا الأمر، فاجمعوا على إنجاز هذا المشروع مهما كان الثمن. قال ابن الأثير: (فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة).(١)

لجنة توحيد المصاحف

سارع عثمان إلى توحيد المصاحف، فكان أول ما قام به أن وجّه نداءً إلى الصحابة عامة يدعوهم إلى الإسهام في إنجاز هذا المشروع(٢). ثم اختار أربعة منهم من خواصه وهم: زيد بن ثابت، وهو أنصاري، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهم

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ١١١.

(٢) الإتقان: ١: ٥٩. مصاحف السجستاني: ٢١.

قريشيون، وهؤلاء النفر هم الأعضاء الأوائل في لجنة توحيد المصاحف[(١)]، وكانت لزيد الرئاسة عليهم، كما يظهر من تذمر ابن مسعود واستنكاره استئمار زيد لهذا المنصب حيث قال:

(يا معشر المسلمين، أأُعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، والله لقد أسلمت وأنه لفي صلب رجل كافر).[(٢)]

يريد بذلك زيد بن ثابت. ومع ملاحظة هذه الخلافات والاعتراضات أخذ عثمان يشرف على هؤلاء الأربعة بنفسه[(٣)]، إلا أنّ هذه اللجنة لم تستطع القيام بهذه المهمة الخطيرة. فاستعانوا بأبيّ بن كعب، ومالك بن أبي عامر، وكثير بن أفلج، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، ومصعب بن سعد[(٤)]، وعبد الله بن فطيمة[(٥)]، وعلى رواية ابن سيرين:

ابن سعد ومع الأربعة المتقدمين يكتمل عددهم اثني عشر رجلاً[(٦)].

وفي هذه المرحلة كانت الرئاسة مع أُبيّ بن كعب فكان هو يملي عليهم وهم يكتبون، قال أبو العالية:

إنهم جمعوا القرآن من مصحف اُبي بن كعب. فكان رجال يكتبون

(١) صحيح البخاري: ٦: ٢٢٦.
(٢) الإتقان: ١: ٥٩، ومصاحف السجستاني: ٢١.
(٣) مصاحف السجستاني: ٢٥.
(٤) إرشاد الساري: ٧: ٤٤٩.
(٥) مصاحف السجستاني: ٣٣.
(٦) المصدرالسابق، وراجع: طبقات ابن سعد: ٣: ٦٢ القسم الثاني.

ويملي عليهم أُبي بن كعب[(١)].

وقال ابن حجر:

(وكأن ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد، حيث سأل عثمان: من أكتب الناس؟ قالوا: زيد. ثمّ قال: فأي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد. فقال: فليمل سعيد وليكتب زيد[(٢)]. ثم قال: احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثم استظهروا بأُبي بن كعب في الإملاء).[(٣)]

موقف الصحابة من توحيد المصاحف

تقدم أن ذكرنا أنّ حذيفة بن اليمان كان أول من تكلم في توحيد المصاحف وحلف ليأتين الخليفة وليأمرنه بجعلها قراءة واحدة[(٤)]، وهو الذي استشار من كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ فوافقوه على كلامه باستثناء ابن مسعود.

فجمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة وشاورهم في ذلك، فأجمعوا على تأييد الفكرة.

---

(١) مصاحف السجستاني: ٣٠.

(٢) فتح الباري: ٩: ١٦.

(٣) فتح الباري: ٩: ١٦. طبقات ابن سعد: ٣: ٦٢، القسم الثاني. ابن حجر العسقلاني؛ تهذيب التهذيب في أسماء الرجال: ١: ١٧٨.

(٤) فتح الباري: ٩: ١٥.

وهكذا أبدى أمير المؤمنين عليه السلام رأيه الموافق للمشروع من الناحية المبدئية، فقد روى ابن أبي داود عن سويد بن غفلة أن علياً عليه السلام قال:

«فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا، استشارنا في أمر القراءات، وقال: بلغني أنّ بعضهم يقول: قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، فقلنا: فماذا رأيت؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت».(١)

وفي رواية أخرى أن علياً عليه السلام قال: «**لو وليت أمر المصاحف ما ولي عثمان، لفعلت كما فعل**»(٢).

وبعد تولي الإمام علي عليه السلام أمر الخلافة دعا الناس إلى الالتزام بمصحف عثمان ولا يغيروا فيه حتى ما كان فيه من أخطاء إملائية، حفظاً لكتاب الله من أن تطاله يد التحريف بعد ذلك. بحجّة إصلاحه، وقال علي عليه السلام بهذا الصدد: «**لا يهاج القرآن بعد اليوم**».

وذكروا: أنّه قرأ رجل بمسمع الإمام: ﴿**وَطَلْحٍ مَنضُودٍ**﴾(٣)، فجعل الإمام يترنم في نفسه قائلاً: ما شأن الطلح؟! إنما هو طلع، كما في قوله تعالى: ﴿**لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ**﴾(٤). إلا أنّ هذا لم يكن اعتراضاً من الإمام على القارئ، ولا

---

(١) **الإتقان**: ١: ٥٩.

(٢) ابن الجزري: **النشر في القراءات العشر**: ١: ٨.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة ق، الآية: ١٠.

دعوة إلى تغيير الكلمة، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به الإمام عليه السلام[١]. ولكن كان هناك قريبٌ منه من سمع منه ذلك فهب إليه يسأله: ألاّ تغيّره؟ فانبرى الإمام عليه السلام مستغرباً هذا الطلب، وقال كلمته الحاسمة: «**أنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول**»[٢].

موقف الأئمة عليهم السلام في الحفاظ على المصحف

قرأ رجل عند الإمام الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن على خلاف ما يقرأه الناس، فقال له الإمام: «**كفّ عن هذه القراءة وأقرأ كما يقرأ الناس**».

كما قال عليه السلام في جواب من سأله عن الترتيل في القرآن: «**أقرءوا كما علمتم**»[٣].

ومن هنا فقد أجمع الشيعة على أنّ ما بأيدينا من المصحف هو القرآن

---

(١) وهو كلام كما ترى غريب من نوعه، ولا ينسجم مع الاعتقاد بعدم تحريف القرآن بزيادة أو نقصان أو تغيير، ويتنافى مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ**﴾، وعليه لا بد من التعامل مع هذا الكلام المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو بريء منه قطعاً، وفقاً للقواعد العامة التي أسسها الأئمة في عرض الروايات المنسوبة إليهم على القرآن فان خالفته –كما هو الحال في هذه الرواية- رمينا بها عرض الجدار، ثمّ إننا لم نفهم الكلمة الاعتذارية التي تروى عن أمير المؤمنين والتي وصفت بالحاسمة وهي قوله: «أنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل» هل هو القرآن الذي تكفل الله بحفظه من التحريف، أو القرآن الذي تحول طلعه إلى طلح؟! المترجم.

(٢) **تفسير الطبري**: ٢٧: ١٠٤. **تفسير الطبرسي**: ٩: ٢١٨.

(٣) **وسائل الشيعة**: ج ٤، أبواب قراءة القرآن.

كله[١]، لم تمسّه يد التحريف أبداً، وأن القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة التي تجوز القراءة بها في الصلاة، إلى غير ذلك من أحكام أجروها على النصّ الموجود، واعتبروه هو القرآن الذي أوحي إلى النبيﷺ ولم يعتبروا شيئاً سواه.

وأما مخالفة ابن مسعود فلا نتصّور أنها كانت جوهرية، وإنما أغضبه انتداب أشخاص غير أكفاء لمثل هذا المشروع الخطير، وكان يرى نفسه أجدر من غيره في التصدي لهذه المسؤولية، وكان يقول: إن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرّفوا في القرآن من تلقاء أنفسهم[٢]. ومن هنا فقد أبى إباءً شديداً أن يدفع مصحفه إلى رسول الخليفة.

عام توحيد المصاحف

قال ابن حجر:

كانت هذه القصّة في سنة خمس وعشرين، في السنة الثانية أو الثالثة[٣] من خلافة عثمان. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنّ ذلك كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك

---

(١) **بحار الأنوار**: ٩٢: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) **طبقات ابن سعد**: ٣: ٢٧٠.

(٣) وذلك بسبب الاختلاف في تاريخ بداية خلافة عثمان، فقد ذهب البعض إلى أنها العشرة الأخيرة من ذي الحجّة، سنة ٢٣هـ حيث بايعه الناس فيها؛ فتكون لجنة توحيد المصاحف قد تمّ تأسيسها في بداية السنة الثالثة من خلافة عثمان. وهناك قولٌ آخر يذهب إلى أنّ بيعة عثمان قد تمّت في العشرة الأولى من المحرم سنة ٢٤، وعليه تكون اللجنة قد تأسست في أواخر السنة الثانية من خلافة عثمان، (راجع: **تاريخ الطبري**: ٣: ٣٠٤. ٤: ٢٤٢).

مستنداً[1].

وذهب ابن الأثير وغيره من غير تحقيق إلى اعتبار هذه الواقعة من أحداث سنة ثلاثين للهجرة، حيث قال:

وفي هذه السنة غزا حذيفة الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وفيها رأى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس في القرآن، فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن ففعل[2].

ويبدو أن ابن الأثير قد أخطأ في تحديد السنة، وذلك:

أولاً: أنّ حرب أرمينية طبقاً لرواية أبي مخنف كانت في عام ٢٤ للهجرة وقد رواها الطبري[3]. وقال ابن حجر:

أرمينية فتحت في خلافة عثمان، وكان أمير العسكر من أهل العراق: سلمان بن ربيعة الباهلي. وكان عثمان قد أمر أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أمير أهل الشام في ذلك العسكر: حبيب بن سلمة الفهري وكان حذيفة من جملة من غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن، وهو من جملة أعمال العراق...[4].

---

(١) فتح الباري: ٩: ١٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ١١١. الفتوحات الإسلامية: ١: ١٧٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٤: ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) فتح الباري: ٩: ١٣-١٤.

ثانياً: أنّ الغزوة التي غزاها عبد الرحمن بن ربيعة حدثت في سنة (٢٢)، وكان معه حذيفة بن أسيد الغفاري، وليس حذيفة بن اليمان العبسي[١].

ثالثاً: في عام ٣٠ تولى سعيد ولاية الكوفة خلفاً للوليد، وفي هذه المدّة كان يتجهز لحرب طبرستان، وكان معه في هذه الغزاة ابن الزبير وابن عباس وحذيفة[٢]، ولم يعد سعيد إلى المدينة حتى عام (٣٤)، وفي العام التالي قتل عثمان[٣]. وعليه من خلال الالتفات إلى كون سعيد أحد أعضاء لجنة توحيد المصاحف، فإن كان عمل هذه اللجنة قد بدأ في عام (٣٠) لم يطابق الأحداث المذكورة، كما أنه لا يتفق مع عضوية ابن الزبير وابن عباس في تلك اللجنة.

رابعاً: روى الذهبي أن أُبيّ بن كعب قد توفي عام (٣٠)، وأضاف قائلاً:

وقال الواقدي: هو أثبت الأقاويل عندنا، مع العلم أنّ أُبياً كان مملياً على الأعضاء، وكان مرجعهم الأعلى في النسخ والمقابلة[٤].

خامساً: أنّ حديث يزيد النخعي الذي تقدّم ذكره يثبت أنّ هذا الأمر قد حدث قبل عام (٣٠)، وجاء في كلام ابن حجر أن هذه الواقعة قد حدثت في بداية ولاية الوليد على الكوفة[٥]، وكانت ولاية الوليد على الكوفة عام (٢٦)،

---

(١) **تاريخ الطبري:** ٤: ١٥٥.

(٢) المصدر المتقدم: ٢٦٩-٢٧١.

(٣) المصدر المتقدم: ٣٣٠-٣٦٥.

(٤) الذهبي، **ميزان الاعتدال:** ٢: ٨٤. راجع: **طبقات ابن سعد:** ٣: ٦٢ القسم الثاني.

(٥) **فتح الباري:** ٩: ١٣-١٤.

وفي رواية أخرى كانت في عام (٢٥هـ)[(١)].

سادساً: أقوى دليل على أنّ بداية مشروع توحيد المصحف كانت في عام (٢٥)، رواية ابن أبي داود عن مصعب بن سعيد، حيث قال: (خطب عثمان بدء قيامه بجمع القرآن فقال: إنما قبض نبيّكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن! عزمت على من عنده شيءٌ من القرآن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتاني به).[(٢)]

ومن خلال الالتفات إلى وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في السنة الهجرية العاشرة، فإن خطبة عثمان تثبت بوضوح أنّ البدء بتوحيد المصاحف كان في العام (٢٥) للهجرة. الأمر الآخر أنّ ابن الأثير ينفرد برواية توحيد المصاحف ضمن أحداث (٣٠) للهجرة، دون أن يدعم رأيه بدليل.

من جهة أخرى لا بد من التحقيق والتدقيق عند ذكر الوقائع التاريخية المهمة. هذا وأنّ الطبري نفسه لا يثق كثيراً بما يذكره من الأحداث التاريخية، وأحياناً يشكك في تاريخ حدوثها، كما هو الأمر في وقعة نهاوند، فيتردد بين وقوعها ضمن حوادث عام (١٨)، أو (٢١) للهجرة[(٣)].

وعليه لا ينبغي الاعتماد على صرف ما يقوله المؤرخون في التعرف على تاريخ الحوادث بدقة. وأنّ الوصول إلى التاريخ الصحيح لوقوع حادثةٍ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤: ٢٥١.

(٢) مصاحف السجستاني: ٢٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٤: ١١٤.

ما بحاجة إلى تحقيق شامل من جميع الجهات.

مراحل إنجاز المشروع

إنّ لجنة توحيد المصاحف قد أنجزت مسؤوليتها عبر ثلاث مراحل:

١- جمع المصاحف الصحيحة لإعداد مصحف على أساسها وتوزيعه على المسلمين في الأمصار.

٢- مقابلة المصاحف للوثوق من صحتها وعدم الاختلاف فيما بينها.

٣- جمع المصاحف أو الصحف التي فيها شيء من القرآن من جميع الأمصار لغاية محوها وإتلافها.

ومن ثمّ إلزام جميع المسلمين على القراءة في هذا المصحف وعدم الاحتفاظ بالمصاحف والقراءات الأخرى. إلا أنّ لجنة توحيد المصاحف لم تراعِ الدقة في جميع هذه المراحل الثلاث، وتسامحت في مهمتها، خاصة فيما يتعلق بالمرحلة الثانية (مقابلة المصاحف) رغم أنها كانت أجدر بمراعاة الدقة والتثبت.

وفيما يتعلق بالمرحلة الثالثة أرسل عثمان بعض الأشخاص إلى مختلف الأقطار الإسلامية لجمع المصاحف التي فيها شيء من القرآن، وأمر بإحراقها[1].

قال اليعقوبي:

(وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثمّ سلقها

---

(١) صحيح البخاري: ٦: ٢٢٦.

بالماء الحار والخل. وقيل: أحرقها. فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك، خلا مصحف ابن مسعود، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر. فكتب إليه عثمان أن أشخصه. فدخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابّة سوء. فكلم ابن مسعود بكلام غليظ. فأمر به عثمان فجرّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً).[(١)]

في مستهل المرحلة الأولى كان عثمان يتصور أنّ العملية سهلة؛ ولذلك أوكل الأمر إلى جماعة كانت تعوزها الكفاءة. فاضطر بعدها إلى تشكيل لجنة أخرى أكثر كفاءة مثل كبير القراء الصحابي الجليل أُبي بن كعب[(٢)]، وكذلك طالب حفصة بالصحف التي تم جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر، فامتنعت حفصة للوهلة الأولى من تسليمها؛ وربما كان ذلك منها لخوفها من أن يقوم عثمان بإتلافه، حتى تعهد لها عثمان بإرجاعه إليها، فأعطته إليه ليقوم بمطابقة سائر المصاحف واستنساخها عليه[(٣)].

ومن جهة أخرى أعلن عثمان لجميع المسلمين أنّ كل من كان عنده شيء من القرآن سمعه من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يأتي به[(٤)]، فجاءه

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٩-١٦٠.
(٢) تهذيب التهذيب: ٣: ١٨٧. طبقات ابن سعد: ٣: ٦٢ القسم الثاني.
(٣) مصاحف السجستاني: ٩. صحيح البخاري: ٦: ٢٢٦.
(٤) مصاحف السجستاني: ٢٤.

المسلمون بما كان عندهم من قرآن مكتوب على الألواح والأكتاف والرقاع، ربما توقعت لجنة جمع القرآن أن يأتيهم الذين حضروا آخر مرة قام بها النبي بعرض القرآن عليهم فيعطوهم آيات القرآن التي عندهم، قال ابن سيرين:

كانوا إذا تدارؤا في شيء -أي اختلفوا في آية - أخروه. قال بعضهم: ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله[1].

وقال أنس بن مالك:

كنت فيمن أملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء الرجل أو يرسل إليه[2].

وربما كان أُبي بن كعب يملي عليهم القرآن فيكتبونه، أو يرسلون إليه فيصحح لهم ما اشتبهت عليهم قراءتها.

جاء في حديث أبي العالية: أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي، فكان رجال يكتبون، يملي عليهم أُبي بن كعب[3].

---

(١) المصدرالسابق: ٢٥.

(٢) المصدرالسابق: ٢١.

(٣) مصاحف السجستاني: ٣٠.

وروى عبد الله بن هاني البربري (مولى عثمان):

كنت عند عثمان، وهم يعرضون المصاحف [أي يقابلون النسخ مع بعضها البعض] فأرسلني بكتف شاة إلى اُبيّ بن كعب فيها «لم يتسن»، وفيها: «لا تبديل للخلق الله»، وفيها: «فأمهل الكافرين»؛ فدعا اُبيّ بدواة فمحا اللامين، وكتب «لخلق الله»، ومحا «فأمهل» وكتب «فمهّل»، وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء[1].

وفي المرحلة الثانية التي تم فيها مقابلة المصاحف الموحدة ببعضها حصل تساهل واضح، حيث ظهرت أخطاء إملائية فاحشة، حتى لم يكن أي واحد منها مطابقاً لغيره، وتقع مسؤولية ذلك على أعضاء اللجنة وخاصة عثمان، حيث أدرك هذه الأخطاء ولم يبادر إلى الحيلولة دون وقوعها.

قال ابن أبي داود ان بعض أهل الشام كان يقول:

مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة؛ لأنّ عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبد الله؛ فبعث إليهم بالمصحف قبل أن يعرض [أي قبل مقابلته على سائر النسخ] وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث بهما[2].

وهذا يدل على أنهم لم يدققوا في مقابلة المصاحف ببعضها قبل

(١) الإتقان: ١: ١٨٣.

(٢) مصاحف السجستاني: ٣٥.

إرسالها إلى جميع الأقطار الإسلامية[١].

كما نقل ابن أبي داود موضوعاً آخر في هذا المجال هو أدعى إلى الدهشة والتعجب، حيث قال:

إنهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف أتوا به إلى عثمان، فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم. أرى فيه شيئاً من لحن! لكن ستقيمه العرب بألسنتها. ثم قال: لو كان المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا![٢].

والذي يمكننا قوله في هذا المجال هو: ألم يكن كتاب الله جديراً بالسعي والاهتمام بدرجة أكبر، ليخلو من الأخطاء الإملائية واختلاف اللهجات مضافاً إلى عدم فهمنا لهذه الأمنية التي أطلقها عثمان؟ ألم يكن بإمكانه منذ البداية انتخاب رجل من هذيل ليملي، ورجالٍ من ثقيف ليكتبوا، مع أنه كان يعلم بكفاءتهم؟ إلا أنه لم يقم بذلك، وكلف أشخاصاً مقربين منه، الأمر الذي أدى في الأزمنة اللاحقة إلى ظهور الاختلاف في قراءة القرآن.

عدد المصاحف العثمانية

اختلف المؤرخون في بيان عدد المصاحف الموحّدة والتي تم إرسالها إلى مراكز الأقطار الإسلامية. قال ابن أبي داود:

---

(١) مصاحف السجستاني: ٣٩-٤٩.

(٢) المصدر المتقدّم: ٣٢-٣٣.

كانت ستة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزية الخاصة: مكة، والكوفة، والبصرة، والشام، والبحرين، واليمن. وحبس السابعة، وكانت تسمّى الأم أو الإمام بالمدينة[1].

وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة[2]. وأنّ كل واحد من هذه المصاحف كان يتم حفظه في مركز البلد، ويتم الاستنساخ عليه وتوزيع النسخ على الناس، وتمنع أي نسخة أو قراءة لا توافق هذا المصحف، ويتم معاقبة من يخالفها.

وكان مصحف المدينة هو المرجع العام، بحيث إذا ظهر اختلاف بين مصاحف الأمصار، كان مصحف المدينة هو الحكم في حسم الخلاف، فيتم تصحيح المصاحف الأخرى عليه.

وقيل: إنّ عثمان أرسل مع كل مصحف قارئاً ليعلّم الناس القراءة طبقاً لذلك المصحف. فأرسل عبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة، وعامر ابن عبد القيس إلى البصرة. كما أرسل آخرين إلى مناطق أخرى. كما تم تعيين زيد بن ثابت بأمرٍ من الخليفة قارئاً لأهل المدينة[3].

وقد بذلت الحكومة وعمال الخليفة اهتماماً وافراً بهذه المصاحف والمحافظة عليها، الأمر الذي أدّى إلى بقائها واستمرارها، وبعد تعاقب

---

(١) مصاحف السجستاني: ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٦٠.

(٣) مناهل العرفان: ١: ٣٩٦-٣٩٧.

الأزمنة الطويلة ظهرت بعض التغيرات والتعديلات على هذه المصاحف، ومن بينها التنقيط والتشكيل والتحزيب. وفي نهاية المطاف تحولت كتابة المصحف من الخط الكوفي البدائي إلى الخط الكوفي المعروف، ومن ثم واصلوا كتابة القرآن بخط النسخ العربي الجميل وغيره من الخطوط الأخرى. وبعد ظهور هذه التغيرات هجرت المصاحف التي كتبت على عهد عثمان حتى تم نسيانها ولم يبق لها من أثرٍ يذكر.

قال ياقوت الحموي (ت:٦٢٦):

إنّ في جامع دمشق مصحف عثمان بن عفان. قالوا: أنّه خطه بيده[1]. وهذا المصحف رآه ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩) قال: وإلى الجانب الأيسر من جامع دمشق المصحف العثماني بخط عثمان بن عفان[2].

ولم يذكر أنّ عثمان كتب مصحفاً بخط يده، فربما كان ذلك المصحف هو مصحف الشام وقد تمت المحافظة عليه إلى تلك الفترة.

كما تحدث ابن كثير (ت:٧٧٤ هـ) عن هذا المصحف، ولكنه لم ينسب كتابته إلى عثمان، وقال:

وأما المصاحف العثمانية فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة، وقد كان قديماً بمدينة طبرية ثم نقل

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢: ٤٦٩.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ١: ١٩٥.

منها إلى دمشق في حدود سنة ٥١٨هـ. وقد رأيته كتاباً ضخماً بخط حسن مبين قوي، بحبر محكم، في رقّ أظنه من جلود الإبل[(١)].

وقال الرحالة الشهير ابن بطوطة (ت: ٧٧٩):

وفي الركن الشرقي من المسجد إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه عثمان بن عفان إلى الشام، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم. وهناك يحلف الناس غرماءهم، ومن ادّعوا عليه شيئاً[(٢)]. ويقال: إن هذا المصحف كان باقياً في مسجد دمشق حتى التهمته ألسنة النار سنة ١٣١٠هـ[(٣)].

وقال الدكتور صبحي الصالح:

وقد ذكر لي زميلي الأُستاذ الدكتور يوسف العش: أنّ القاضي عبد المحسن الأسطواني أخبره بأنه قد رأى المصحف الشامي قبل احتراقه، وكان محفوظاً بالمقصورة وله بيت خشب[(٤)].

وقال الأُستاذ الزرقاني:

ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها.

---

(١) فضائل القرآن: ٤٩.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١: ٥٤.

(٣) أحمد بن علي المقريزي: الخطط: ٥: ٢٧٩.

(٤) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: هامش صفحة ٨٩.

وقيل بشأن بعض المصاحف الأثرية المحفوظة في خزائن المكتبة المصرية أنّها من المصاحف العثمانية، ولكن هذا الكلام مشكوك في صحته، وذلك لأنّ هذه المصاحف تحتوي على علامات وفصول بين السور وتحديد لأعشار القرآن، في حين أنّ المصاحف العثمانية لم تكن لتحتوي على هذه الأمور.

وفي خزانة الحرم الحسينيعليه السلام هناك مصحف منسوب إلى عثمان مكتوب بالخط الكوفي القديم، ومن خلال الالتفات إلى خلوه من العلامات وحجمه الكبير جداً. فإن صفاته تطابق مصحف المدينة أو الشام، خاصة وقد أثبت فيه كلمة «**يرتدّ**» من سورة المائدة على صورة «**يرتدد**». وعليه يحتمل قوياً أنه استنسخ من أحد المصاحف العثمانية[1].

وهناك مصحف يحتفظ ببعض أوراقه في الخزانة العلوية بالنجف الأشرف، منسوب إلى الإمام عليعليه السلام، وقيل أنّه بخط يده، وقد كتب بالخط الكوفي القديم، وجاء في آخره: (كتبه علي بن أبو طالب في سنة أربعين من الهجرة)[2].

قال الأُستاذ أبو عبد الله الزنجاني: (رأيت في شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ في دار الكتب العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب

(١) **مناهل العرفان**: ١: ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) إنّما المكتوب: (كتبه علي بن أبي طالب) ولكن تشابه الواو والياء في الخط الكوفي هو الذي أدى إلى هذا الوهم، وسيتضح ذلك من كلام الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني أيضاً، فلم نعرف إصرار المصنف على هذا الوهم! المترجم.

على آخره: (كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة)، ولتشابه (أبي) و(أبو) في رسم الخط الكوفي قد يظن من لا خبرة له أنه كتب (علي بن أبو طالب) (بالواو)[١].

وفي خزانة الآثار بالمسجد الحسيني في القاهرة مصحف يقال أنّ الإمام علي عليه السلام كتبه بخط يده، وهو بالخط الكوفي القديم، وقال الزرقاني بشأن هذا المصحف:

من الجائز أن يكون كاتبه علياً، أو يكون قد أمر بكتابته في الكوفة.

قال ابن بطوطة:

إن في مسجد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالبصرة، المصحف الكريم الذي كان عثمان يقرأ فيه لما قتل، وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢] وهو غريب![٣].

ونقل السمهودي عن محرز بن ثابت أنه قال:

بلغني أنّ مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، فلما استخلف المهدي [العباسي] بعث بمصحف إلى المدينة، فهو الذي يقرأ فيه اليوم، وعزل مصحف الحجاج، فهو في الصندوق الذي

---

(١) تاريخ القرآن: ٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٣) رحلة ابن بطوطة: ١: ١١٦.

دون المنبر.

قال ابن زبالة:

حدثني مالك بن أنس أنّ الحجاج أرسل إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف كبير، وكان هذا المصحف في صندوق، عن يمين الاسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي صلى الله عليه وآله وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس، فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان فجعلت في صندوق ونحّي عنها مصحف الحجاج.

قال السمهودي:

ولا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التي بوسط المسجد المنسوب لعثمان في كلام أحد من متقدمي المؤرخين[1].

وقال ابن النجار وهو أول من ترجم مصاحف المساجد:

أنّ المصاحف الأولية قد دثرت على طول الزمان وتفرّقت أوراقها فلم تبق لها باقية بعد ذلك.

الخصائص العامة للمصاحف العثمانية

إنّ ترتيب السور في المصاحف العثمانية قريب من ترتيبها في مصاحف الصحابة، حيث تتقدم طوال السور وتؤخر قصارها. وأنّ المصاحف العثمانية خالية من النقط والحركات الإعرابية. ولم تقسّم إلى أحزاب وأعشار وأخماس، كما كانت مليئة بالأخطاء الإملائية والتناقضات

---

(١) السمهودي: **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** : ٢: ٦٦٧-٦٦٨.

في الخط، ويعود سبب ذلك إلى بدائية الخط الذي كان يكتب به الصحابة. وإليك بيان بالخصائص العامة لتلك المصاحف:

١ـ الترتيب:

سبق أن ذكرنا أنّ ترتيب المصحف العثماني هو الترتيب الموجود في المصحف الذي بين أيدينا، وقريب من ترتيب مصاحف الصحابة، خاصة مصحف أُبي بن كعب، إلا في بعض الموارد القليلة الآتية:

كانت سورة يونس تعدّ في مصاحف الصحابة ضمن السبع الطوال وكان ترتيبها السابع[١] أو الثامن[٢] في سلّم تلك السور. إلا أنّ عثمان عمد إلى عدّ سورتي الأنفال وبراءة سورة واحدة، ووضعهما في الترتيب السابع من الطوال، وأخّر سورة يونس فوضعها ضمن المئين، وقد اعترض ابن عباس على ذلك وقال:

ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني[٣]، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وآله تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات

---

(١) في مصحف ابن مسعود.

(٢) في مصحف أُبي بن كعب.

(٣) سورة الأنفال في مصحف ابن مسعود من المثاني، وفي مصحف أُبي بن كعب من المئين.

في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً. وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتهما في السبع الطوال[(١)].

وهذا الأمر يدل على أنّ ترتيب السور في المصحف كان باجتهاد من الصحابة فكان عثمان يعلم تأخر نزول بعض الآيات، فيأمر النبي بوضعها في موضعها. فتصور لذلك أنّ سورة براءة امتداد لسورة الأنفال لمكان التشابه بينهما في السياق العام. وهذا التشابه في السياق دعا عثمان إلى ضمهما إلى بعضهما وعدّهما سورة واحدة فجعل ترتيبها السابع ضمن الطوال. وربما لم يلتفت عثمان إلى أنّ سورة براءة بما تحتوي عليه من الوعيد بالعذاب للكافرين الأمر الذي لا ينسجم مع الرحمة المحضة للباري تعالى، حيث لا يمكن الجمع بين الرحمة والعذاب[(٢)]، من هنا قال الإمام علي عليه السلام: «**البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف**»[(٣)].

وعليه هناك اختلافات بين مصحف عثمان وسائر المصاحف ولكنها

---

(١) المستدرك: ٢: ٢٢١ و ٣٣٠.

(٢) نفس الكلام ينبغي إيراده على فهم ابن عباس حيث اعترض على عدم فصل عثمان بين الأنفال وبراءة بالبسملة، المترجم.

(٣) المستدرك: ٢: ٣٣٠. الإتقان: ١: ٦٥.

اختلافات جزئية، لا تتعدى التقدم والتأخر في بعض السور.

٢ـ خلو المصاحف من التنقيط والتشكيل:

كانت المصاحف العثمانية تبعاً للخط السائد بين العرب آنذاك خالية من التنقيط والتشكيل للتمييز بين الحروف المعجمة والحروف المهملة، ولذلك لم يكن هناك فرق بين شكل الباء والتاء والياء والثاء، وهكذا كان حرف الحاء يشبه حرف الخاء والجيم. كما أنه لم يكن وضع الحركات الإعرابية معروفاً، فلم تكن هناك فتحة أو ضمة أو كسرة أو تنوين، وكان على القارئ معرفة ذلك بنفسه من خلال القرائن والسياق.

من هنا فإنّ صحة قراءة القرآن في الصدر الأول كانت تعتمد على السماع والنقل فقط، فلم يكن بالإمكان ـ لولا السماع ـ التمييز بين كلمة «**تبلو**» و«**نبلو**»، و«**نتلو**»، و«**تتلو**». وهكذا بين كلمة «**يعلمه**»، و«**تعلمه**»، و«**نعلمه**»، و«**بعلمه**». وبذلك قد يقرأ قوله تعالى: ﴿**لتكون لمن خلفك آية**﴾، «**لمن خلقك**». وفيما يلي نستعرض بعض القراءات المختلفة التي نجمت بفعل عدم التنقيط في المصاحف الأولى:

الآية ٢٥٩ من سورة البقرة: «**ننشزها**»، «**ننشرها**»، «**تنشرها**»[(١)].

الآية ٤٨ من سورة آل عمران: «**يعلمه**»، «**نعلمه**»[(٢)].

الآية ٣٠ من سورة يونس: «**تبلوا**»، «**تتلوا**»[(٣)].

---

(١) راجع: **تفسير الطبرسي**: ٢: ٣٦٨.

(٢) المصدرالسابق: ٢: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبرسي: ٥: ١٠٥.

الآية ٩٢ من سورة يونس: «**نُنجّيك**»، «**ننحّيك**»[١].

الآية ٥٨ من سورة العنكبوت: «**لنبوئنهم**»، «**لنثوينهم**»، «**لنبوينهم**»[٢].

الآية ١٧ من سورة سبأ: «**نجازي**»، «**يجازي**»[٣].

الآية ٦ من سورة الحجرات: «**فتبينوا**»، «**فتثبتوا**»[٤].

إذن خلّو المصاحف من التنقيط وعلامات الإعراب كان السبب في اختلاف القراءات فيما بعد، فقد كان الناس يعتمدون على السماع والحفظ، ومع مرور الزمن حصل اشتباه في نقل أو سماع الآيات، إذ مهما بالغ الإنسان في حفظ شيءٍ، لا بد وأن يعرض له النسيان والخطأ، إلا إذا تم ضبط ذلك الشيء بالكتابة، ولذلك قيل: (**ما حفظ فرّ، وما كتب قرّ**). مضافاً إلى ذلك فان اتساع رقعة الإسلام ودخول غير العرب إلى شبه الجزيرة العربية أدى إلى تفاقم الاختلاف في القراءات. من هنا كان على أعضاء لجنة توحيد المصاحف أن يبادروا إلى التفكير في مستقبل الأمة والحيلولة دون وقوع الاختلاف في قراءة القراءات، إلا أنّ التساهل والإهمال الذي كان سائداً آنذاك حال دون تحقق ذلك.

وقد ذهب ابن الجزري إلى أنّ أعضاء اللجنة آنذاك تعمدوا ترك وضع العلامات في المصاحف لحكمةٍ ما، حيث قال:

---

(١) المصدر السابق: ٥: ١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ٨: ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق: ٨: ٣٨٤.

(٤) **تفسير الطبرسي**: ٣: ٩٤، و٩: ١٣١.

وذلك ليحتمل الخط ما صحّ نقله وثبتت تلاوته عن النبيﷺ، إذ كان الاعتماد على الخط والسماع، لا على مجرّد الخط[١].

وقد أيدّ الزرقاني رأي ابن الجزري وقال:

كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال، معتمدين في ذلك على الحفظ والسماع[٢].

مع العلم أنّ الخط العربي آنذاك لم يكن منقوطاً وليس فيه علائم إعرابية، وكان العرب في بداية تعلمهم للكتابة، ولم يكونوا قد توصلوا بعد إلى معرفة النقط والتشكيلات والحركات الإعرابية. وبذلك لا يكون ما توهمه الجزري والزرقاني صحيحاً.

ظهور الخط العربي

لم نعثر على دليل يثبت معرفة عرب الحجاز بالخط والكتابة في الأزمنة السحيقة، فلم يتعرفوا على الكتابة إلا قبيل الإسلام. ويعود السبب في عدم شيوع الكتابة لدى عرب الحجاز إلى طريقة حياتهم البدوية المترحلة، وانشغالهم بالحروب والغارات، الأمر الذي كان يبعدهم عن الصناعات ومنها الكتابة، لأنها من لوازم الصناعات المدنية، إلا أنّ بعضهم بفعل تجارته وتردده على الشام والعراق بدأ يتأثر بأخلاق أهل المدن؛ فتعلم منهم الخط النبطي والسرياني، الذي بقي سائداً بينهم إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية.

---

(١) النشر في القراءات العشر: ١: ٧.

(٢) مناهل العرفان: ١: ٢٥١.

ومن الخط النبطي تفرع خط النسخ، والذي لا يزال سائداً ومتداولاً. كما تفرع الخط الكوفي من الخط السرياني، والذي كان يسمى بالخط الحيري نسبة إلى الحيرة وهي مدينة عريقة وعربية مجاورة للكوفة، وذلك لأنّ تطور الخط السرياني قد حصل في الحيرة، وبعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربية إليها عرف هذا الخط بالكوفي، وقد كان هذا الخط معروفاً ومتداولاً بين العرب لمدة طويلة.

وقد تعرّف العرب على الخط النبطي الذي تحوّل إلى النسخ أثناء تجارتهم مع الشام، في حين تعلموا الخط الحيري أو الكوفي من العراق، وقد استعمل كلا الخطين في الرسائل والكتابات العادية، ثم اخذوا يكتبون بهما في الأمور المهمة مثل: القرآن والسنّة.

والدليل على تفرع الكوفي من الخط السرياني أنّ العرب، كانوا يكتبون كلمة «**الكتاب**» على شكل «**الكتب**». وبدلاً من «**الرحمان**» كانوا يكتبون «**الرحمن**» وهي من قواعد الخط السرياني حيث تسقط ألف المدّ في الكتابة.

وعندما ظهر الإسلام، لم يكن الخط والكتاب معروفاً ومتداولاً بين العرب في الحجاز، فلم يعرف الكتابة والقراءة سوى عشرة رجال أو أكثر من ذلك بقليل، وقد استعملهم النبي الأكرمﷺ في كتابة الوحي، وحثّ المسلمين على تعلم الكتابة وبذلك ازداد عدد المتعلمين بالتدريج.

ساد الخط الكوفي وخط النسخ بين المسلمين وتمّ تداولهما، وبذل المسلمون جهوداً حثيثة لتطوير وتحسين هذين الخطين، حتى نبغ ابن مقلة في بداية القرن الرابع الهجري فنجح في إيصال خط النسخ إلى أرقى

المستويات، وبقيت تحسيناته متداولة حتى الآن.

أما الخط الكوفي وخلافاً لخط النسخ فقد سار القهقرى، فطال به الأمد قرنين ثم آل إلى الزوال، وأخذت المصاحف تكتب بعد ذلك بخط النسخ[١].

أوّل من أدخل النقطة في المصحف

إنّ الخط الذي تطور بين العرب من السرياني والنبطي لم يكن منقوطاً ولا يزال الخط السرياني خالياً من التنقيط، وقد واصل العرب كتابة الحروف من دون الاستعانة بالنقطة طوال الصدر الأول، وأما بعد هذه الفترة فقد شهد الخط العربي مرحلة جديدة حيث شهد الحرف العربي التنقيط والتشكيل. ففي الفترة التي تولّى فيها الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ـ٨٦هـ) بدأ الناس يميزون الحروف المعجمة من المهملة بوضع النقطة، وقد حدث ذلك على يد يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وهما تلميذان لأبي الأسود الدؤلي[٢]. وكان سبب ذلك ازدياد عدد الموالي في العواصم الإسلامية، حيث دخل بعضهم في زمرة العلماء والقرّاء رغم أنّ العربية لم تكن لغتهم الأصلية، فكان من الطبيعي أن

---

(١) راجع: **دائرة معارف القرن العشرين**: ٣: ٦٢١. جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**: ٣: ٥٨-٦٠. **مقدمة ابن خلدون**: ٤١٧-٤٢١. خليل يحيى النامي، **أصل الخط العربي**: ج٣. تركي عطية، **الخط العربي الإسلامي**: ٢٢. عبد الفتاح عبادة، **انتشار الخط العربي**: ١٣-١٥. ناجي المصرف، **مصوّر الخط العربي**: ٣٣٨. محمّد طاهر الملكي الكردي، **تاريخ الخط العربي وآدابه**: ٥٤.

(٢) **دائرة معارف القرن العشرين**: ٣: ٧٢٢. **مناهل العرفان**: ١: ٣٩٩-٤٠٠. **تاريخ القرآن**: ٦٨.

يقعوا في الخطأ عند القراءة، الأمر الذي قرع أجراس الخطر عند المسلمين.

قال أبو أحمد العسكري[1]:

إنّ الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثمّ كثر التصحيف وانتشر بالعراق؛ ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات. فيقال: إنّ نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها[2].

وقال الأستاذ الزرقاني:

أول من نقّط المصحف هو يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذا أبي الأسود الدؤلي[3].

التشكيل والتعليم

إنّ الخط العربي كما كان في بدايته خالياً من النقطة، كان خالياً أيضاً من التشكيل، ولكن كان يتم التعويض عن ذلك بحفظ الكثير من الرعيل الأول للقرآن وقراءته من حفظهم، ومع الأخذ بنظر الاعتبار كثرة الحفاظ وكونهم عرباً، كانوا بطبيعة الحال يتلون القرآن بشكل صحيح، وعليه كان القرآن مصوناً من الخطأ. خاصة وقد كان اهتمامهم بالقرآن كثيراً جداً، وكانوا يتعلمونه من كبار الصحابة أو التابعين القريبين من عهدهم، وقد

---

(١) التحريف والتصحيف: ١٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢: ٣٢.

(٣) مناهل العرفان: ١: ٣٩٩.

كانت أدوات حفظ القرآن وضبطه بشكل صحيح موجودة ومتوفرة.

وأما في النصف الثاني من القرن الأول حيث دخل الكثير من الأجانب على المجتمع الإسلامي، والذين لم يكونوا ليتكلموا بالعربية، مسّت الحاجة إلى وضع العلامات والنقط على الحروف وكلمات القرآن، للحيلولة دون الوقوع في الخطأ عند قراءة هؤلاء العجم للقرآن، فمثلاً: أنّ كل عربي يقرأ كلمة «كتب» في قوله تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[1] بشكلها المعهود، كما أنه يقرأ هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾[2] بصيغة المبني للمجهول، في حين أنّ غير العربي لا يميز بين صيغة المعلوم والمجهول. كما سمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقرأ كلمة «**رسوله**» في قوله تعالى: ﴿**إِنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[3] بكسر اللام منها، فيكون المعنى هو تبرؤ الله من رسوله والعياذ بالله، وهو خطأ فاحش، ولذلك قال أبو الأسود: (**ما ظننت أنّ أمر الناس آل إلى هذا**)، فرجع إلى زياد بن أبيه ـ وكان والياً على الكوفة (٥٠-٥٣ هـ) وكان قد طلب إليه أن يصنع شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه أبو الأسود، حتى سمع بنفسه هذا اللحن في كلام الله- على إنجاز ما طلبه زياد؛ فقال: أفعل ما أمر به الأمير[4]، فليبغ لي كاتباً مجيداً يفعل ما أقول؛ فأتوه بكاتب من عبد قيس

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٤) قيل: أنّ زياد بن أبيه تعمّد إرسال من ألحن في طريق أبي الأسود، ليحمله على القيام بما أمره **الخط العربي الإسلامي**: ٢٦.

فلم يرضه، فأتوه بآخر وكان واعياً فاستحسنه.

قال أبو الأسود للكاتب:

(إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه من أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف)[١].

وفي لفظ ابن عياض:

زيادة قوله:(فإذا أتبعت ذلك غنّة فاجعل النقطة نقطتين ففعل)[٢].

ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يستعملون هذه النقط لبيان حركات الحروف والكلمات، ولكنّهم كانوا يكتبونها بلونٍ مغايرٍ للون حروف المصحف وكلماته وغالباً ما كانت تلك النقط تكتب باللون الأحمر.

وبعد أن أدخل نصر بن عاصم نقطاً أخرى لتمييز الحروف المعجمة من المهملة، مسّت الحاجة إلى كتابتها بلون آخر يميّزها من نقاط الإعراب.

وقد شاهد جرجي زيدان مصحفاً بهذا النوع من التنقيط في دار الكتب المصرية، حيث قال:

(وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقّطاً على هذه الكيفية، وجدوه في جامع عمرو بن العاص بجوار القاهرة،

---

(١) **الفهرست**: ٤٦، الفن الأول من المقالة الثانية.

(٢) حسن الصدر، **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**: ٥٢.

وهو من أقدم مصاحف العالم، ومكتوب على رقوق كبيرة بمدادٍ أسود، وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة من فوق الحرف فتحة، وتحتها كسرة، وبين يديها ضمّة، كما وصفها أبو الأسود)[١].

وفي الأندلس كانت المصاحف تكتب بأربعة ألوان: الأسود للحروف، والأحمر للنقاط الدالّة على نوع الحركات، والأصفر للهمزات، والأخضر لألف الوصل[٢].

تحسينات متأخّرة

قال جلال الدين السيوطي:

(كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة على آخره، والكسرة تحت أوله. وعليه مشى الداني. والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجه الخليل بن أحمد الفراهيدي. فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضم واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها. وأضاف السيوطي: وأول من وضع الهمز والتشديد هو الخليل أيضاً)[٣].

---

(١) **تاريخ التمدن الإسلامي**: ٣: ٦١.

(٢) **الخط العربي الإسلامي**: ٢٧، نقلاً عن: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، **في المقنع رسم المصاحف**، وكذلك راجع: **تاريخ القرآن**: ٦٨.

(٣) **الإتقان**: ٢: ١٧١، وأبو عمرو الداني، **كتاب النقط**: ١٣٣.

ومع مرور الزمن كان اهتمام المسلمين بالقرآن يشتدّ، حيث يتم إدخال تحسينات في الخط، وفي نهاية القرن الهجري الثالث بلغ الخط العربي أعلى مراتب الجمال، وكان الناس يتنافسون في تجويد الخط القرآني وكتابة العلامات، حيث تم استعمال رأس حرف «الخاء» للدلالة على سكون الحرف، إشارة إلى أنّ الحرف الساكن اخف من الحرف المتحرك، وهناك من اختار رأس حرف «الميم» للدلالة على السكون، وللحرف المشدّد رأس «السين»، ولألف الوصل، رأس حرف «الصاد»، كما تم تحسين صناعة الخط والتحشية، واستعملت في المصاحف بشكل دقيق للغاية[1].

وقيل: إن تقسيم القرآن إلى أعشار وأخماس وأحزاب وأجزاء وتحديدها من خلال العلامات كان بأمرٍ من المأمون العباسي. وقيل: إن الحجاج هو الذي فعل ذلك. قال أحمد بن الحسين:

(بعث الحجاج إلى قرّاء البصرة فجمعهم واختار منهم جماعة. وقال: عدّوا حروف القرآن.

فجعلوا يعدّونها أربعة أشهر، وإذا هي: (٧٧٤٣٩) كلمة و(٣٢٣٠١٥) حرفاً وفي رواية: (٣٤٠٧٤٠) حرفاً. وينتصف القرآن على الفاء من قوله: «وليتلطّف» من سورة الكهف. ومن بعد ذلك يبدأ النصف الثاني من القرآن الكريم. وفي رواية: (٦٢٣٦) آية).

والمعروف أنّ تحزيب القرآن وتجزئته إلى ثلاثين جزءاً كان تسهيلاً

---

(١) **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**: ٥٢، نقلاً عن: سلامة بن عياض، **المصباح**.

لقراءته في المدارس وغيرها. وقد نسب أبو الحسن علي بن محمّد السخاوي (م ٦٤٣) في كتابه (جمال القرّاء وكمال الإقراء) تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً، وكلّ جزءٍ إلى (١٢) قسماً فيكون المجموع (٣٦٠) قسماً، إلى أبي عثمان عمرو بن عبيد (م١٤٤) بأمر من المنصور العبّاسي، حيث أمره بتقسيم القرآن على أيام السنة لتسهيل تنظيمه وتلاوته وحفظه، فأجابه إلى ذلك وعلّم خاتمة كل جزء من خلال تذهيبه. فعلّمه المنصور ابنه المهدي، ثم سار الآخرون على هذا النهج، وأصبح هذا التقسيم شائعاً بينهم[(١)].

إنّ أطول سور القرآن سورة البقرة، وأقصرها سورة الكوثر. كما أنّ أطول آية هي آية «**الدّينْ**»، وهي الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، حيث تضمّ (١٢٨) كلمة و٥٤٠ حرفاً، واقصر آية: «والضحى»، ثمّ و«الفجر» وأطول كلمة في القرآن «**فأسقيناكموه**» في الآية (٢٢) من سورة الحجر بأحد عشر حرفاً[(٢)].

روى أحمد في مسنده عن أوس بن حذيفة أنه قال:

(كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا أسلموا من ثقيف من بني مالك؛ فأنزلنا في قبّة له، فكان يختلف إلينا في بيوته وبين المسجد، فإذا صلّى العشاء الآخرة انصرف إلينا يحدّثنا ما لقي من قومه بمكة وبعد المهاجرة إلى المدينة. فمكث عنّا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال: قلنا: ما أمكثك

---

(١) **جمال القراء وكمال الإقراء**: ١: ٣٧٨-٣٧٩، بيروت، ١٩٩٣م.

(٢) **البرهان**: ١: ٢٤٩-٢٥٢.

عنّـا يـا رسـول الله؟ قـال: طـرأ عـني حـزب مـن القـرآن، فـأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول اللهﷺ حين أصبحنا: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ست سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب مفصّل من سورة ق حتى تختم)[1].

ويبدو أنّ العبارة الأخيرة إضافة من أوس أوردها تفريعاً على كلام الصحابة؛ إذ لم يكن القرآن آنذاك بين دفّتين، وإن كانت سور القرآن محفوظة بشكل كامل، وقد قسّموها إلى أقسام متساوية لتسهيل قراءتها حسب الأيام والأوقات.

٣ـ الأخطاء الإملائية:

وضع الخط لإحضار المعنى المنطوق من خلال الكتابة، فهو محضر للّفظ الذي يحضر بدوره المعنى والمفهوم المراد للمتكلم، من هنا كان لابد للخطّ والكتابة أن تطابق المنطوق بشكل كامل، وأن يكتب كلّ ما ينطق حتى يكون الخطّ مقياساً للفظ بلا زيادة أو نقصان.

من جهةٍ أخرى إنّ أساليب الكتابة لا تنسجم مع هذه القاعدة بشكل كامل، ولكن لما كانت هذه الموارد إجماعية، فلا يكون هناك إشكال أو خلل في بيان المراد منها.

إلاّ أنّ الخطّ في المصحف العثماني مخالف للمصطلحات العامة

---

(١) مسند أحمد: ٤: ٣٤٣.

ومليء بالأخطاء الإملائية والتناقضات الكثيرة في طريقة كتابة الكلمات، بحيث لو لم تُضبط هذه الكلمات من طريق السماع والتواتر لاستحالت قراءة الكثير منها بشكل صحيح.

سبق أن ذكرنا أنّ السبب في ذلك يعود إلى جهل العرب بفنون الخطّ وأساليب الكتابة آنذاك، حتى أنّه لم يكن مَن يعرف الكتابة منهم إلا عددًا قليلاً، وأنّ الخطّ الذي كانوا يكتبون به خطّ بدائي جداً، وهذا ما تثبته الوثائق التي وصلت إلينا من الصدر الأول[1].

إضافة إلى ذلك فإنّ الذين اختارهم عثمان لكتابة المصحف كانت تعوزهم الخبرة والمعرفة بأساليب الكتابة فمع كون الخطّ ـ آنذاك ـ بدائياً، إلاّ أنّ خطّ أعضاء هذه اللجنة كان رديئاً جداً.

قلنا: بعد إنجاز كتابة المصاحف، أخذ عثمان ينظر في أحدها، ثم قال:

(قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحنٍ ستقيمه العرب بألسنتها. ثم قال: أما لو كان المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا).

ويبدو من هذه الرواية أنّ عثمان كان يعلم بأنّ هذيل خبيرة بالأساليب الإنشائية، وأنّ ثقيف كانت معروفةً بحسن الكتابة وجودة الخطّ، في حين أنّ المصحف الذي نظر فيه كان فاقداً لهذه المزايا؛ ولذلك يرد على عثمان تسامحه في هذا الاتجاه، حيث كان يتعيّن عليه أن ينتخب رجالاً من هذيل

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤١٩- ٤٣٨.

وثقيف للتصدّي إلى هذه المهمّة.

قال الثعلبي في تفسيره في بيان قوله تعالى: ﴿إِنْ هذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾:

(إنّ عثمان قال: إنّ في المصحف لحناً ستُقيمه العرب بألسنتها. فقيل له: ألَا تغيّره؟ وبعبارةٍ أخرى: ألا تصحّحه؟ فقال: دعوه فإنّه لا يحلّل حراماً، ولا يحرّم حلالاً)[1].

كما قال ابن روزبهان في هذا الشأن:

(وأمّا عدم تصحيح لفظ القرآن؛ لأنّه كان يجب على عثمان متابعة صورة الخطّ، وهكذا كان مكتوباً في المصاحف، ولم يكن له التغيير جائزاً؛ فتركه لأنّه لغة بعض العرب)[2].

إلاّ أنّنا لم نفهم كلام ابن روزبهان، فإنّه قال: فأيّ مصاحف كان يقصد من قوله: «كان مكتوباً في المصاحف»؟ ثم كيف يجمع بين قوله هذا، وقوله أخيراً: «لأنّه لغة بعض العرب»؟

ومهما كان فإنّ تسامح أعضاء لجنة توحيد المصاحف فيما يتعلّق بالأخطاء الإملائية والتناقضات الخطيّة في المصحف قد أدّى إلى مشاكل لا زالت الأمة الإسلامية تعاني منها، وطبعاً كان سبب عدم تصحيح تلك الأخطاء هو عدم فتح الباب أمام الأعداء ليعبثوا في القرآن باسم تصحيح القرآن وإصلاح أخطائه، وقد تقدّم أن نقلنا كلمة الإمام علي عليه السلام في هذا

---

(١) محمّد حسين المظفر؛ **دلائل الصدق**: ٣: ١٩٦.

(٢) المصدر: ١٩٧.

الخصوص حيث قال: «**إنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل**». وهذا هو القرآن الذي اتخذه المسلمون دستوراً لهم وإلى الأبد.

الأخطاء والتناقضات الإملائية

إنّ وجود بعض الأخطاء الإملائية في المصحف، لم تؤثّر سلباً على قداسة القرآن؛ وذلك للأمور الآتية:

أولاً: إنّ حقيقة القرآن هي ما يُقرأ، وليس ما هو مكتوب، فما دامت القراءة صحيحةً ومطابقة لقراءة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما كان عليه الصحابة فإنّ الكتابة بأيّ نحوٍ لن تؤثّر على القرآن سلباً. ولا شكّ في أنّ المسلمين منذ الصدر الأول وإلى يومنا هذا قد حافظوا على قراءة النص القرآني بالشكل الصحيح.

ثانياً: إنّ تخطئة الكتابة القرآنية إنّما هو إشكال وارد على مَن كتب القرآن إمّا لجهلهم أو لتساهلهم، وليس إشكالاً على القرآن نفسه، قال تعالى: ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1].

ثالثاً: بقيت الأخطاء الإملائية في المصحف كما كانت ولم يحدث لها أي تغيير؛ وبذلك يستدل المسلمون على سلامة كتابهم من التحريف طوال القرون. إنّ الأخطاء الإملائية لا تأثير لها، وكان الأجدر تصحيحها، ولكن لم يتم تغييرها صوناً لشأن كتّابها الأوائل.

هذه نماذج من أهم الأخطاء الإملائية، ندرجها في الجدول أدناه:

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

الكلمة بالأملاء الخطأ	الكلمة بالإملاء الصحيح
١ـ « وَاخْتِلفِ اللَّيل وَالنَّهَارِ »/البقرة: ١٦٤	وَاخْتِلاَفِ اللَّيل وَالنَّهَارِ
٢ ـ «عَلّمُ الْغُيُوبِ»/ المائدة: ١٠٩	« عَلاَّمُ »
٣ ـ «يَأْتِيهِمْ أَنْبَؤُ» / الأنعام: ٥	«أَنْبَاءُ»
٤ ـ « وَيَنْئوْنَ عَنْهُ »/ الأنعام: ٢٦	« يَنْأَوْنَ عَنْهُ »
٥ ـ « بِالْغَدَاوَةِ »/ الأنعام: ٥٢	« بِالْغَدَاةِ » الواو زائدة دون أي علّة واضحة
٦ ـ « فِيكُمْ شُرَكَؤُاْ »/ الأنعام: ٩٤	« شُرَكَاءُ »
٧ ـ « مَا نَشَؤُاْ »/ هود: ٨٧	« مَا نَشَاؤُاْ»
٨ ـ « أَنّهُ لاَ يَأْيْئسُ »/يوسف : ٨٧	« لاَ يَيْأَسُ »
٩ ـ « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا »/ إبراهيم: ٩	« نَبَأ »
١٠ ـ « فَقَالَ الضُّعَفؤُا »/إبراهيم: ٢١	« الضُّعَفَاءُ »
١١ ـ « وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَايْ»/الكهف: ٢٣	« لِشَيْءِ »
١٢ـ «وَلَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ»/ الكهف: ٧٧	« لاَتَّخَذْتَ »
١٣ ـ « قَالَ يَبْنَؤُمَّ »/طه: ٩٤	« يَابن أُمَّ »
١٤ ـ « أَوْ لأ اذبَحَنَّهُ »/النمل: ٢١	« لأَذْبَحَنَّهُ»: أضيفت «الألف» دون أيّ علّة معقولة.
١٥ ـ « يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا »/ النمل: ٢٩	« الْمَلأُ »
١٦ ـ « شُفَعَؤُا »/ الروم: ١٣	« شُفَعَاءُ »
١٧ ـ « لَهُوَ الْبَلؤُ الْمُبِينُ »/الصافات: ١٠٦	« الْبَلاَءُ »
١٨ ـ « وَأَصْحَابُ الئيْكَةِ »/ ص: ١٣	« الأَيْكَةِ »
١٩ ـ « وَجِايءَ بِالنَّبِيِّينَ »/الزمر: ٦٩	« وَجِيءَ »
٢٠ ـ « وَمَا دُعَؤُا الْكَافِرِينَ »/ غافر: ٥٠	« وَمَا دُعَاءُ »

إذا أخذنا خلوّ المصحف آنذاك من التنقيط والعلامات التي تميّز الحروف المعجمة من المهملة وكذلك حركات الأحرف الهجائية؛ نفهم مدى صعوبة قراءتها، مثلاً: كيف يمكن لقارئ المصحف أن يعرف أنّ

الألف في كلمة ﴿لأ أذبحنه﴾[(١)] زائدة ولا ينبغي أن تقرأ؟ أو كيف له أن يعلم أنّ إحدى اليائين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيد﴾[(٢)] زائدة؟ أو فيما يتعلّق بكلمة ﴿نَشَؤُا﴾[(٣)] كيف للقارئ أنّ يعلم أن الواو زائدة؟ وأنّ الألف ممدودة؟ وأنّ عليه تأخير الهمزة إلى ما بعد الألف؟!

والموضوع الأكثر إدهاشاً هو وجود التناقض في خطّ المصحف العثماني، حيث تجد كتابة كلمة واحدة في موضعين بشكلين مختلفين، ممّا يثبت مدى بعد الكتّاب الأوائل عن معرفة أصول الكتابة، حتى أنّهم لم يراعوا أُسلوباً وطريقة واحدة في رسم الكلمة، فنجد أنّهم كتبوا كلمة «**بسطة**» في الآية (٢٤٧) من سورة البقرة بالسين، وفي الآية (٦٩) من سورة الأعراف بالصاد. وكذلك كلمة «**يبسط**» حيث كتبت في الآية (٢٦) من سورة الرعد بالسين، وفي الآية (٢٤٥) من سورة البقرة بالصاد. وهذا النوع من التناقضات موجود في المصاحف العثمانية بكثرة.

هذه نماذج من التناقضات الإملائية، ندرجها أيضاً في الجدول أدناه:

الكلمة بالإملاء الخطأ	الكلمة بالإملاء الصحيح
١ ـ «لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ»/ الكهف: ٧٧	«وإذاً لاَتَّخَذُوكَ » / الإسراء : ٧٣
٢ ـ «وَأَصْحَابُ الَيْكَةِ»/ ص: ١٣، الشعراء: ١٧٦	«وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ»/ الحجر: ٧٨ وق: ١٤
٣ ـ «فَقَالَ الضُّعَفَؤُا»/إبراهيم: ٢١	«لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءُ »/ التوبة: ٩١

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٧.

٤ ـ «فَلاَ يَسْتَئخِرُونَ سَاعَةً»/ يونس: ٤٩	«فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً» الأعراف: ٣٤
٥ ـ «وَمَا دُعَؤُا الْكَافِرِينَ»/ غافر: ٥٠	«وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ»/ الرعد: ١٤
٦ ـ «لَيْسَ بِظَلّم لِلْعَبِيدِ »/الحج: ١٠	« لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ »/ آل عمران: ١٨٢
٧ ـ «ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَلَ»/ الفرقان: ٩	«ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ»/ الإسراء: ٤٨
٨ ـ «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ»/ الشورى: ٢٤	«وَيَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ»/ الرعد: ٣٩
٩ ـ «فَأَحْيَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ»/ البقرة: ٢٨	«أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ»/ الحج: ٦٦
١٠ ـ «إِي لفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء»/ قريش:٢	«لإِيلاَفِ قُرَيْش»/ قريش:١
١١ ـ « قَالَ يَبْنَؤُمَّ »/طه: ٩٤	«قَالَ يَابن أُمَّ »/ الأعراف: ١٥٠
١٢ ـ «فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤا»/ هود : ٨٧	« فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ »/ الحج: ٥
١٣ ـ «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ»/ إبراهيم: ٣٤	«وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ»/ النحل: ١٨
١٤ ـ «فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ»/ فاطر: ٤٣	«فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ»/الفتح: ٢٣
١٥ ـ «عَلَى بَيِّنَت مِّنْهُ»/فاطر: ٤٠	«عَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّه»/ محمّدﷺ: ١٤
١٦ ـ «لَدَا الْبَابِ»/ يوسف: ٢٥	«لَدَى الْحَنَاجِر»/ غافر: ١٨
١٧ ـ «طَغَا الْمَاءُ»/ الحاقة: ١١	«أنّه طَغَى »/ النازعات: ١٧
١٨ ـ «وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْيءٍ»/ الكهف: ٢٣	« وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء »/ الكهف: ٤٥
١٩ ـ «فَقَالَ الْمَلَؤُا»/ المؤمنون: ٢٤	«وَقَالَ الْمَلأُ»/ المؤمنون: ٣٣
٢٠ ـ «آيُّهَ الثَّقَلاَنِ»/ الرحمن: ٣١	« أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ »/ يس: ٥٩

آراء مبالغ فيها

وهناك من المتعصّبين للآداب والتقاليد الماضية من تَصوّر أنّ خط المصحف كان بأمر خاصّ من النبي على ما هو عليه الآن، وأنّ الكاتبين الأوائل لم يكن لهم أدنى تدخّل في كتابة الكلمات والآيات، وأنّ وراء هذه الأخطاء الإملائية أسراراً مجهولة لنا لا يعلم حكمتها إلا الله تعالى.

روى ابن المبارك عن شيخه وأُستاذه عبد العزيز الدباغ أنه قال:

(رسم القرآن سرّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة، وهو صادر من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وهو الذي أمر الكتّاب أن يكتبوه على هذه الهيئة، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المدوّنة بزيادة الألف ونقصانها ؛ لأنّها أسرارٌ لا تهتدي إليها العقول، وهو سرّ من أسرار الله، خصّ الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية، فكما أنّ نظم القرآن معجز؛ فرسمه أيضاً معجز.

وكيف تهتدي العقول إلى سرّ زيادة الألف في «مائة» دون «فئة» . وإلى سرّ زيادة الياء في «بأييدٍ» و«بأييكم»! أم كيف تتوصّل إلى سرّ زيادة الألف في «سعوا» في سورة الحج، ونقصانها من «سعو» في سورة سبأ! وإلى سرّ زيادتها في «عتوا» حيث كان، ونقصانها من «عتو» في سورة الفرقان! وإلى سرّ زيادتها في «آمنوا» وإسقاطها من «بأو» و«جاؤ» و«تبوّؤ» و«فأو» بالبقرة.

فكلّ ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية. وإنما خفيت على الناس؛ لأنّها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني. فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطّعة التي في أوائل السور، فإنّ لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف)[1].

---

(١) مناهل العرفان: ١: ٣٧٥-٣٧٦.

وهناك من حاول العثور على أسرار هذا النحو من الخط، فقد قال بعد تمحّلات غريبة: أنّ زيادة الألف في كلمة «**لا اذبحنه**» مثلاً للدلالة على عدم وقوع الذبح حقيقة. أو أنّ زيادة الياء في كلمة «بأييد» في قوله تعالى: «**والسماء بنيناها بأييدٍ**» للإشارة إلى تعظيم قدرة الله تعالى التي بنى السماء من خلالها، وأنّه لا توجد هناك قدرة أخرى تضاهيها، وفقاً للقاعدة القائلة: «**زيادة المباني تدل على زيادة المعاني**»(١).

وقد أوضح في ذلك وأسهب أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء (ت: ٧٢١هـ) في كتابه: «**عنوان الدليل في مرسوم التنزيل**»، وبيّن أنّ هذه الأحرف إنّما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف وأحوال معاني كلماته، من حِكَم خفية وأسرار بهيّة، منها: التنبيه على العوالم الغائب منها والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات. وفي ما يأتي نذكر مقتطفات من كلامه تدلّك على مبلغ غلوّه بشأن الرسم وتكلّفه في الاختلاق الباهت:

(١ـ زيدت الألف في «لااذبحنه» تنبيهاً على أنّ الذبح أشدّ من العذاب الذي ذكر في صدر الآية: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَاْذبَحَنَّهُ﴾(٢).

٢ ـ زيدت الألف في «يرجوا» و«يدعوا» للدلالة على أنّ الفعل أثقل من الاسم، لتحمّله ضمير الفاعل. ومن ثمّ لما استخفّوا بالفعل

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤١٩؛ مناهل العرفان: ١: ٣٦٧.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢١.

حذفوا منه الألف وإن كان جمعاً، كقوله: ﴿سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[1]. فإنّه سعي باطل لا يصحّ له ثبوت في الوجود.

٣ . زيدت الألف بعد الهمزة من قوله: «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ»[2] تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون، ومن هنا لم تزد بعد قوله: ﴿كأنهم لؤلؤ﴾[3].

٤ . زيدت الألف في «مائة»، ولم تزد في «فئة» ؛ لأنّ «مائة» تتضمّن الكثرة من حيث مرتبة الآحاد والعشرات.

٥ . زيدت الألف في الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذ بِجَهَنَّمَ﴾[4] وكتبت هكذا: «وجاىء يومئذٍ» دليلاً على أنّ هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء.

٦ . زيدت الواو في ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾[5] للدلالة على الوجود في أعظم رتبة العيان.

٧ . زيدت الياء في «بأييدٍ» من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيد﴾[6]، فرقاً بينها وبين «الأيدي» الذي هو جمع اليد. وأنّ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٥.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الطور، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

القوة التي بنى الله بها السماء هي أحقّ بالثبوت في الوجود من الأيدي. فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود.

٨ . سقطت الواو من ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾(١)؛ لأنّ فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوّة البطش.

٩ . سقطت الواو من ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾(٢)؛ للدلالة على أنّه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير.

١٠ . كتبت «بسطة» في البقرة: ٢٤٧ بالسين، وفي الأعراف: ٦٩ بالصاد؛ لأنّها بالسين: السعة الجزئية. وبالصاد: السعة الكلية)(٣).

قال الدكتور صبحي الصالح في هذا الصدد:

(لا ريب أنّ هذا غلوّ في تقديس الرسم العثماني، وتكلّف في الفهم ما بعده تكلّف؛ فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفياً، ولا أن يكون له من الأسرار ما لفواتح السور، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة التي تواترت قرآنيتها في أوائل السور، وإنّما اصطلح الكتبة على هذا اصطلاحاً في زمن عثمان، ووافقهم

(١) سورة العلق، الآية: ١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٣) البرهان: ١: ٣٨٠-٤٣٠.

الخليفة على هذا الإصلاح)[١].

وقال العلاّمة ابن خلدون:

(ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنّ الصحابة كانوا محكمين لصناعة الخط، وأنّ ما يتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل، بل لكلّها وجه. يقولون في مثل زيادة الألف في «لااذبحنه»: إنّه تنبيه على أنّ الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في «بأييد»: إنّه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلا التحكّم المحض)[٢].

والأعجب من ذلك ما أورده محمّد طاهر الكردي وهو يستطلع القرن
والأعجب من ذلك ما أورده محمّد طاهر الكردي وهو يستطلع القرن
الخامس عشر الهجري، فتراجع القهقرى وأخذ في الغلوّ الفاحش بشأن الرسم العثماني، حيث قال بعد استعراض جملةٍ من أخطاء الرسم العثماني والتناقض الموجود فيه بصورةٍ غريبة:

(بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتب الكتبة الأوائل المصحف على قواعد الكتابة الصحيحة؟ ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟ هذا سؤال يجب أن يوجّه إلى الذين كتبوه بأمر عثمان، وأنّى يكون ذلك وقد دفنهم التراب؟ ومن هنا يقول العلماء: إنّ

(١) مباحث في علوم القرآن: ٢٧٧.

(٢) مقدّمة ابن خلدون، الباب الخامس: ٤١٩، والباب السادس: ٤٣٨.

رسم المصحف سرّ من الأسرار، لا يطّلع عليه أحد... .

... ولا تتوهّمن عليهم السهو أو الخطأ أو الجهل بأُصول الكتابة، فإنّ هذا وهم باطل. ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة حقّ المعرفة، ونستدلّ على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة أمور:

الأوّل: إنّ العلاّمة الآلوسي قال في تفسيره «روح المعاني»: الظاهر أنّ الصحابة كانوا متقنين رسم الخطّ، عارفين بقواعد الكتابة، غير أنّهم خالفوا القواعد في بعض المواضع عن قصدٍ لحكمة.

الثاني: إنّهم كانوا يراسلون الملوك والأمراء؛ فلا بد من إتقان كتابتهم.

الثالث: إنّه قد مرّ على نشر الكتابة في الجزيرة العربية إلى عهد عثمان أكثر من ربع قرن، فهل يُعقل أنّ الصحابة لم يُتقنوا الكتابة في هذه الفترة الطويلة؟!)[1].

ونحن نكتفي بالردّ على هذه السفاسف بما ذكره العلاّمة ابن خلدون حيث قال: «ولا تلتفتنّ إلى ما يزعمه بعض المغفّلين».

وقد أسهب ابن الخطيب في الردّ على هذه المزعومة، وأتى بالكلام المستوفي، ونحن هنا نقتطف من المواضع الآتية:

(قال الجعبري في سياق كلامه عن هجاء المصحف: «وأعظم

---

(١) محمّد طاهر الكردي، **تاريخ الخط العربي**: ١٠١-١٠٢.

فوائده أنّه حجاب يمنع أهل الكتاب أن يقرؤوه على وجهه».

... وبمثل هذا الهراء ينطق أحد أئمّة القرّاء، وبمثل هذا الكلام يحتجّ القائلون بوجوب الهجاء القديم، مع أنّ هذا القول واضح البطلان بادي الخسران. وفي القرآن آياتٌ كثيرة تخاطب أهل الكتاب وتدعوهم إلى الإيمان، فكيف عن تلاوته يحجبون؟

... ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل، صحيح العرفان ما ذكره الصبّاغ: «إنّ فوائد هذا الرسم كثيرةٌ وأسراره شتى، منها: عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقّه إلاّ بموقفٍ، شأن كلّ علم نفيس يتحفّظ عليه».

... يا للداهية الدهياء! لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات والطلّسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وما شاكل ذلك من العلوم، يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرارٍ لا تُنال إلا بجهدٍ جهيدٍ وتلقٍّ طويل الأمد. هذا وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾[1]. وأنتم تقولون إنّه أبعدهم منه وأضلّهم عنه؛ فما أكبر هذا الزعم! وما أعظم هذه الفرية! قال: ولو تساءلنا: هل وضع رسم المصحف ليقرأ أو ليكون رمزاً ويظل طلّسماً يتناقله القرّاء وحدهم، ويلقّنونه لمن يريدون تلقينه ممّن يتزلّف إليهم بماله ونفسه، ويمنعونه عمّن يرون منعه ممّن

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.

لم يرزق جاهاً ولا مالاً؟!

... ولقد رأيت بعيني وسمعت بأُذني كثيراً من ذوي الثقافات والأدب يلحنون في قراءة القرآن؛ لعدم أُنسهم بهذا الرسم الغريب، وعدم معرفتهم بأساليب القراءة على وجهها المأثور)[1].

هكذا يرجّح ابن الخطيب تصحيح رسم المصحف إلى ما يعرفه جمهور الناس واستقرّ عليه اصطلاح أرباب الثقافة اليوم، وهذا رأي جمهور المحقّقين، حيث ذهبوا إلى جواز تبديل الرسم القديم إلى الرسم الحاضر بعد أن لم يكن رسم السلف عن توقيف، وإنّما هو اصطلاح منهم أو كانت الكتابة في بداية أمرها غير متقنة. أمّا مع تقدّم أساليب الكتابة وفيها من التوضيح ما يجعل أمر القراءة سهلاً على الجميع، فلا بدّ من تغيير ذاك الرسم إلى المصطلح الحاضر الذي تعرفه كافة الأوساط، وليكون القرآن في متناول الناس عامة ، وفي ذلك تحقيق الغرض الذي نزل لأجله هذا الكتاب الخالد ليكون هدىً للناس جميعاً وإلى الأبد.

وبهذا الصدد يقول القاضي محمّد بن الطيب أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) في كتابه «**الانتصار**»:

(وأمّا الكتابة فلم يفرض الله على الأمّة فيها شيئاً، إذ لم يؤخذ على كتّاب القرآن وخطّاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلاّ بالسمع

---

(١) الفرقان: ٦٣- ٨٦.

والتوقيف. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أنّ رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجهٍ مخصوص، وحدٍّ محدود لا يجوز تجاوزه. ولا في نصّ السنّة ما يوجب ذلك ويدلّ عليه ولا في إجماع الأمّة ما يوجب ذلك، ولا دلّت عليه القياسات الشرعية. بل السنّة دلّت على جواز رسمه بأيّ وجهٍ سهل؛ لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يأمر برسمه ولم يبيّن لهم وجهاً معيناً، ولا نهى أحداً عن كتابته؛ ولذلك اختلفت خطوط المصاحف؛ فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأنّ ذلك اصطلاح، وأنّ الناس لا يخفى عليهم الحال. ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأوّل، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثيراً من حروفها مختلفة متغايرة الصورة وكان الناس قد أجازوا ذلك، وأجازوا أن يكتب كلّ واحدٍ منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأثيمٍ ولا تناكر، علماً أنّه لم يؤخذ في ذلك على الناس حدٌّ مخصوص كما أخذ عليهم بالقراءة والأذان.

وبالجملة فكلّ مَن ادّعى أنّه يجب على الناس رسمٌ مخصوص، وجب عليه أن يقيم الحجّة على مدّعاه، وأنّى له ذلك!).

هذا ما لخّصه الشيخ عبد العظيم الزرقاني في «**مناهل العرفان**» من كلام القاضي أبي بكر الباقلاني[1].

لكنه تابعه بالردّ عليه من وجوه ونقول، لا يخفى وهنها وضعفها تجاه هذا التحقيق المنيع.

ومن هنا قال الدكتور صبحي الصالح تعقيباً على كلام الباقلاني:

إنّ رأي القاضي أبي بكر لجديرٌ أن يأخذ به، وحجّته ظاهرة، ونظره بعيد، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله. وأما الذين ذهبوا إلى أنّ الرسم القرآني توقيفي أزلي فقد احتكموا في ذلك إلى عواطفهم، واستسلموا استسلاماً شعرياً صوفياً إلى مذاويقهم ومواجيدهم، والأذواق نسبية لا دخل لها في الدين، ولا يستنبط منها حقيقة شرعية[2].

(١) راجع: مناهل العرفان: ١: ٣٧٣-٣٧٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٧٩.

جدول مقارنة لبعض كلمات القرآن طبقاً للإملائين القديم والمعاصر

السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر	السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر
البقرة/٣٣	وَيَـٰٓـَٔادَمُ	ياآدَمُ	المائدة/٢٩	جزؤا «ك»	جزاء
البقرة/٤٠	اسراءيل «ك»	إِسْرائيلَ	المائدة/٣١	سوءة	سوأة
البقرة/٧١	ٱلْـَٔـٰنَ «ك»	الآنَ	الأنعام/٥	انبؤا «ك»	أنباء
البقرة/٨٧	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم	الأنعام/٣٤	نباءى	نبأ
البقرة/٩٠	بئس ما «ك»	بِئْسَما	الأنعام/٥٢	بالغدوة	بالغداة
البقرة/١٦٤	اليل «ك»	اللَّيل	الأنعام/٩٤	شركؤا «ك»	شركاء
البقرة/٢٢٦	فاءُو	فاؤا	الأنعام/١١٥	كلمت «ك»	كلمة
البقرة/٢٤٠	في ما «ك»	فيما	الأنعام/١٤٤	اما «ك»	ام ما
البقرة/٢٧٥	الربوا «ك»	الربا	الأعراف/٦	فلنسئلن	فلنسألن
البقرة/٢٨٢	تسئموا	تسأموا	الأعراف/٢٠	ماورى	ما ووري
آل عمران/٣٥	امرأت «ك»	امرأة	الأعراف/٥٦	رحمت «ك»	رحمة
آل عمران/٧٥	الأمِّين	الاميين	الأعراف/٦٩	بصطة	بسطة
آل عمران/٧٩	رَبَّـٰنِيِّـۧنَ	ربّانيين	الأعراف/١٠٥	ان لا	الّا
آل عمران/١٤٤	أَفَإِيْن «ك»	أفإن	الأعراف/١٢٧	نستحيِ‍ي	نستحيي
آل عمران/١٥٣	تلوُون	تلوون	الأنفال/٣٨	سنّت	سنّة
النساء/١٦	الذان	اللذان	التوبة/٤٧	ولا اوضعوا	ولاوضعوا
النساء/٢٣	ٱلَّـٰتِى «ك»	اللاتي	يونس/١٥	تلقاءى	تلقاء

السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر	السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر
النساء/٢٥	فمن ما «ك»	فممّا	يونس/٣٤	يبدؤا	يبدأ
النساء/٧٨	فمال هؤلاء «ك»	فما لهؤلاء	يونس/٣٥	أمّن	أم من
المائدة/١٨	ابنؤا	ابناء	هود/٨٦	بقيّت	بقيّة
هود/ ٨٧	ما نشؤا	ما نشاء	طه/ ١١٩	لا تظمؤا	لا تظمأ
هود/ ٩٧	وملاءيه	وملأه	طه/ ١٢١	سوءتهما	سوءاتهما
يوسف/٢٥	لدا	لدى	طه/١٣٠	ءاناءى	آناء
يوسف/٨٧	تايئسوا	تيأسوا	الأنبياء/٣٧	سأوريكم «ك»	سأريكم
يوسف/ ٨٧	يَاْيْئَسُ	ييأس	المؤمنون/٢٤	الملؤ «ك»	الملأ
يوسف/١٠١	ولىِّى	وليي	المؤمنون/٤٤	كل ما	كلما
يوسف/١١٠	اَسْتَيْئَسَ	استيأس	النور/٨	ويدرؤا	ويدرأ
الرعد/٣٩	يمحوا	يمحو	النور/١٣	جاءو «ك»	جاؤا
إبراهيم/٩	نبؤا	نبأ	النور/٤٣	عن من	عمّن
إبراهيم/٢١	الضعفؤا	الضعفاء	الفرقان/٢١	وعتو	وعتوا
الحجر/٩٥	المستهزءين	المستهزئين	الفرقان/٣٨	وثموا «ك»	وثمود
النحل/٤٣	فَسْـَٔلُوٓاْ	فسألوا	الفرقان/٤٩	لنحي	لنحيي
النحل/٤٨	يتفيؤا	يتفيأ	الشعراء/٩٢	اين ما	اينما
النحل/٨٦	رءا «ك»	رآى	الشعراء/٩٤	الغاون «ك»	الغاوون
النحل/٩٠	وايتاءى	وايتاء	النمل/٢١	لاذبحنه	لأذبنحنه
الإسراء/١١	يدع	يدعو	النمل/٦٤	يبدؤا «ك»	يبدأ

السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر	السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر
الكهف/٢٣	لشاىٔ	لشيء	النمل/٩٢	اتلوا	اتلو
الكهف/٣٨	لكنا	لكن	القصص/٣	نتلو	نتلو
الكهف/٤٨	أَلَّن	أن لن	القصص/٤	يستحيِ ى «ك»	يستحيي
الكهف/٦٣	ارءيت	أرأيت	القصص/٩	قرّت	قرّة
الكهف/٧٧	لتخذت	لاتخذت	الروم/١٣	شفعؤا	شفعاء
الكهف/٧٧	الداع	الداعي	الروم/١٦	لقاءى	لقاء
الكهف/١١٠	يرجوا «ك»	يرجو	الروم/٢٤	فيحيِ ى	فيحيي
مريم/٢٨	يأخت	يا أخت	الروم/٣٠	فطرت	فطرة
مريم/٤٤	يأبت	يا أبت	الروم/٣٩	ليربوا «ك»	ليربو
مريم/٤٦	يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ	يا ابراهيم	الأحزاب/٣٧	لكي لا	لكيلا
طه/١٨	اتوكؤا	اتوكأ	سبأ/٥	سعو	سعوا
طه/٩٤	يبنؤم	ياابن امّ	غافر/١٥	التلاق	التلاقي
غافر/٣٢	التناد	التنادي	الممتحنة/٤	برءؤا	برءاء
فصلت/٢٩	الذّين	اللذّين	التحريم/١١	امرأت	امرأة
الشورى/٢٤	ويمح	ويمحو	التحريم/١٢	بكلمت	بكلمات
الشورى/٣٠	ويعفوا «ك»	ويعفو	القلم/٦	باييكم	بأيّكم
الشورى/٣٢	الجوار	الجواري	التكوير/٨	الموءودة	المؤدة
الشورى/٥١	وراءى	وراء	الانشقاق/١١	يدعوا	يدعو
الدخان/٤٣	شجرت	شجرة	الغاشية/٢٢	بمصيطر	بمسيطر

السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر	السورة/الآية	الإملاء القديم	الإملاء المعاصر
الذاريات/١٣	يوم‌هم	يومهم	الفجر/٤	يسر	يسري
الذاريات/٤٧	باييد	بأيد	الفجر/٢٣	وجائ	وجيء
القمر/ ٦	يدع	يدعو	قريش	ای‌لفهم	ايلافهم
المجادلة/٩	معصيت	معصية			

القرآن في أطوار التحسين والتجويد

أخذ القرآن منذ الصدر الأول - وخاصّة فيما يتعلق بالكتابة وجودة الخطّ - مساراً تكاملياً، وقد كان للخطّاطين الكبار دورٌ كبير في تحسين الخطّ القرآني وتجويده.

وأوّل من خطى الخطوة الأولى في تحسين كتابة المصحف وتجويد خطّه، هو خالد بن أبي الهياج وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، والذي توفي حوالي عام (١٠٠)هـ، وقد كان معروفاً بحسن خطّه، وقيل: إنّ سعداً غلام الوليد وحاجبه قد وظّفه لكتابة المصحف والشعر والأخبار في بلاط الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦)، وهو الذي كتب سورة الشمس بالذهب على محراب المسجد النبوي في المدينة بعد تجديد بنائه بأمرٍ من عمر بن عبد العزيز سنة: ٩٠هـ[1].

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣: ٣٠-٣٦.

وقد طلب عمر بن عبد العزيز من خالد أن يكتب له مصحفاً بهذا الخطّ، فكتب هذا المصحف بخطّ جميل جداً، فقبله عمر بن عبد العزيز واستحسنه إلاّ أنّ خالداً طالب بمبلغٍ كبير ثمناً لجهوده، فلم يتمكن عمر من دفع ذلك المبلغ وأعاد إليه المصحف.

قال محمّد بن إسحاق (ابن النديم):

(رأيت مصحفاً بخطّ خالد بن أبي الهياج، صاحب علي عليه السلام وكان في مجموعة خطوط أثرية عند محمّد بن الحسين المعروف بابن أبي بعرة، ثم صار إلى أبي عبد الله بن حاني)[1].

كان الخطّاطون حتى أواخر القرن الهجري الثالث يكتبون القرآن بالخطّ الكوفي، ومنذ بداية القرن الرابع حلّ خطّ النسخ محلّ الخطّ الكوفي، فكان أوّل مصحف كتب بخطّ النسخ على يد الخطّاط المعروف محمّد بن علي بن الحسين بن مقلة (٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ)، قيل:

(إنّه أوّل من كتب خطّ الثلث والنسخ، وأوّل من هندس الحرف ـ إذ كان بارعاً في علم الهندسة ـ ووضع قواعدها وأُصول رسمها. واتّفق الباحثون على أنّ الفضل الأكبر في تطوير وتحسين الخطّ العربي الإسلامي وتنويعه يرجع إلى هذا الخطّاط الماهر، الذي لم تنجب الأمة الإسلامية لحد الآن خطّاطاً بارعاً مثله. وقد نسب عدد من المخطوطات الأثرية إليه؛ كالمصحف الموجود في متحف

---

(١) **الفهرست**: ٩، الفنّ الأوّل من المقالة الأولى: وص٤٦، الفنّ الأوّل من المقالة الثانية.

هراة بأفغانستان. ويقال: إنّه كتب القرآن مرتين[(١)].

في القرن الهجري السابع بلغ خطّ النسخ أعلى مستويات الكمال على يد ياقوت بن عبد الله الموصلي (ت: ٦٨٩ هـ)، وقد أنجز بخطّه الجميل كتابة سبعة مصاحف، وقد كتبت بأنواع الخطوط، وجرى الآخرون على تقليدها[(٢)]. فكانت جميع المصاحف حتى القرن الهجري الحادي عشر، تكتب على أُسلوب ياقوت. وفي القرن الثاني عشر اهتمّ الأتراك العثمانيون خاصة بعد فتح مصر على يد السلطان سليم بالخطّ العربي الإسلامي، فسعى السلطان سليم إلى تطوير هذا الخطّ من خلال الخطّاطين الفرس الذين استخدموا في الإمبراطورية العثمانية. فجمع السلطان سليم جميع الخطّاطين والرسّامين والفنّانين في عاصمته، فأبدعوا أنواعاً جديدة من الخطّ العربي؛ مثل: الرقعي، والديواني، والطغرائي، والإسلامبولي، ولا تزال الكتابة شائعة بها.

ومن الخطّاطين الذين نالوا شهرة أكثر من غيرهم: حافظ عثمان (ت: ١١١٠ هـ)، والسيد عبد الله أفندي (ت: ١١٤٤ هـ)، والأستاذ راسم (ت: ١١٦٩ هـ)، و«أبو بكر ممتاز بيك مصطفى أفندي»، الذي أبدع الخطّ الرقعي، وهو أسهل الخطوط العربية، حيث وضع قواعد هذا الخطّ وكان أوّل من كتب به. وقد عاصر «ممتاز بيك»، السلطان عبد المجيد خان، وابتكر هذا الخطّ في سنة (١٢٨٠هـ).

---

(١) **الخطّ العربي الإسلامي**: ١٥٥، و**الخطّاط البغدادي**: ١٦.

(٢) **الخطّ العربي الإسلامي**: ١٧١. **مصوّر الخطّ العربي**: ٩٢.

كما أنّ طباعة المصحف مثل كتابته وخطّه قد مرّت بمراحل تكاملية مختلفة. فقد صدرت أوّل طبعة للقرآن في البندقية في حدود عام (٩٥٠هـ) الموافق لعام (١٥٤٣م)، إلّا أنّ رجال الكنيسة أمروا بإتلافه فور صدوره من المطبعة، وبعد ذلك قام «هنكلمان» في عام (١١٠٤هـ) الموافق لعام (١٦٩٢م) بطبع القرآن في مدينة هامبورغ، ثم تبعه ماراشي بطبع القرآن في «بادو» سنة (١١٠٨هـ) الموافق لعام (١٦٩٦م).

وفي عام (١٢٠٠هـ) الموافق لعام (١٧٨٥م) قام المولى عثمان في بطرسبورغ من روسيا بطباعة القرآن أيضاً، وكانت هذه أوّل طبعة إسلامية للقرآن، ثم طبع القرآن في قازان أيضاً.

كما قام «فلوجل» بطبع القرآن طبعة خاصّة في عام (١٢٥٢هـ) الموافق لعام (١٨٣٦م) في مدينة «ليبزيغ» وبسبب الإملاء البسيط الذي تميّزت به هذه الطبعة لقيت ترحيباً واسعاً في الأوساط الأوربية، ولكنّها كسائر الطبعات الأوربية لم تلاق نجاحاً في العالم الإسلامي.

وأمّا أوّل بلد إسلامي قام بطبع القرآن ونجح في ذلك فهو إيران، حيث تمّ إصدار طبعتين حجريّتين جميلتين ومنقّحتين، بقطع كبير مع ترجمة بين السطور، وفهارس متعدّدة، وقد طبع الأول عام (١٢٤٣هـ) الموافق لعام (١٨٢٧م) في طهران، وطبع الثاني سنة (١٢٤٨هـ)، الموافق لعام (١٨٣٢م) في تبريز. كما تمّ طبع القرآن في هذه المدّة في الهند أيضاً.

ومن ثم بادرت تركيا العثمانية منذ عام (١٢٩٤هـ) الموافق لعام (١٨٧٧م) بإصدار طبعات مختلفة للقرآن هي في غاية الجمال والإتقان.

وفي عام (١٣٢٣هـ) الموافق لعام (١٩٠٥م) بادرت روسيا القيصرية بطبع

قرآن بالخطّ الكوفي وحجم كبير، وكان يتصوّر أنّه أحد المصاحف العثمانية الأولى، وكان هذا المصحف خالياً من النقط والعلامات التشكيلية مثل الفتحة والكسرة. وهناك عدّة صفحات ساقطة من أوّله، وهناك نقص في آخره، وبذلك كانت بدايته من الآية الثامنة من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وينتهي بالآية الرابعة من سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. وقد كان عثر على هذا القرآن في سمرقند ووضع تحت تصرّف مكتبة «**بطرسبورغ**» الملكية، وقد استنسخ مجمع التراث في «**طشقند**» خمسين نسخة عنه وبنفس حجمه، وأهديت نسخة واحدة منها لكلّ من الجامعات المهمّة في البلدان الإسلامية، وقد أهديت نسخة منه إلى مكتبة جامعة طهران (برقم: DSS١٤٤٠٣).

وفي عام (١٣٤٢هـ) الموافق لعام (١٩٢٣م) بادرت مصر بإدارة مشايخ الأزهر وتشكيل لجنة من وزارة الأوقاف، إلى إصدار طبعة نفيسة للقرآن، فلاقت نجاحاً في العالم الإسلامي، وقد طبع القرآن على غرارها عدّة مرّات.

وفي عام (١٣٧٠هـ) الموافق لعام (١٩٥٠م) قام العراق بطبع القرآن طبعة نفيسة. وبعد ذلك قامت جميع البلدان الإسلامية بطبع ونشر القرآن بأجمل الطبعات، ولا زالت هذه السنّة الحسنة متواصلة في العالم الإسلامي.

وكذلك شاع قرآن آخر كتبه الخطّاط السوري «**عثمان طه**» وقد طبع في سوريا، والعربية السعودية، وإيران، ولبنان، والبلدان الإسلامية الأخرى. ومن مميّزات هذا المصحف تنظيم الآيات في كلّ صفحة، وتنظيم أحزابه وأجزائه الثلاثين إلى أقسام متساوية.

الفصل الرابع

القرّاء والقراءات السبع

تُعدّ قراءة القرآن وتلاوة آياته من أهمّ المسائل القرآنية، بحيث إنّ الاهتمام بقراءة القرآن، وتعليم المجتمع الإسلامي كيفية التلاوة قد شغل أذهان بعض المسلمين منذ المراحل الإسلامية الأولى؛ فكان كبار الصحابة مثل: «**عبد الله بن مسعود**»، و«**أُبي بن كعب**»، و«**أبي الدرداء**»، و«**زيد بن ثابت**» في الطبقة الأولى، و«**عبد الله بن عباس**»، و«**أبو الأسود الدؤلي**»، و«**علقمة بن قيس**»، و«**عبد الله بن السائب**»، و«**الأسود بن يزيد**»، و«**أبو عبد الرحمن السُلمي**»، و«**مسروق بن أجدع**» في الطبقة الثانية، وغيرهم من كبار العلماء من الطبقة الثالثة إلى الثامنة، حيث بدأ عهد تدوين القراءات حتى تمّ حصر القرّاء بالسبعة المعروفين.

كانت سلسلة القرّاء والقراءات في تواصل مستمر عبر القرون حتى ظهر أبو بكر ابن مجاهد (٢٤٥ ـ ٣٢٤هـ) شيخ قرّاء بغداد في أوائل القرن الرابع، حيث حصر القراءات في السبع المعروفات، ثم أضيف إلى هؤلاء السبعة بعد مدّة من الزمن سبعة قرّاء آخرين، لتصبح القراءات أربع عشرة قراءة، وحيث كان لكلّ قارئ راويان، يكون عدد القراءات المتداولة ثمانية وعشرين قراءة.

كثر الكلام حول حجيّة القراءات المذكورة، واختلاف الآراء بين مَن يذهب إلى تواترها بأجمعها عن النبيّ الأكرمﷺ، وبين منكرٍ لذلك. وهذا

الاختلاف بحدّ ذاته يشكّل دليلاً وجدانياً على عدم تواتر هذه القراءات. ومن هنا فقد ذهب المحقّقون إلى أنّ الثابت عن النبيّ ليس سوى قراءة واحدة، وهي القراءة التي عليها جمهور المسلمين، فكلّ قراءة توافق هذه القراءة فهي مقبولة، وإلاّ فهي مرفوضة(١).

تعريف القراءة

القراءة هي تلاوة القرآن الكريم بحيث توافق اجتهاد أئمّة القرّاء المعروفين طبقاً للقواعد والضوابط المقرّرة في علم القراءة. وطبعاً لا يخفى أنّ نصّ القرآن واحد، وإنّما الاختلاف بين القرّاء يقع في تحدّ ذلك النصّ الواحد.

قال الإمام الصادقعليه السلام: «**إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة**»(٢). وإنّ الاختلاف إنما نشب بينهم للأسباب الآتية:

ـ اختلاف المصاحف الأولى فيما بينها، سواء تلك التي كتبت قبل توحيد المصاحف في عهد عثمان، أو تلك التي كتبت بعد ذلك.

ـ ضعف الخط، وكتابة القرآن التي كانت تخلو من جميع العلامات، بل وحتى النقط.

ـ بدائية الخطّ العربي آنذاك.

---

(١) كتاب التمهيد: ٢: ٤٢ فما بعد، و٢١٨ – ٢٢٦.

(٢) أصول الكافي: ٢: ٦٣٠، ح: ١٢.

أسباب اختلاف القراءات

تعود أسباب الاختلاف في قراءة القرآن إلى عهد الصحابة بعد وفاة النبيّ الأكرمﷺ. فقد اختلف الصحابة آنذاك حول جمع المصحف وتنظيمه وتأليفه، وهذا الأمر كان يؤدي من حين لآخر إلى الخلاف حول قراءة القرآن؛ فترى كلّ جماعة قراءتها أصحّ من قراءة الجماعة الأخرى، حتى كان الأمر يفضي أحياناً إلى الجدال والنزاع والخصومة.

وقد أدّى هذا الاختلاف إلى أن يدعو عثمان إلى توحيد المصحف، وأن يستنسخوا منه عدة نسخ بغية إرسالها إلى الحواضر الإسلامية المهمّة، وطبعاً ظهرت فيما بعد بعض الاختلافات في هذه النسخ التي كان ينبغي أن تكون موحّدة، فأصبحت منشأً لبعض الاختلافات في القراءات، نشير إلى بعضها في الجدول أدناه:

السورة	الآية	مصحف المدينة والشام	مصحف الكوفة والبصرة المطابق للمصحف المعاصر
البقرة	١١٦	قالوا اتّخذّ الله ولداً...	وقالوا اتّخذ الله ولداً....
البقرة	١٣٢	وأوصى بها إبراهيم...	ووصّى بها إبراهيم...
المائدة	٥٤	من يرتدد منكم عن دينه...	من يرتدّ منكم عن دينه...
الأعراف	١٤١	وإذا أنجاكم من آل فرعون...	وإذ أنجيناكم من آل فرعون...
الإسراء	٩٣	قال سبحان ربّي...	قل سبحان ربّي....

فبعد أن كان الخلاف بالأمس يدور حول قراءة الصحابة، أخذ اليوم يدور حول المصاحف نفسها. وطبعاً إنّ عثمان قد لاحظ هذا الخلل منذ اللحظة الأولى حيث قال:

(أرى فيه لحناً فقيل له: ألا تغيّره؟ فقال: لا حاجة إلى ذلك فإن العرب ستقيمه بألسنتها).

ولم يكن ليتمتّع ببعد النظر الذي يجعله يتكهّن بدخول أمم أخرى يتعين عليها قراءة القرآن بلغته العربية، والحال أنها أجنبية عليها، وأنّ العرب أنفسهم سيفقدون سجيّتهم العربية نتيجةً لاحتكاكهم بالأمم الأخرى(١).

ومهما كان فإنّ أسباب الاختلاف بين المصاحف بعد توحيدها كثيرة، وفيما يأتي نشير إلى أهمّها:

١ـ بدائية الخط العربي

كان الخطّ العربي آنذاك يطوي أولى مراحله، فلم تكن أُصوله محكمة ولم يكن العرب ليعرفوا فنون الخطّ؛ ولم يتقنوا أساليب الكتابة الصحيحة، وكثيراً ما كانت الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها، ولا تزال آثار ذلك موجودة في الخطوط القرآنية الراهنة، حيث كانت الكلمة تكتب بشكل تحتمل معه عدّة وجوه من القراءة، فالنون الأخيرة كانت تكتب بشكل مشابه لكتابة الراء، وكذلك الواو تشبه الياء، وربما كتبوا الميم الأخيرة نحو ما تكتب الواو، والدال على هيئة الكاف الكوفية، والعين الوسطية مثل الهاء، وربما فصلوا بين حروف الكلمة الواحدة، فيكتبون الياء منفصلة عنها كما في «يستحي ي»، و«نحي ي»، و«اُحيي». أو يحذفونها من رأسٍ كما في كلمة «**إيلافهم**» حيث كتبوها: «**إلافهم**» مما كان يسبّب إشكالاً لدى القارئ؛ ومن

---

(١) التمهيد: ٢: ٤-٨.

هنا قرأها بعضٌ على الهيئة التي رسمت عليها بلا ياء، ومنهم أبو جعفر حيث قرأ قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ بحذف الهمزة «ليلاف قريش»، وقوله تعالى: «إيلافهم رحلة الشتاء والصيف» بحذف الياء وإثبات الهمزة «إلافهم»[1].

وقرأ ابن أفلح «إلفهم» بإثبات الهمزة وإسقاط الياء وسكون اللام. وهكذا اختلف سائر القرّاء في هذه الكلمة اختلافاً غريباً بسبب عدم ضبط الكلمة في رسمها. وربما كتبوا التنوين على شكل النون، والنون ألفاً، فمثلاً كتبوا «لنسفعن»[2] بشكل «لنسفعاً»، وقوله تعالى: ﴿وليكونن من الصاغرين﴾[3] على شكل «ليكوناً...»، وبعبارة أخرى: كانوا يكتبون ألف التنوين بدلاً من نون التوكيد المخفّفة. كما كتبوا قوله تعالى: ﴿وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِن لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾[4] على هيئة «إذاً»[5].

وهكذا حذف الكثير من الواوات والياءات بلا سبب وجيه، مما شكّل أكبر أسباب الإبهام والإشكال في القراءات، بل وحتى في التفسير أيضاً، كما في قوله تعالى: «وصالحو المؤمنين»، حيث كتبت على نحو ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] فلم يتّضح أنها مفردة أم جمع مضاف[7].

---

(١) تفسير الطبرسي: ١: ٥٤٤. شرح مورد الظمآن: ١٤٣.

(٢) سورة العلق، الآية: ١٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٧.

(٥) شرح مورد الظمآن: ١٨٦.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٠: ٣١٦. شرح مورد الظمآن: ٤٧.

وحذفوا الألف من قوله تعالى: ﴿**عَاداً ٱلْأُولَىٰ**﴾(١) وكتبوها «وعاد الأولى»، فربّما اشتبه الأمر على القارئ فلم يعلم أنها اسم أو فعل(٢).

وزادوا ألفاً في قوله ﴿**جَاءَنَا**﴾ فكتبوا «**جاءانا**» والكلمة مفردة فربّما ظنّ القارئ أنها مثنّى(٣). كما رسموا ألفاً بعد كثير من واوات حسبوها جمعاً، ومن جهة أخرى حذفوا الكثير من أنواع الألف بعد واو الجماعة، فمن الأمثلة على النوع الأول: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي**﴾(٤)، و﴿**فَلَا يَرْبُواْ**﴾(٥)، و﴿**نَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ**﴾، و﴿**مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَاطِينُ**﴾. ومن المورد الثاني: «**فأوو**»، و«**جاؤو**»، و«**تبؤو الدار**»، و«**سمعو**»، و«**عتو**» ونحو ذلك.

والخلاصة: أنّ هذا النوع من الضعف الذي كان عليه المصحف في كتابته الأولى قد أدّى إلى الكثير من المشاكل (ومنها الاختلاف الفاحش بين القرّاء). ومن ثمّ ربما كان الأوائل يتّهمون كتبة المصاحف، وذهبوا إلى أنّ الصحيح على خلاف ما كتبوه، كما روي عن ابن عباس أنه قرأ «**ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**» فقيل له: إنه في المصحف ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ**﴾(٦)، فقال: التصقت إحدى الواوين فقرأ الناس (وقضى). وواضح أن الكتابة الأولى كانت خالية من النقط، الأمر الذي ساعد على هذا التصوّر.

---

(١) سورة نجم، الآية: ٥٠.

(٢) **شرح مورد الظمآن**: ١٢٥.

(٣) **شرح مورد الظمآن**: ١٢٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٦) سورة الاسراء، الآية: ٢٣.

وقال ابن إشتة: «إستمد الكاتب مداداً كثيراً؛ فالتزقت الواو بالصاد».

وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ الآية الحادية والثلاثين من سورة الرعد: «**أفلم يتبيّن الذين آمنوا**»، فقيل له: في المصحف ﴿**أفلم ييأس**﴾، فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس. ولابد من الالتفات إلى أنهم كانوا يكتبون الهمزة على الكرسي، ولما كانت الكلمات خالية من النقط كان يشتبه بين «**ييئس**» و«**يتبين**»، حيث لا تختلفان عن بعضهما كثيراً.

٢ـ خلو الكلمات من النقط

إنّ من الأسباب التي أدّت إلى بروز الكثير من المشاكل في قراءة القرآن هي كتابة الحروف المعجمة على نحو كتابة الحروف المهملة، ولذلك لم يكن هناك من فرق بين كتابة السين والشين، ولا بين الباء والتاء والثاء، ولا بين الجيم والحاء والخاء، ولا بين الصاد والضاد، ولا بين الطاء والظاء، ولا بين العين والغين، ولا بين الفاء والقاف، ولا بين النون والياء. وكان على القارئ أن يتولّى عملية التمييز بينها من خلال التدقيق في معنى الجملة والتركيب الكلامي، ليعرف ما إذا كان الحرف المراد جيماً أو حاءً أو خاءً. أو أنه باء أو تاء أو ثاء. أو كونه نوناً أو ياءً.

ومن هنا فقد قرأ الكسائي: «**إن جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا**»، بينما قرأ الباقون ﴿**فتبينوا**﴾(١).

(١) أبو حفص الأنصاري: **المكرر**: ١٤١.

وقرأ ابن عامر والكوفيون: «**ننشزها**»[١]، وقرأ الباقون: «**ننشرها**»[٢].

وقرأ ابن عامر وحفص: ﴿**ويكفر عنكم**﴾[٣]، وقرأ الباقون: «**نكفر**»[٤].

وقرأ ابن السميقع: «**فاليوم ننحيك ببدنك**»، وقرأ الباقون: ﴿**ننجيك**﴾[٥].

وقرأ الكوفيون غير عاصم: «**لنثوينهم من الجنة غرفاً**»، وقرأ الباقون: ﴿**لنبوّئنهم**﴾[٦][٧].

٣ـ الخلوّ من العلامات والحركات

كانت الكلمات تكتب في المصاحف الأولى خالية من علائم الإعراب والحركات، وكان وزن الكلمة وإعرابها وبنائها غير محدّد المعالم؛ فربّما احتار القارئ إذا لم يكن عربياً في وزن الكلمة وفي حركتها، بل وحتى إذا كان القارئ عربياً، ربّما أشكل عليه أحياناً معرفة هيئة الكلمة؛ فمثلاً لم يكن يعرف ما إذا كانت كلمة «اعلم» هل هي فعل أمرٍ أم مضارع للمتكلم. وأحيانا لا يعرف ما إذا كانت الكلمة من باب أفعل التفضيل أو من فعل الماضي من باب الإفعال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) **الكشف عن وجوه القراءات السبع**: ١: ٣١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١: ٣١٦.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨.

(٧) **تفسير الطبرسي**: ٨: ٢٩٠.

فقد قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أنّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ﴾[(١)] بصيغة فعل الأمر. بينما قرأها الباقون بصيغة فعل المضارع للمتكلم[(٢)]. كما قرأ نافع قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِـيمِ﴾[(٣)] بصيغة النهي، بينما قرأها الآخرون بصيغة فعل المضارع المبني للمجهول[(٤)]. وقرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: «ومن يطّوّع» بالياء وتشديد الطاء ومضارعاً مجزوماً، بينما قرأها الآخرون بالتاء وفتح الطاء وتخفيفها بصيغة الفعل الماضي[(٥)].

قال ابن أبي هاشم:

(إنّ السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها، أنّ الجهات التي وجّهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنهم أهل تلك الجهة. وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل. قال: فمن ثمّ نشأ الاختلاف بين قرّاء الأمصار)[(٦)].

وقال الأُستاذ الجليل آية الله الخوئي قدّس سرّه:

(إنّ القراءات لم يتضّح كونها رواية، فلعلّها اجتهادات من القرّاء. وتؤيّد هذا الاحتمال تصريحات بعض الأعلام بذلك، بل إذا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١: ٣١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١: ٢٦٢.

(٥) المصدرالسابق: ٢٦٨.

(٦) التبيان: ٨٦.

لاحظنا السبب الذي من أجله اختلف القرّاء في قراءاتهم، وهو خلوّ المصاحف المرسلة إلى الجهات من النقط والشكل، فإنّه يقوّي هذا الاحتمال)(١).

٤ـ عدم وجود الألف

إنّ من الأسباب التي أثارت إشكالاً في رسم الخط القرآني، عدم وجود الألف، حيث كان الخط العربي الكوفي منحدراً عن الخط السرياني، ولم تكن كتابة الألف الوسطية مألوفة فيه، فكانوا يسقطونها، وقد كُتب القرآن في البداية بالخط الكوفي على ذات النهج؛ فكانوا يسقطون الألف من أواسط ما كان مثل «**سماوات**» فكتبوها «**سموت**»، ولما ظهرت العلامات فيما بعد أخذوا يشيرون إليها بألف صغيرة فوق موضع نطقها. الأمر الذي أدى فيما بعد إلى الوقوع في الاشتباه في الكثير من الكلمات والاختلاف في القراءات؛ فمثلاً قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ**﴾(٢)، بإضافة حرف الألف أي «**وما يخادعون**»؛ وذلك لورودها في صدر الآية على شكل «**يخادعون الله**» حيث كتبت بحذف الألف فحسبوهما من باب واحد(٣). وهكذا في قوله تعالى: ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَة أَهْلَكْنَاها أنّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾(٤)، كتبت على شكل (حرم)، فقرأها حمزة

---

(١) البيان: ١٨١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١: ٢٢٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.

والكسائي وشعبة (وحِرْمٌ) بكسر الحاء وسكون الراء[١].

وقرأ أبو جعفر والبصريون: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٢] في هذه السورة وفي سورة الأعراف وطه، من دون ألف أي: «**وعدنا**» من الماضي الثلاثي المجرّد. وقرأها الباقون بالألف. وقرأ نافع ﴿**فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ**﴾[٣]: «غيابات» حيث زعمها جمعاً، لكونها كتبت على هذا النحو في المصاحف الأولى «**غيبت الجبّ**» فهذب كل واحد بحسب اجتهاده إلى اعتبارها جمعاً أو مفردة، وقد ذكر كل واحدٍ منهم دليلاً على اجتهاده[٤].

خلاصة القول: إنّ هذا النوع من الأسباب ـ التي أشرنا إلى بعضها ـ أدّت إلى وقوع القرّاء في الاختلاف، وقد جاء كلّ واحدٍ منهم على أدلّة تدعم قراءته وتقديمها على قراءة من سواه.

القراء ورواتهم

للأدلّة المتقدّمة فقد اختلف القرّاء في قراءة بعض مواطن القرآن، وأخذت وتيرة القرّاء عدداً تصاعدياً حتى حصرهم ابن مجاهد في سبعة، وقد ذكر لكلّ واحد منهم راويين، وهم كالآتي:

١- عبد الله بن عامر اليحصبي (ت: ١١٨) قارئ الشام. وراوياه: هشام بن

---

(١) شرح مورد الظمآن: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢: ٥.

عمار (١٥٣-٢٤٥)، وابن ذكوان (١٧٣-٢٤٢)، ولم يدركاه أبداً.

٢- عبد الله بن كثير الدارمي (ت: ١٢٠) قارئ مكة. وراوياه: البزي (١٧٠-٢٥٠)، وقنبل (١٩٥-٢٩١)، ولم يدركاه أيضاً.

٣- عاصم بن أبي النجود الأسدي (ت:١٢٨هـ) قارئ الكوفة. وراوياه: حفص بن سليمان ـ ربيبه ـ (٩٠-١٨٠)، وشعبة أبو بكر بن عياش (٩٥-١٩٣)، وكان حفص أدق وأضبط نقلاً لقراءة عاصم، ومن خلاله انتشرت قراءته حتى يومنا هذا.

٤- أبو عمر بن علاء المازني، واسمه زبان (ت: ١٥٤ هـ)، قارئ البصرة. وراوياه: حفص بن عمر (ت: ٢٤٦ هـ)، وصالح بن زياد السوسي (ت: ٢٦١ هـ)، وكذلك لم يدركاه، وإنما رويا عن اليزيدي عنه.

٥- حمزة بن حبيب الزيات (ت: ١٥٦ هـ)، قارئ الكوفة. وراوياه: خلف بن هشام (١٥٠-٢٢٩ هـ)، وخلاد بن خالد الشيباني (ت: ٢٢٠)، وقد رويا عنه بواسطة.

٦-نافع بن عبد الرحمن الليثي (ت: ١٦٩ هـ)، قارئ المدينة. وراوياه: عيسى بن ميناء (١٢٠-٢٢٠) وهو المعروف بقالون، ربيب نافع، وورش عثمان بن سعيد (١١٠-١٩٧) وهي القراءة السائدة في بعض بلاد المغرب العربي.

٧- علي بن حمزة الكسائي (ت: ١٨٩ هـ)، قارئ الكوفة. وراوياه: ليث بن خالد البغدادي (ت: ٢٤٠ هـ)، وحفص بن عمر الدوري (ت: ٢٤٦ هـ).

هذا وقد أضاف المتأخرون ثلاثة ليتمّ عدد القرّاء بهم عشرة على النحو الآتي:

٨- خلف بن هشام، راوي حمزة الزيات (ت: ٢٢٩ هـ)، قارئ بغداد. وراوياه: أبو يعقوب (ت: ٢٨٦ هـ)، وأبو الحسن (ت: ٢٩٢ هـ).

٩- يعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥ هـ)، قارئ البصرة. وراوياه: رويس (ت: ٢٣٨هـ)، وروح (ت: ٢٣٥ هـ).

١٠- أبو جعفر المخزومي (ت: ١٣٠)، قارئ المدينة. وراوياه: ابن وردان (ت: ١٦٠)، وابن جمّاز (ت: ١٧٠).

ولحق هؤلاء أربعة قرأوا بالشواذ (خلاف المشهور)، وقد اعتبرت قراءتهم، وقبلتها العامة، وهم:

١١- الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠ هـ)، قارئ البصرة. وراوياه: شجاع البلخي (١٢٠-١٩٠)، والدوري (ت: ٢٤٦ هـ)، ولم يدركاه، وإنما رويا عنه بالإسناد.

١٢- ابن محيصن، محمّد بن عبد الرحمن (ت: ١٢٣ هـ)، قارئ مكة. وراوياه: البزي (١٧٩-٢٥٠)، وابن شنبوذ (ت: ٣٢٨ هـ)، وقد رويا عنه بالإسناد.

١٣- يحيى بن مبارك اليزيدي (ت: ٢٠٢ هـ)، قارئ البصرة. وراوياه: سليمان بن حكم (ت: ٢٣٥ هـ)، وأحمد بن فرج الضرير (ت: ٣٠٣ هـ)، رويا عنه بالإسناد.

١٤- الأعمش، سليمان بن مهران الأسدي (ت: ١٤٨ هـ)، قارئ الكوفة. وراوياه: الشنبوذي (٣٠٠-٣٨٨)، والمطوّعي (ت: ٣٧١ هـ) رويا عنه بالإسناد.

هؤلاء أربعة عشر قارئاً، لكلّ واحد منهم قارئان، فيتم عددهم ثمانية

وعشرون راوياً، لابد من التعرّف عليهم في هذا المجال.

هذا وإنّ خمسة من القرّاء السبعة من أُصول إيرانية. وأما الآخرين وهما (ابن عامر)، فمجهول النسب. و(أبو عمرو) من قبيلة مازن تميم، ولكن حكى القاضي أسد اليزيدي: إنه من (فارس) شيراز، من قرية يقال لها (كازرون).

كما أنّ أربعة منهم، وهم: عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي كانوا يجاهرون بتشيعهم، وأما ابن كثير ونافع فيحتمل تشيّعهما قوياً؛ لكونهما من فارس[1]. وأما ابن عامر، فقد كان أمويّ النشأة، لا يتورّع عن الكذب والفسوق[2].

تواتر القراءات السبع

من المسائل المهمة في بحث القراءات السبع، البحث في تواترها وحجيتها، فإنه إن ثبت تواترها، لم يكن هناك من شك في حجيّتها.

فقد ذهب كثير من المؤلفين وحتى بعض الفقهاء إلى تواتر القراءات السبع، وحجيتها شرعاً، وعليه يمكن للمصلّي اختيار أيّ واحدة من هذه القراءات، والتعبّد بها في صلاته. إلا أنّ المحقّقين ينكرون تواترها، حيث قالوا: إذا كان المراد من التواتر نقل الجميع لها عن قارئها، لم يكن لهذا التواتر قيمة، إذ لابد أن يكون مبدأ التواتر معصوماً؛ لتثبت الحجية للمنقول.

---

(١) وعلى هذا المبنى يحتمل أيضاً دخول الكثير من علماء العامة في رحاب التشيع؛ مثل: البخاري والترمذي وغيرهما؛ لمجرّد كونهما من فارس! المترجم.

(٢) التمهيد: ٢: ٢٢٦-٢٣١.

وإذا كان المراد هو نقل خصوص هؤلاء القرّاء السبع عن النبيﷺ، فهذا ما لم يتمّ إثباته؛ لأنّ أكثر القرّاء يفتقرون حتى إلى سند لقراءتهم، فما ظنّك بتواترها، هذا مضافاً إلى أنّ أكثر هذه القراءات إجتهادي، لم يستند إلى رواية صحيحة. ومع افتراض تواترها إلى قرّاءها، فإنّ هذا التواتر لن يجدي شيئاً؛ لأن التواتر إنما يكون حجّة إذا ثبت للشخص نفسه، فيكون حجّة له دون غيره.

وإذا كان ذلك يعني نقل هؤلاء القرّاء عن النبيﷺ ونقل الآخرين عنهم، كان هذا فاقداً لشرط التواتر، وهو تحققه في جميع الطبقات من المنقول عنه إلى السامع الأخير، وهذا ما لم يتحقق في الفرض المذكور؛ حيث نصل في المنتصف إلى النقل عن قارئ تلك القراءة منفرداً، وهو مهما كان ثقة لا يشكل تواتراً، ولا ينطبق عليه تعريف التواتر.

وعليه فإن مسألة تواتر القراءات السبعة غير متصوّرة وغير معقولة.

حديث الأحرف السبعة

إنّ الدليل الذي أقاموه على حجية القراءات السبع، هو الحديث القائل «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»؛ وذلك بحمله على القراءات السبع، من خلال تفسير الأحرف على أنها جمع حرفٍ بمعنى (قراءة).

إلاّ أننا أوضحنا في محلّه أنّ الحرف هنا بمعنى اللهجة، حيث كانت القبائل العربية تقيم الصلاة، وتتلو القرآن على لهجاتها، تاركة لهجة قريش رغم كونها أفصح اللهجات. حيث اعترض بعض الصحابة على إلزامهم بلهجة قريش؛ فقال النبيﷺ: «**نزل القرآن على سبعة أحرف**». وبعبارة

أخرى: أراد النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه نفي الخصوصية عن لهجة قريش، وما عدد السبعة إلا كناية عن الكثرة.

حجية القراءات

هل هناك من حجيّة وقيمة واعتبار للقراءات السبع؟ وهل يجوز للمصلّي التعبّد بأيّ واحدة منها؟

صرّح أكثر الفقهاء على الجواز. وقد ذهب السيد محمّد كاظم اليزدي في «**العروة الوثقى**»، والسيد أبو الحسن الإصفهاني في «**وسيلة النجاة**» إلى أنه مقتضى الاحتياط، فيجب على المصلّي عدم تجاوز هذه القراءات، وإن كانت فتواهما على جواز القراءة بغير السبع أيضاً[(١)].

وذهب آية الله السيد الخوئي إلى أنّ القراءة المتداولة في عصر الأئمة هي الجائزة[(٢)]، وحمل الحديث القائل: «**اقرأوا كما يقرأ الناس**» على القراءات الشائعة آنذاك.

وذهب الإمام الخمينيقُدِّسَ سِرُّه إلى أنّ الاحتياط في عدم تجاوز القراءات السبع[(٣)].

والمشهور بين الفقهاء، جواز التخيير بين القراءات السبع، رغم قول الإمام الصادقعَلَيْهِ السَّلَامُ: «**القرآن واحد نزل من عند الواحد، وإنّما الاختلاف**

---

(١) **العروة الوثقى**: آداب القراءة وأحكامها، المسألة: ٥٠. **وسيلة النجاة**، **القراءة**، المسألة: ١٤.

(٢) **منهاج الصالحين**: ١: ١٦٧، كتاب الصلاة ، المسألة: ١١٩.

(٣) **تحرير الوسيلة**: ١: ١٥٢، ، كتاب الصلاة ، المسألة: ١٤.

يأتي من قبل الرواة»، إلاّ أنّ الفقهاء قالوا: إنّ الأئمة رخّصوا في القراءة بأيّ القراءات السبع، مستدلّين لذلك بقوله عليه السلام: «**اقرأوا كما يقرأ الناس**»، والجمع بين الروايتين يقتضي الاقتصار على القراءات المعروفة، فلم يلزموا الناس بقراءة بعينها تسهيلاً عليهم، ولكنّهم مع ذلك وجدوا الاحتياط في عدم تجاوز السبع.

وهذا الاحتياط هو الذي قصده السيد الإمام الخميني قدس سره؛ لاحتمال أن يكون الحديث القائل: «**إقرأوا كما يقرأ الناس**» ناظراً إلى هذه القراءات المشهورة بينهم.

ولكن ذهب المرحوم السيد محسن الحكيم في «**مستمسك العروة الوثقى**»[1] إلى عدم إمكان أن يكون هذا الحديث ناظراً إلى القراءات السبع؛ وذلك لأنّ حصر القراءات بهذه السبع كان في أوائل القرن الهجري الرابع، أي بعد قرنين من صدور هذا الحديث.

ولذلك فقد حمل الحديث على القراءات المعروفة في عصر الأئمة، وهي أكثر من سبع؛ فيثبت جواز القراءة بكل ما ثبت شيوعه بين الناس في عصر الأئمة.

اعتقادنا على أنّ القرآن النازل على النبي لم يكن إلا واحداً، وهو القرآن الذي صانه الناس، والقراءة الصحيحة هي التي أخذها الناس من النبي صلى الله عليه وآله وتوارثوها عنه، ولا ربط لها بقراءة القرّاء التي هي مجرّد

(١) مستمسك العروة الوثقى: ٦: ٢٤٢-٢٤٥.

اجتهاداتهم الشخصية، ولا يمكن أن يكون له ربط بها، فالقرآن المتوارث، غير القرآن الاجتهادي.

وقال كبار العلماء من أمثال الإمام بدر الدين الزركشي[(١)]، والسيد الأستاذ الخوئي[(٢)]: «**القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمّد**صلى الله عليه وآله **والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي**» القائم في غالبه على الاجتهادات الشخصية لهؤلاء القرّاء؛ ولذلك يكون الحديث القائل: «**إقرأوا كما يقرأ الناس**» ناظراً إلى تلك الحقيقة المنتشرة بين الناس، والتي ورثوها عن النبي صلى الله عليه وآله، وليست تلك الجارية على ألسنة القرّاء والناتجة عن اجتهاداتهم والتي اختلفوا فيما بينهم حولها. وعليه فما هو المعتبر والحجّة شرعاً هي القراءة التي تتمتع برصيد جماهيري، وهي القراءة الثابتة دائماً، والمدوّنة في جميع المصاحف الموجودة بين أيدينا.

إنّ جميع المصاحف المخطوطة والمطبوعة في القرون الأخيرة ذات نسق واحد[(٣)]، وهي بأجمعها توافق قراءة حفص، وهي القراءة التي كانت ولا تزال شائعة بين المسلمين؛ لأنّ عاصم قد أخذها عن أستاذه أبي عبد الرحمن السّلمي، الذي أخذها بدوره عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي

---

(١) **البرهان**: ١: ٣١٨.

(٢) **البيان**: ١٧٣.

(٣) جدير ذكره أن قراءة ورش برواية قالون هي القراءة الوحيدة التي طبعت مؤخراً في الجماهيرية العربية الليبية، وقد واجهت اعتراض المسلمين وقادة بعض الدول الإسلامية.

بطبيعة الحال قراءة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، التي أجمع الناس على صحّتها.

قال الإمام الخميني قدس سره: «**الأحوط عدم التخلف عمّا في المصاحف الكريمة الموجودة بين أيدي المسلمين**»[1].

قراءة حفص

قراءة حفص هي القراءة الوحيدة التي تحضى بصحة السند، ودعم جمهور المسلمين، وقد تداولها المسلمون منذ القرون الماضية وحتى يومنا هذا؛ وذلك للأسباب الآتية:

١- سندها الذهبي، حيث يرويها حفص عن عاصم عن عبد الرحمن السّلمي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وجميع رجاله من كبار الطائفة وموضع ثقة الأمة.

٢- موافقتها لقراءة الجمهور، فقد سعى عاصم إلى الحصول على أصحّ القراءات؛ فعلمها لحفص، وإنّ الطريق الصحيح للوصول إلى القراءة المتوارثة عن النبي هو الطريق الذي سلكه عاصم.

٣- كان عاصم يتمتّع بخصوصية جعلته مورد ثقة الجميع، حيث كان يعرض كلّ قراءة يتعلمها على عددٍ من الصحابة والتابعين ليطمئن إلى صحتّها، وإلا لم يعتمد عليها[2]. وقد تمّ تلقي قراءة عاصم بوصفها أفضل القراءات على مرّ العصور؛ ولذلك رصد ابن مجاهد خمسة عشر شخصاً

(١) **تحرير الوسيلة**: ١: ١٥٢، المسألة: ١٤.

(٢) الذهبي: «**معرفة القرّاء الكبار**»: ١: ٧٥.

لتعليم قراءة عاصم. وكان أستاذ القراءات إبراهيم بن محمّد المعروف بابن نفطويه(ت: ٣٢٣هـ)، كلّما عقد مجلساً للقراءة بدأ بقراءة عاصم[١].

أمّا الإمام أحمد بن حنبل فلم يقبل غير قراءة عاصم. وكان حفص أعلم الناس بقراءة عاصم، وكانت قراءته على الدوام محطّ أنظار العلماء والفقهاء من الإمامية[٢].

---

(١) الذهبي: «**معرفة القرّاء الكبار**»: ١: ٢١٧. ابن حجر العسقلاني: «**لسان الميزان**»: ١: ١٠٩.

(٢) **التمهيد**: ٢: ٣٢٣-٢٣٦.

الفصل الخامس

دفع شبهة التحريف

كانت شبهة تحريف القرآن مطروحة منذ القدم، وكانت على الدوام محطّ إنكار علماء الإسلام والمحققين الكبار، باستثناء نزر قليل منهم ممّن كانت تعوزهم المعرفة الكاملة بأُسس العقائد الإسلامية؛ فوجدوا الشبهة قويّة، وحاولوا العثور على تخريجات لها. ومنشأ هذه الشبهة روايات منقولة في الكتب السنّية والشيعية تفيد وقوع التحريف في كلام الله، وهي في غالبيتها قابلة للتأويل، فإن قبلت التأويل فبها، وإلاّ ضربنا بها عرض الجدار.

إنّ البحث في شبهة التحريف مهم، لارتباطه بحجّية ظواهر القرآن، ولذلك يجب معالجتها من الجذور؛ لنثبت صحّة هذه الروايات من سقمها.

وسنتناول هذا البحث في ثلاثة أقسام:

الأول: في أدلة المحققين على نفي التحريف.

الثاني: آراء كبار علماء الأمة حول هذه الشبهة.

الثالث: دراسة الروايات المروية من طرق السنة والشيعة.

التحريف لغة

التحريف مأخوذ من «الحرف» بمعنى الطرف والناحية، قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْف فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنّ بِهِ وَإِنْ**

أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ...﴾[1].

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: «**أي على طرفٍ من الدين، لا في وسطه وقلبه**». وذلك بسبب تزلزلهم في الدين وعدم رسوخ إيمانهم، فلا قرار لهم، كالذي يسير في ناحية الجيش، فإن حصل نصر ونال العسكر الغنائم، ثبتوا وشاركوا الآخرين في أخذ الغنائم، وإن كان فشل، سلكوا طريق الفرار من الزحف طلباً للنجاة[2].

وتحريف الكلام، إبعاده عن طريقه، وتوجيه الألفاظ والعبارات إلى غير معناها الحقيقي والطبيعي، وبذلك يتحقق التحريف، ولذلك عرّف التحريف بأنه: «**تفسير الكلام على غير وجهه**» مما يُعدّ تأويلاً غير صحيح، وهذا النوع من التحريف، تحريفٌ في المعنى، ويسمّى «**التحريف المعنوي**».

وكلّما استعملت كلمة التحريف في القرآن الكريم، أريد منها هذا النوع من التحريف المعنوي. قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾**[3]: أي: «**يفسرونه على غير ما أنزل، وهو سوء التأويل**»[4].

وقال الزمخشري في تفسيرها: «**أي: يميلونها عن مواضعها**»[5].

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

(٢) **الكشاف**: ٢: ١٤٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣؛ سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٤) **تفسير الطبرسي**: ٢: ١٧٣.

(٥) **الكشاف**: ١: ٥١٦.

وقال الشعراني في حاشية مجمع البيان:

(المراد من المواضع هي المعاني والمقاصد، أي: لا يحملون الألفاظ على معانيها الظاهرة منها، بل يؤوّلونها على وجوهٍ بعيدة).

وقال الزمخشري في ذلك:

(فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمِنٌ بأن يكون فيها، فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له، بعد مواضعه ومقارّه).[١]

ويروى عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده**»[٢]، أي أنهم فسّروه وأوّلوه على خلاف المراد منه.

التحريف اصطلاحا

ورد التحريف بحسب المصطلح في سبعة معاني:

١- **التحريف في دلالة الكلام**: بمعنى التفسير والتأويل الاعتباطي، بحيث لا يقوم له شاهد من اللغة، أو الوضع أو القرائن، بل هو صرف تفسير وتأويل قائم على الأهواء والمشارب، ولذلك يعدّون هذا النوع تأويلاً باطلاً ومرفوضاً، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**من فسّر القرآن برأيه؛ فليتبوّأ مقعده من النار**»[٣].

(١) محمّد هادي، معرفت، **صيانة القرآن من التحريف**: ١٥. عن **الكشاف**: ١: ٢٥٧، والقَمِن: يعني الجدير.

(٢) **الكافي**: ٨: ٥٣، الحديث: ١٦.

(٣) **غوالي اللئالي**: ٤: ١٠٤، الحديث: ١٥٤.

٢- وضع الآية أو السورة في المصحف على خلاف ترتيب نزولها: وهذا حاصل وواقع في السور، أمّا بالنسبة إلى الآيات، فهو احتمال بعيد.

٣- الاختلاف في القراءة، وكونها مغايرة للمشهور: وهو ما حدث منذ الصدر الأول واستمرّ لقرون، حيث كان هناك من القرّاء من يقرأ على خلاف القراءة المشهورة.

٤- الاختلاف في اللهجة: حيث كان لكلّ قبيلة لهجتها المخالفة للهجة قريش، وكان أفراد كل قبيلة يتلون القرآن طبقاً للهجتهم، وقد أجاز النبي الأكرمصلى الله عليه وآله هذا النوع من الاختلاف. وإنّ حديث «**نزل القرآن على سبعة أحرف**» ناظر إلى اختلاف اللهجات.

٥- تبديل الكلمات: وذلك من خلال استعمال ما يرادف الكلمة القرآنية، وهو الذي ينسب إلى عبد الله بن مسعود، حيث قيل: إنّه كان يجيز إبدال الكلمات الصعبة والمعقّدة بأخرى أسهل منها، مع اشتراطه عدم الإخلال بالمعنى.

٦- إضافة سورة أو آية أو عبارة أو كلمة إلى القرآن: وقد روي عن ابن مسعود إدخاله بعض الكلمات التوضيحية بين ألفاظ آية تفسيراً لها، وليفهم المراد منها بشكل أوضح، كقوله في آية التبليغ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ـ أنّ علياً مولى المؤمنين ـ **وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[1]. هذا وقد تصوّر العجاردة (وهم أتباع ابن عجرد فرقة من

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

الخوارج) أنّ سورة يوسف ليست من القرآن[١].

٧ ـ **التحريف بالإنقاص من القرآن**: حيث ذهب بعض إلى أنّ القرآن كان أكثر مّما هو عليه الآن، وقد سقط شيءٌ منه إمّا سهواً أو عمداً، والبحث في تحريف القرآن يقع في الأكثر حول هذه المسألة. فهل سقط شيءٌ من القرآن أم لا؟ والذي أدّى إلى هذه الشبهة روايات مرويّة من طريق «**الحشوية**»[٢] من السنّة، و«**الإخباريون**»[٣] من الشيعة. وقد قام إجماع الأمة على عدم وقوع التحريف بالزيادة.

أدلة نفي التحريف

نتعرّض هنا إلى سردٍ بأقوال العلماء المسلمين في نفي التحريف، ممّا هو مذكور في كتبهم الكلامية والأُصولية:

١ـ شهادة التاريخ:

كان القرآن منذ نزوله ولا يزال محطّ اهتمام الجميع، وخاصة المسلمين

---

(١) عبد الكريم، **الشهرستاني**، **الملل والنحل**: ١: ١٢٨.

(٢) عرفوا بالحشوية لكونهم كانوا يحشون الأحاديث التي عندهم بأحاديث أخرى غير صحيحة تسويقاً للرديء من خلال عرضه مع الجيد، وكان هذا في غاية القبح منهم، لما نقل عن النبي الأكرم: «**من روى عني حديثاً يعلم أنه كذب؛ فهو الكذّاب**» (**الموضوعات**؛١: ٢٤٠).

(٣) كانت كلمة الإخباريين تطلق على من يهتم بجمع الأخبار التاريخية، ومنذ القرن الحادي عشر أخذ هذا المصطلح يطلق على المحدّثين الذين يتسامحون في نقل الروايات ويروونها عن كلّ شخص (راجع: **صيانة القرآن من التحريف**: ١٠٩ و١٥٧ فما بعد).

منهم. وكان النبي الأكرمﷺ يتولّى حفظه شخصياً، وكان يأمر المسلمين بضبطه وحفظه وكتابته، وكان الصحابة يستنسخون الآيات ويحفظونها في صناديق وأكياس في بيوتهم. فشاع حفظ القرآن منذ ذلك الحين، وظهر عدد لا يحصى من «**حفظة القرآن**»، وكان الحافظون يتمتّعون في كلّ زمان بمكانة سامية في المجتمعات الإسلامية، ومضافاً إلى حفظ القرآن كانت عملية نسخ القرآن وتوزيعه على الأقطار قائمة بالتوازي مع عملية حفظه على قدمٍ وساق.

خلاصة القول: إنّ الحافظ الوحيد للقرآن وهذا الكتاب السماوي طوال الأزمنة المنصرمة لم يكن سوى جمهور المسلمين، حيث لم يغفلوا عنه ولو للحظة واحدة.

وعلاوة على جمهور الناس، لا يمكن تجاوز دور العلماء والمفكرّين المسلمين في العناية بهذا الكتاب، حيث كان على الدوام يتمتّع بالكلمة الأولى وفصل الخطاب في جميع العلوم الإسلامية، مما لا يبقى معه لأيّ عالم مسلم مهما كان اختصاصه مندوحة من الرجوع إلى القرآن. هذا وإنّ بعض العلوم الإسلامية نشأت وأسست في موضوع القرآن على وجه التحديد؛ لتعرف فيما بعد بعلوم القرآن.

قال السيد المرتضى علم الهدى في هذا الشأن:

(إنّ العلم بصحّة نقل القرآن، كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة. فإنّ العناية اشتدّت، والدواعي توفرّت على نقله وحراسته، وبلغت إلى

حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه؛ لأنّ القرآن معجزة النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية. وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية, حتى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مُغيّراً أو منقوصاً، مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً: «إنّ العلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحّة نقله، كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة، ككتاب سيبويه والمزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها، ما يعلمون من جملتها، حتى لو أنّ مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب؛ لعُرف وميّز وعلم أنه ملحق، وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه، [والمزني]، ودواوين الشعراء)[1].

وقال الشيخ جعفر الكبير، صاحب كشف الغطاء في استدلاله على ذلك:

(وما ورد عن أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظواهرها، ولا سيّما ما فيه من نقص ثلث ـ أكثر من ألفي آية ـ القرآن، أو كثير منه. فإنه لو كان ذلك لتواتر نقلهنّ لتوفرّ الدواعي عليه، ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام

(١) تفسير الطبرسي: ١: ٤٣ المقدمة، الفن الخامس.

وأهله...)، ثمّ قال: (كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه؟ وخصوصاً ما ورد أنه صرّح فيه بأسماء كثيرٍ من المنافقين؟! وكيف يمكن ذلك وكان من حكمة النبي صلى الله عليه وآله الستر عليهم ومعاملتهم معاملة أهل الدين...)؟!

وأخيراً قال: (يا للعجب من قوم يزعمون سلامة الأحاديث وبقائها محفوظة، وهي دائرة على الألسن ومنقولة في الكتب، في ألف ومائتي سنة، وإنّها لو حدث فيها نقص لظهر واستبان وشاع، ولكنهم يحكمون بنقص القرآن، وخفي ذلك في جميع الأزمان)[(١)].

٢ـ ضرورة تواتر القرآن:

إنّ من الأدلة المهّمة على دفع شبهة التحريف، هي مسألة تواتر القرآن بالضرورة، فإنّ شرط الإيمان بالقرآن تواتره بجميع أجزائه، حتى في حروفه وحركاته وسكناته، وذلك هن طريق تناقل جمهور المسلمين له، لاحقٌ عن سابق، وعليه ما نقل من أنه كانت هناك في القرآن كلمة أو آية أو سورة ثمّ سقطت، لا يمكن القبول والأخذ بها؛ لكونها من روايات الآحاد، وهي مرفوضة لخرقها الشرط السابق من لزوم التواتر. وأساساً إنّ خبر الواحد مردود في المسائل الأصولية والكلامية، ولا يؤخذ به إلا في المسائل الفرعية والعملية.

---

(١) الشيخ جعفر الكبير، كاشف الغطاء؛ **كشف الغطاء**: كتاب القرآن، كتاب الصلاة، المبحث: ٧ و ٨: ٢٩٨-٢٩٩.. كذلك **الحق المبين**، للمؤلف نفسه: ١١.

قال العلاّمة الحلّي في نفي التحريف:

(اتفقوا على أنّ ما نقل إلينا متواتراً من القرآن فهو حجّة، واستدل بأنه سند النبوّة ومعجزتها الخالدة؛ فما لم يبلغ حدّ التواتر، لم يمكن حصول القطع بالنبوّة. قال: وحينئذٍ لا يمكن التوافق على نقل ما سمعوه منه ـ على فرض الصحّة ـ بغير تواتر، والراوي الواحد، إن ذكره على أنّه قرآن فهو خطأ، وإن لم يذكره على أنّه قرآن كان متردّداً بين أن يكون خبراً عن النبيﷺ، أو مذهباً له (أي للراوي)؛ فلا يكون حجّة)[1].

وهذا أيضاً هو ما استدلّ به السيد مجاهد الطباطبائي في كتاب «**وسائل الأُصول**»، والمحقق الأردبيلي في كتاب «**شرح الإرشاد**»، والسيد محمّد جواد العاملي في كتاب «**مفتاح الكرامة**»[2].

٣ـ مسألة إعجاز القرآن:

إنّ من جملة المسائل المتعارضة وشبهة تحريف القرآن، بل وتنفيها نفياً قاطعاً، هي مسألة إعجاز القرآن. حيث يذهب العلماء إلى أنّ الإعجاز القرآني يشكلّ أكبر دليل على نفي شبهة التحريف؛ وذلك لانتفاء الزيادة في القرآن، كما تصوّر الخوارج حيث ذهبوا إلى زيادة سورة يوسف؛ لكونها قصّة غرامية لا موضع لها في القرآن. وانتفاء النقيصة، كما ذهب

(١) البروجردي، **البرهان**: ١١١.

(٢) **صيانة القرآن من التحريف**: ٣٨ - ٣٩.

الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود حيث تصوّر أنّ المعوّذتين دعاءان لإبطال السحر، وليستا من القرآن[1]. وذلك للزوم محذور إمكان الإتيان بمثل القرآن من حيث البلاغة والفصاحة والبيان، وأنى للبشر ذلك؟

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ...﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾[4].

ويسمى هذا النوع من الآيات بآيات التحدّي، بمعنى طلب الإتيان بمثله تعجيزاً؛ وعليه فإنّ القول بعدم جزئية سورة يوسف والمعوّذتين في القرآن الكريم، يعني أنهما ليسا من عند الله، وأنّهما من صنع البشر، وهذا تعبير آخر عن إمكان أن يأتي البشر بمثل القرآن، وإبطال التحدّي الإلهي، وهو قول باطل.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى القول باحتمال تبديل كلمات القرآن، كما تصوّر الشيخ النوري ومن قبله السيد الجزائري؛ وذلك لأنّ أيّ تبديل وتغيير

---

(١) لا يخفى أن هذا المثال لا يتناسب وانتفاء التحريف عن القرآن بالنقصان؛ لأنّ عبد الله بن مسعود هنا يتصوّر زيادة المعوذتين، كما يذهب الخوارج إلى زيادة سورة يوسف، فهما إذن من وادٍ واحد، وعليه البحث عن مثال آخر للقول بنقصان القرآن. المعرّب.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.

في نظم القرآن يؤدّي إلى القول بتبدّل صورته، وكون هذا التبديل من فعل المبدّل، وخروجه من الوحي، وعليه تكون نسبة مثل هذا الكلام إلى المبدّل أولى من نسبته إلى الله تبارك وتعالى، حيث تصوّر هذان العالمان أن قوله تعالى: ﴿... **فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ**...﴾(١) في الأصل «لو تبيّنت الإنس أن لو كانت الجنّ يعلمون الغيب»(٢). وأنّ قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**...﴾(٣) كانت في الأصل: «خير أئمةٍ»(٤).

كما أنّ الإنقاص من القرآن يؤدّي إلى الإخلال بنظمه، وهو يؤدّي قطعاً إلى التأثير ببلاغته؛ ولذلك لا يمكن نسبة النظم الجديد إلى الله تعالى. وإنّ أغرب ما قيل في هذا الشأن سقوط أكثر من ثلث القرآن من وسط قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ**...﴾(٥) حيث قيل بسقوط أكثر من ألفي آية؛ ولذلك فإنّ انعدام الانسجام بادٍ عليها. إنّ هذا النوع من الدعاوى لا ينشأ إلا من ذهن فاسد(٦).

ولذلك فإنّ أيّ تصوّر لزيادة أو نقص أو تبديل كلمات القرآن، يتنافى والقول بإعجاز القرآن في نظمه.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٤.
(٢) **بحار الأنوار**: ج٩٠، **تفسير النعماني**: ٢٦-٢٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٤) السيد الجزائري، **منبع الحياة**: ٦٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ٣.
(٦) السيد الجزائري، منبع الحياة: ٦٦.

٤ـ الضمانة الإلهية:

إنّ من أوضح الأدلة على سلامة النصّ القرآني من التحريف، والردّ على هذه الشبهة، تكفّل الله كتابه بالحفظ والصيانة الخالدة، قال تعالى: ﴿**أَنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ...**﴾[1].

وهذا هو مقتضى «**قاعدة اللطف**»؛ لأنّ أي تحريف أو تلاعب بالقرآن الذي هو سند الإسلام الحيّ، والدليل المتقن على صحّة النبوّة، يعني تزلزل أركان الإسلام وقواعده، وهذا خلاف الضرورة العقلية والدين.

والمحفوظ طبعاً هو هذا القرآن الموجود بين المسلمين، وليس كما تصوّر البعض من أمثال محمّد حسين النوري[2] من أنّ القران إنما هو محفوظ في اللوح، أو في قلب النبي وأوصيائه؛ وذلك لعدم الفائدة العملية في مثل هذا النوع من الحفظ، بل الفائدة كلّ الفائدة والمعجزة كلّ المعجزة، في حفظ الكتاب الذي يتداوله الناس رغم وقوعه في معرض التحريف ووجود الدواعي إلى ذلك. من هنا، يتناسب التعبير عن هذا الحفظ بقوله تعالى: ﴿**...وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد**﴾[3].

وهذه الآية أصرح من سابقتها في صيانة القرآن الخالدة من التحريف،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) محمّد حسين، النوري، **فصل الخطاب**: ٣٦٠.

(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٤١-٤٢.

وعدم ضياع شيء منه. ولا يعرض له البطلان وما يسقطه عن الاعتبار. فالله لا يقوم بعمل عبثي، فهو حميد، وعليه فإنّ القرآن النازل من مثل هذا المقام مأخوذ في اعتباره ومستقبله، قال تعالى: ﴿... **إنّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾(١).

٥ـ عرض الروايات على الكتاب:

ومن الأدلّة على سلامة القرآن من التحريف، روايات مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله، ومنها قوله:

«**إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه**»(٢).

فلو كان القرآن عرضة للتحريف، لما صحّ جعله مقياساً لمعرفة صدق الحديث من كذبه، ولما كان أداة صالحة للتمييز بين الحقّ والباطل.

٦ـ نصوص أهل البيت عليهم السلام:

هناك في مجال نفي التحريف روايات وردت من طريق أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام تثبت بنحوٍ عام نفي شبهة التحريف عن القرآن؛ ولذلك فقد قام اعتقاد الشيعة الإمامية على سلامة القرآن، وإليك بعضاً من هذه الروايات:

الرواية الأولى: جاء في رسالة بعث بها الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد الخير ما

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) أصول الكافي: ١: ٦٩.

يلي: «**وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده...**» الأمر الذي يدلّ بمفهومه ومنطوقه على سلامة القرآن بألفاظه وحروفه من التحريف. وفي رواية أخرى قريبة منها: «**ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده**»[1].

الرواية الثانية: عن أبي بصير، قال:

> **سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿...أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾[2]؛ فقال: نزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام»؛ فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام»؟ قال: فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة، ولم تسمّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله هو الذي فسّر ذلك لهم.. ونزلت ﴿...أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ في علي والحسن والحسين عليهم السلام؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: (من كنت مولاه فعلي مولاه)[3].**

حيث أفاد هذا الحديث الشريف أنّ وظيفة القرآن بيان الأصول العامة والفرائض والأحكام، وأنّ على النبي صلى الله عليه وآله بيان التفريعات والجزئيات، وبذلك يكون الإمام الصادق عليه السلام قد أقرّ بعدم ورود اسم الإمام علي وأهل بيته في القرآن، وعليه كلّ رواية تدلّ على وجود اسم الإمام علي عليه السلام وأهل بيته في

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٦٢٧، الحديث: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) أصول الكافي: ١: ٢٨٦.

القرآن ثمّ اسقطت بفعل التحريف، مرفوضة لمكان هذه الرواية(١).

الرواية الثالثة: روى الشيخ المفيد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال:

> **إذا قام قائم آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ضرب فساطيط لمن يعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله جلّ جلاله، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف(٢).**

حيث تدلّ هذه الرواية على أنّ القرآن الذي يأتي به الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يختلف عن القرآن الذي بين أيدينا إلاّ في ترتيب السور وتأليفها.

٧ـ رأي كبار علماء الشيعة:

لا بأس هنا من استعراض أقوال بعضٍ من كبار علماء الإمامية حول شبهة التحريف، لكي يتضح أنّ أعلام الشيعة لا يقولون بتحريف القرآن أبداً، وما نسب إليهم في ذلك إنما هو محض افتراء. وطبعاً كان هناك شرذمة من الإخباريين من صدرت عنهم بعض الكلمات في ذلك، ولكن لا يمكن تحميل الشيعة أوزارهم.

ولو أردنا تقسيم كبار علماء الإمامية إلى محققين ومحدّثين(٣)، فلابدّ

---

(١) لا يخفى ما في الاستدلال بهذه الرواية على بطلان الروايات الدالة على التحريف من المصادرة، المعرّب.

(٢) الإرشاد: ٣٦٥.

(٣) الفرق بين المحققين والمحدثين في أنّ المحققين يجيزون الاجتهاد في الأحكام الشرعية، ويقولون بأنّ للعقل مسرحاً في ذلك، في حين لا يسمح المحدّثون إلا باتباع الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويقرؤون جميع الأصول والفروع في ضوء تلكم الروايات، ولكنهم يتعاملون في هذا الخصوص بدقة كبيرة ولا يتساهلون في ذلك أبداً.

من القول بأنّ إجماع المحققين منذ اليوم الأول كان ولا يزال على نفي شبهة التحريف، وأمّا المحدّثون فإنهم منذ عهد رئيسهم الشيخ أبي جعفر الصدوق وإلى خاتمهم الشيخ الحرّ العاملي كانوا بأجمعهم متفقين مع المحققين في إنكار التحريف، ولم ترد شبهة التحريف على ألسنة علماء الشيعة إلاّ في القرن الحادي عشر حيث تغلب الإخباريون واستولوا على مكانة المحدّثين؛ فأثاروا هذا اللغط؛ وعليه ليس من الصواب ولا الإنصاف نسبة هذا الكلام إلى جميع الشيعة.

ولكي نثبت هذه الحقيقة نستعرض بعض أقوال العلماء كشاهد على ذلك:

١- قال شيخ المحدّثين **أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق** (ت: ٣٨١هـ) **في رسالة الاعتقادات**:

(اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، وعدد سوره على المعروف (١١٤) سورة... ومن نسب إلينا غير ذلك فهو كاذب)[1].

٢- قال عميد الطائفة **محمّد بن محمّد بن النعمان، المعروف بالشيخ المفيد** (ت: ٤١٣هـ) في كتابه القيّم **«أوائل المقالات»**:

(قد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة. ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير

---

(١) **اعتقادات الصدوق**: ضمن شرح الباب الحادي عشر: ٩٣-٩٤.

المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله... قال: وعندي أنّ هذا القول أشبه (أي: أقرب في النظر) من مقال من ادّعى نقصان كلمٍ من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل.. وأمّا الزيادة فيه، فمقطوع على فسادها؛ فإنه متنافٍ مع تحدّي القرآن بذلك. وإن أريد زيادة كلمة أو كلمتين، أو حرفٍ أو حرفين، ولست أقطع على كون ذلك، بل أميل إلى عدمه، وسلامة القرآن عنه. قال: ومعي بذلك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام)[1].

٣- قال السيد المرتضى علي بن الحسين (علم الهدى) في رسالته الجوابية الأولى عن المسائل الطرابلسيات:

إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة؛ فإنّ العناية اشتدّت، والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه من الأمور المتقدّمة....

٤- قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في مقدّمة تفسيره الأثري الخالد «التبيان»:

(وأما الكلام في زيادته ونقصانه فممّا لا يليق بهذا الكتاب؛ لأنّ الزيادة منه مجمعٌ على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً

(١) أوائل المقالات: ٥٤-٤٦.

مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر من الروايات...)[1].

٥- قال جمال الدين أبو منصور الحسن بن المطهّر (العلاّمة الحلّي) (ت: ٧٢٦هـ) في أجوبته عن مسائل السيد مهنا:

(الحقّ أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يُعتقد مثل ذلك؛ فإنه يوجب التطرّق إلى معجزة الرسول المنقولة بالتواتر)[2].

ولكي لا يطول بنا البحث في نقل أقوال العلماء الشيعة، نكتفي فيما يلي بذكر أسماء بعض الأعلام الآخرين مع الإشارة إلى مواضع أقوالهم:[3]

ـ العلاّمة أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، **مجمع البيان**، ج١، ص١٥.

ـ المحقق الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ)، **مجمع الفائدة**، ج٢، ص٢١٨.

ـ الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) (ت: ١٢٢٨هـ)، **كشف الغطاء ورسالة الحقّ المبين**، ص١١.

ـ الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء (ت: ١٣٧٣هـ)، **أصل الشيعة وأصولها**، ص١٣٣.

---

(١) **التبيان**: ١: ٣ المقدّمة.

(٢) **أجوبة المسائل المهناويّة**: ١٢١، المسألة: ١٣.

(٣) لقد ذكرنا أقوال هؤلاء الأعلام بالتفصيل في كتاب «**صيانة القرآن من التحريف**».

ـ **محمّد محسن الفيض الكاشاني** (ت: ١٠٩٠هـ)، **المقدّمة السادسة من تفسير الصافي وعلم اليقين**، ج١، ص٥٦٥، **والوافي**، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤.

ـ **خاتم المحدّثين الشيخ الحرّ العاملي**، صاحب وسائل الشيعة (ت: ١١٠٤هـ) في رسالته الفارسية التي كتبها في هذا الموضوع، نقلاً عن الشيخ رحمة الله الدهلوي في كتابه القيّم «**إظهار الحقّ**»، ج٢، ص٢٠٨، **والفصول المهمّة في تأليف الأمّة**، للسيد شرف الدين، ص١٦٦.

ـ **العلاّمة الشيخ محمّد جواد البلاغي** (ت: ١٣٥٣هـ)، في رسالته التي كتبها في هذا الموضوع، نقلاً عن السيد محسن الأعرجي في كتابه الأصولي «**شرح الوافية**» (مخطوط).

ـ **السيد شرف الدين العاملي** (ت: ١٣٧٧هـ)، **الفصول المهمّة**، ص١٦٣، وكذلك في ردّه على **مسائل موسى جار الله**، ص٢٨.

ـ **السيد محسن الأمين العاملي** (ت: ١٣٧١هـ)، **أعيان الشيعة**، ج١، ص٤١.

ـ **العلاّمة الأميني الشيخ عبد الحسين التبريزي** (ت: ١٣٩١)، **الغدير**، ج٣، ص١٠١.

ـ **العلاّمة الطباطبائي** (ت: ١٤٠٢هـ)، **الميزان**، ج١٢، ص١٠٦-١٣٧.

ـ **الإمام الخميني**قدّس سرّه (ت: ١٤٠٩ هـ)، في كتاب **تهذيب الأُصول**، ج٢، ص١٦٥، وكذلك في شرحه وتعليقه على كفاية الأُصول.

ـ **آية الله السيد أبو القاسم الخوئي**قدّس سرّه (ت: ١٤١٣ هـ)، في مقدمة تفسير «**البيان**»، ص٢١٥-٢٥٤.

رد تهمة

كما برّأ الكثير من علماء السنة المنصفين ساحة الشيعة من القول بتحريف القرآن.

وإنّ أوّل من برّأ ساحة التشيّع من هذه التهمة شيخ الأشاعرة ومؤسّس المذهب الأشعري **أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري** (ت: ٣٢٤هـ)، والذي يدين بمذهبه حالياً قاطبة أبناء السنّة في العالم. وقد قال في براءة الشيعة من القول بالتحريف:

(تنقسم الشيعة الإمامية إلى فرقتين: فريق هم أصحاب الظواهر، ممّن لا عمق لهم في تفكير ولا باع لهم في مجالات البحوث النظرية، يزعمون أنّ القرآن قد نقص منه، استناداً إلى روايات لا قيمة لها عند المحققين، غير أنهم ينكرون أشدّ الإنكار وجود زيادة في النصّ الموجود. وأما الفريق الثاني، وهم المحققون من أهل النظر والاستنباط، يرفضون احتمال كلّ تغيير أو تبديل، لا بنقص ولا بزيادة ولا بتحوير، رفضاً باتاً)[1].

كما تحدّث العلاّمة الشيخ رحمة الله **الدهلوي الهندي** في كتابه القيّم «**إظهار الحقّ**»[2]، عن نزاهة الشيعة وبراءتهم من القول بالتحريف بالتفصيل، وقد ذكرنا كلامه في كتابنا «**صيانة القرآن من التحريف**». كما دافع الأستاذ المعاصر

---

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **مقالات الإسلاميين**: ١: ١١٩-١٢٠، و**صيانة القرآن من التحريف**: ٧٩-٨١.

(٢) **إظهار الحق**: ٢: ٢٠٦-٢٠٩.

محمّد عبد الله الدرّاز عن الشيعة في كتابه القيّم «**مدخل إلى القرآن الكريم**»[(١)]، وبرّأ ساحتهم من هذه التهمة. وهكذا دافع الأستاذ الشيخ **محمّد محمّد المدني**، عميد كلية الشريعة في جامعة الأزهر الشريف، في «**رسالة الإسلام**»[(٢)] عن الشيعة بإسهاب، واعتبر نسبة القول بالتحريف إليهم تهمة باطلة[(٣)].

منشأ القول بالتحريف

إنّ منشأ القول بالتحريف روايات موجودة في الكتب الحديثية لدى الفريقين من الشيعة والسنة على السواء، تدلّ في ظاهرها على وجود التحريف في الكتاب، وكان علماء الفريقين على الدوام يبحثون في سبل معالجة هذه الروايات بعد إجماعهما على عدم الالتزام بظاهرها. وإنّ تلكم الروايات إما ضعيفة السند ساقطة عن الاعتبار، أو ضعيفة الدلالة وتحتمل التأويل، وقد رفضت هذه الروايات في الكتب الأصولية والكلامية بشكل مطلق.

قال العلاّمة **الشيخ محمّد جواد البلاغي** في مقدّمة تفسيره **آلاء الرحمن**:

(وفي جملة ما أورده [المحدّث النوري] في الروايات ما لا يتيسّر احتمال صدقها، ومنها ما هو مختلف باختلاف ما يؤول به إلى التنافي والتعارض.. هذا مع أنّ القسم الوافر من الروايات يرجع في أسانيده إلى بضعة أنفار وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم، إمّا

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٩-٤٠.

(٢) رسالة الإسلام: العدد: ٤٤، ص٣٨٢-٣٨٥.

(٣) صيانة القرآن من التحريف: ٨٤ .

بأنّه ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية، وإمّا بأنه مضطرب الحديث والمذهب، ويروي عن الضعفاء، وإمّا بأنّه كذّاب متّهم، وأنّه معروف بالوقف، وأشدّ الناس عداوة للرضا عليه السلام)[١].

وقد توصّلت من خلال البحث في جميع هذه الروايات سواء المنقولة من طرق السنّة أو الشيعة، إلى أنها في غالبها من موضوعات ومفتريات أعداء الإسلام بهدف تشويهه والطعن فيه، أو يمكن تأويلها بحيث تكون أجنبية عن مسألة التحريف. وهنا يجدر بنا الإشارة إلى بعض هذه الروايات.

روايات أهل السنّة

لقد ساد اتجاه لدى بعض أهل السنّة تلّخص في جمع الحديث دون التدبّر في محتواه، وكأنّهم كانوا يتنافسون فيما بينهم أيّهم يجمع أكبر عدد من الأحاديث. ولذلك خلطوا بين الصحيح والسقيم، بل وإنك لتجد الكثير من الغثّ في تضاعيف كتبهم الروائية، وهم الذين اشتهروا في الأزمنة الماضية بالحشوية، ويعرفون حالياً بالسلفية[٢]. كما توجد بين الشيعة فرقة مشابهة تعرف بفرقة الإخباريين. وإنّ أكثر أو جميع روايات التحريف قد تمّ جمعها بواسطة هذه الفِرَق، ولا ينبغي تحميل المحققين من الطائفتين من أهل الشيعة والسنّة أوزار هذه الفِرَق.

---

(١) تفسير آلاء الرحمن: ١: ٢٥.

(٢) يطلق مصطلح السلفية حالياً على فئة تفرض على نفسها إتباع السلف، سواء كان المنقول عنهم حقاً أو باطلاً، ولا يجيزون لأنفسهم ولا لغيرهم التحقيق في هذا المجال، وهم الذين يشكلّون اليوم جزءاً من الوهابية.

وفيما يلي نستعرض طائفة من هذه الروايات:

١- **آية الرجم**: لم يرد في القرآن تشريع الرجم، وإنّما تمّت الإشارة إلى عقوبة الجلد فقط، حيث قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**﴾(١)، ولم يرد الرجم إلا في السنّة القطعية التي قام الإجماع على صحّتها في ظروف خاصة(٢). إلاّ أنّ **عمر بن الخطاب** توّهم ورودها في القرآن، وأنّهم أسقطوها حين جمع القرآن، وكان يدأب على إقناع الصحابة بإدراجها في القرآن. وكما تقدّم فإنه جاء إلى زيد بن ثابت عند جمع القرآن بعبارة: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم**» على أنّها من القرآن؛ فطلبوا منه شاهداً على ذلك، فلم يشهد معه أحد؛ فلم تقبل منه، ولكنّ عمر بقي إلى آخر لحظة من حياته مصرّاً على كونها من القرآن، وأنّه كان يذكّر المسلمين بها على الدوام؛ ليتمّ بذلك الحجّة عليهم بزعمه، وقد صعد المنبر في أواخر حياته وخاطب الناس متمّاً الحجة عليهم وقد استشهد الله عليهم أنه أبلغهم بآية الرجم ولكنّهم لم يقبلوها منه(٣).

ويبدو أنّ عمر سمع ذلك حديثاً من النبيﷺ، و يؤيّد ذلك رواية

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) وذلك فيما لو كان الزاني محصناً.

(٣) **صحيح البخاري**: ٨: ٢٠٨-٢١١، و**صحيح مسلم**: ٤: ١٦٧، و٥: ١١٦، و**مسند أحمد**: ١: ٢٣، و٥: ١٣٢ و١٨٣، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والدارمي، والموطأ، وباختصار فإنّ حديث آية الرجم قد جاء في جميع صحاح أهل السنّة.

رواها زيد بن ثابت عن رسول الله بهذا المضمون، ولكنّ عمر حسبها آية من القرآن.

٢- آية الرغبة: كما تصوّر **عمر** سقوط آية من القرآن بهذا المضمون: «**أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم**»[(١)]، ويحتمل أيضاً أن تكون هذه العبارة في أصلها حديثاً توهّمه عمر آية.

٣- آية الجهاد: وقد تصوّر **عمر** أيضاً، سقوط عبارة من القرآن مفادها: «**أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة**»[(٢)].

٤- آية الفراش: وهكذا تصوّر **عمر** أيضاً أنّ عبارة «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»[(٣)] قرآناً، مع أنها من الروايات المتواترة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

٥- عدد حروف القرآن: كان **عمر** يذهب إلى أنّ عدد حروف القرآن يبلغ (١/٠٢٧/٠٠٠) حرفاً، في حين أنّ عدد حروف القرآن لا يتجاوز (٣٢٣/٦٧١). فقد روي عنه أنه قال: «**القرآن ألف ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً، كان له بكلّ حرفٍ زوجة من الحور العين**»[(٤)]. قال الذهبي: (حديث منكر، لم ينقله سوى محمّد بن عبيد، وهو غير معتمد)[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري: ٨: ٢٠٨-٢١١. صحيح مسلم: ٤: ١٦٧، و٥: ١١٦.

(٢) الدرّ المنثور: ١: ١٠٦.

(٣) الدر المنثور: ١: ١٠٦. فتح الباري: ١٢: ١٢٧. تفسير ابن كثير: ٣: ٢٦١. البرهان: ٢: ٣٦-٣٧.

(٤) الإتقان: ١: ١٩٧.

(٥) ميزان الاعتدال: ٣: ٦٣٩.

٦- كان **عبد الله بن عمر** يتصوّر ضياع الكثير من القرآن، وكان يقول: **لا يدّعين أحدكم أنّه حفظ كلّ القرآن، فما يدريه ما كلّ القرآن، وقد ضاع الكثير منه، فعليه أن يقول: إنّما حفظت ما بقي منه.**

٧- ذهب جماعة إلى أنّ قسماً من القرآن قد فُقِد بسبب استشهاد كثير من الصحابة في حرب اليمامة (في السنة الأولى من خلافة أبي بكر)، وقد نقل ذلك ابن أبي داود عن ابن شهاب(١).

٨- كان في **مصحف عائشة** زيادة «**إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلّون في الصفوف الأولى**». قالت حميدة بنت أبي يونس: «كان ذلك قبل جمع عثمان للمصاحف».(٢)

٩- كانت **عائشة** تتصوّر وجود آية تُحدّد عدد الرضعات التي تنشر الحرمة، وأنّها كانت موجودة عندها في صحيفة، وقد انشغلت عنها فأكلتها الداجنة، وإنّ أولها: «**عشر رضعاتٍ يحرّمن**» وإنها نسخت فيما بعد بآية «**خمس معلومات**». قالت عائشة: «**توفي رسول الله وهنّ فيما يقرأ من القرآن**»(٣).

١٠- كان **أبو موسى الأشعري** يتصوّر وجود سورة بحجم «**براءة**»، وسورة أخرى بحجم سور «**المسبّحات**» وأنهما فقدتا من القرآن، وإنه كان

---

(١) منتخب كنز العمال في حاشية مسند أحمد: ٢: ٥٠.

(٢) الإتقان: ٣: ٧٣.

(٣) صحيح مسلم: ٤: ١٦٧، الدارمي: ٢: ١٥٧، وأبو داود: ١: ٢٢٤.

يتذكر من السورة الأولى عبارة: «**لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب**». وإنّه يتذكّر من السورة الثانية عبارة «**يا أيّها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم؛ فتسألون عنها يوم القيامة**»(١). إلاّ أنّ هاتين العبارتين مضامين لأحاديث قدسية اشتبه فيهما الأمر على أبي موسى(٢).

١١- ينقل عن الصحابي الجليل **أُبي بن كعب** أنّه كان يرى أنّ سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة في حجمها، وإنّ آياتها كانت تبلغ قرابة ٢٨٦ آية. وقد نقل الأمر نفسه عن عائشة، وربّما كان ذلك بهدف تحريض الدهماء على عثمان بن عفان(٣).

١٢- وكان **مالك بن أنس** يتصوّر أنّه لم يبق من سورة براءة إلاّ ربعها، وأنّه كان يراها بحجم سورة البقرة، وأنّ البسملة من جملة ما ضاع منها، وقد نقلت عن مالك الكثير من الروايات بهذا الشأن ممّا يثبت قصور باعه وعدم فهمه(٤).

مأساة كتاب الفرقان:

إنّ المشكلة التي نجمت للأسف الشديد من هذه الروايات، هي أنّ هناك من آمن بها ورتّب عليها بعض النتائج، حيث ذهب إلى ضياع بعض سور وآيات القرآن في الفترة ما بين وفاة النبي وتوحيد عثمان للمصاحف،

(١) صحيح مسلم: ٣: ١٢٠.
(٢) مسند أحمد: ٥: ٢١٩.
(٣) مسند أحمد: ٥: ١٣٢؛ الإتقان: ٢: ٧٢؛ صيانة القرآن من التحريف: ١٧٠-١٧١.
(٤) الإتقان: ١: ١٨٤؛ المستدرك: ٢: ٣٣٠-٣٣١؛ الدرّ المنثور: ٣: ٢٠٩.

وهذا هو التحريف الذي حكمت الضرورة الدينية باستحالته.

ومن الذين تأثّروا بهذه الروايات **محيي الدين بن عربي** (ت: ٦٣٨)، صاحب كتاب «**الفتوحات المكيّة**»، حيث ذهب إلى تحريف القرآن، وأنّه قد نقصت منه أشياء، وقال: «ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير أهلها لبيّنت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه، قال: وأمّا ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه»[(١)].

والأسوأ من ذلك كتاب بعنوان «**الفرقان**» الذي كتبه العالم المصري محمّد محمّد عبد اللطيف، وقد ضمّنه هذه الاعتقادات الباطلة، حيث جمع هذه العبارات التي نقلها الصحابة على أنّها من القرآن، وما ذلك إلاّ لمجرد ورودها في الصحاح الستة. وقد أثار هذا الكتاب ضجّة كبيرة في مصر، وطالب الأزهر الحكومة بمصادرته، فصودرت الأجزاء التي لم تنشر، ولكنّ هذا الكتاب قد ترك أثره السيئ في الفترة القصيرة التي سبقت مصادرته، حيث انتشر في جميع أقطار العالم، ولا تزال في قم المقدسة بعضٌ من نسخ هذا الكتاب.

وقد ذهب مؤلفه إضافة لوقوع التحريف قبل عهد عثمان إلى وقوع بعض التحريفات بعد عصر عثمان أيضاً، وفي زمن الحجّاج بالتحديد، حيث قام بالتحريف في إثني عشر موضعاً. فقال مثلاً: (في قصّة نوح في سورة

---

(١) نقلاً عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب «**الكبريت الأحمر**» المطبوع في حاشية كتاب «**اليواقيت والجواهر**»: ١: ١٣٩.

الشعراء، كانت العبارة الموجودة «**من المخرجين**»[١]، وفي قصة لوط «**من المرجومين**»[٢]، إلاّ أنّ الحجاج أبدل موضعيهما وأقرّ إحداهما مكان الأخرى، وهي موجودة في القرآن الذي بين أيدينا على نحو التحريف الذي قام به الحجاج)[٣].

روايات الإمامية

إنّ أول من كتب في هذا المجال وأثار شبهة التحريف هو السيد **نعمة الله الجزائري** (ت: ١١١٢)، في كتابه «**منبع الحياة**». وبعده بأكثر من قرنين قام **الشيخ النوري** (ت: ١٣٢٠) بتأليف كتاب «**فصل الخطاب**» فاستعرض فيه بعض الروايات في هذا المجال، وهي روايات غير معتبرة، وبعض يفتقر إلى الدلالات التي فهمها النوري، وفيما يأتي نستعرض نماذج بارزة منها:

عمد الشيخ النوري إلى إظهار الشيخ ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ هـ) بوصفه من القائلين بالتحريف، مذكّراً بالروايات التي أوردها في كتاب الكافي، مستعرضاً أحد أبوابه لإثبات أنّ الكليني من القائلين بذلك[٤].

وهنا سنذكر هذا الباب بجميع رواياته البالغة ستّ روايات، لتتضح

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١٦.

(٣) **الفرقان**: ٥٠-٥٢.

(٤) **فصل الخطاب**: المقدّمة الثالثة، ص٢٥.

صحّة هذه النسبة من سقمها.

لقد عنون الشيخ الكليني هذا الباب بـ «**باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأئمة عليهم السلام وأنّهم يعلمون علمه كلّه**».

واضح أنّ المراد من هذا العنوان هو جمع كلّ القرآن بتفسيره وتأويله، حيث إنّ الجزء الثاني من هذا العنوان يفسّر الجزء الأول منه.

أمّا الروايات التي ساقها فهي كالآتي:

الأولى: «ما ادّعى أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلاّ كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلاّ علي بن أبي طالب والأئمة من بعده صلوات الله عليهم».

والمراد من (كما أنزل) معناه وتفسيره الصحيح، أي: بالمعنى والتفسير الذي أراده الله تعالى، مضافاً إلى أنّ مراد الرواية ليس لفظ القرآن؛ لأنّ القرآن الذي جمعه الإمام علي عليه السلام مضافاً إلى رعاية ترتيب نزوله، كان مشتملاً على توضيحات وشروح لبعض المبهمات، وبيان مواقع وأسباب النزول، إلى غير ذلك من الشؤون التفسيرية، التي يخلو منها المصحف الراهن الذي أُلّف من قبل بعض الصحابة. وقد انتقل مصحف علي إلى الأئمة عليهم السلام، وهو موجود حالياً عند الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وعليه لا علاقة لهذه الرواية بمسألة تحريف القرآن.

الثانية: «ما يستطيع أحدٌ أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء».

وواضح أنّ المراد من جميع القرآن، هو جميع علومه الظاهرية والباطنية ممّا يشكل في جملته تفسير القرآن وتأويله، وهو موجود عند الأوصياء؛ وعليه لا ربط لهذه الرواية بمسألة التحريف من قريب أو بعيد.

الثالثة: «**أوتينا تفسير القرآن وأحكامه**».

الرابعة: «**إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنّه في كفيّ**».

الخامسة: «**عندنا والله علم الكتاب كلّه**». أي: جميع علومه ومعارفه.

السادسة: وردت في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ**﴾[1] حيث قالوا عليهم السلام: «**إيانا عنى**». أي: (إنّ المراد من الذي عنده علم الكتاب نحن).

فكما تلاحظون أنّ جميع هذه الروايات إنّما تتحدّث عن العلم والإحاطة بجميع المعارف القرآنية، ولا ربط لها بمسألة وشبهة تحريف القرآن الكريم.

عمد الشيخ المحدّث النوري تبعاً للسيد نعمة الله الجزائري إلى نقل روايات من مصادر هي في غالبيتها غير معتبرة، حين نقل في كتابه فصل الخطاب ٨١٥ رواية هذا النوع من المصادر من بين ما مجموعه (١١٢٢) رواية، وتلك المصادر كالآتي:

١- من **رسالة في المحكم والمتشابه**، ولم يعرف مؤلّفها حتى الآن.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

٢- كتاب **السقيفة** المنسوب لسليم بن قيس، وقد تعرّض للتحريف؛ فهو لذلك غير معتبر.

٣- كتاب **القراءات** لأحمد بن محمّد السياري، وهو ضعيف ولا يعتمد عليه.

٤- تفسير **أبي الجارود**، وهو من الغلاة الذين لعنهم الإمام الصادق عليه السلام.

٥- **التفسير المنسوب لعلي بن إبراهيم القمّي**، مع أنه لغيره، وقد تعرّض للتحريف.

٦- كتاب **الاستغاثة** لعلي بن أحمد الكوفي، وهو فاسد المذهب.

٧- كتاب **الاحتجاج** للطبرسي، وهو فاقد للسند، ومؤلّفه مجهول.

٨- **التفسير المنسوب للإمام العسكري**، وهي نسبة مزيفة؛ فلا يعتدّ به.

٩- بعض التفاسير الفاقدة للسند، الأمر الذي يسقطها عن الاعتبار، من قبيل: **تفسير العيّاشي، وتفسير فرات بن إبراهيم، وتفسير أبو العباس ماهيار.**

هذه هي المصادر التي اعتمدها المحدث النوري، رغم علمه بعدم اعتبارها، ولكنه إنّما لجأ إليها طبقاً للمثل القائل: «**الغريق يتمسّك بكلّ قشّ**».

يبقى ما مجموعه (٣٠٧) روايات منقولة من مصادر معتبرة، إلاّ أنّ مائة وسبعة روايات منها قد وردت في باب القراءات، وأنّ الأئمة قرأوا بعض كلمات القرآن بنحو مختلف، وواضح إنّ اختلاف القراءات مسألة أخرى لا ربط لها بالتحريف، فقد كانت هناك على الدوام قراءات سبع أو عشر، ولم يتمسّك بها كدليل على التحريف. ولست أدري سبب وقوع المحدّث النوري في مثل هذا الخطأ الفاحش. مثلاً ينقل في مجمع البيان عن

علي عليه السلام أنه كان يقرأ «**فوسطن**» في سورة العاديات، بتشديد السين، كما قرأ «**خيراً يره**» من سورة الزلزال بضمّ الياء. وقرأ النبي صلى الله عليه وآله ﴿**ما ودعك**﴾ من سورة الضحى بتخفيف الدال. وقرأ الإمام الصادق عليه السلام، وأهل المدينة ﴿**ولا يخاف عقبيها**﴾ من سورة الشمس بالياء. وقرأ يعقوب والكسائي وسهل ﴿**لا يوثق**﴾ من سورة الفجر، بفتح الثاء. إلى غير ذلك من القراءات التي هي على فرض ثبوتها لا تقوم دليلاً على التحريف؛ لأنها صرف اجتهاد من قبل القرّاء أنفسهم.

وأمّا الروايات المتبقية والبالغ عددها (٢٠٠) رواية، والتي يستند إليها القائلون بالتحريف، فهي لا تدل في غالبيتها على التحريف، كهذه الرواية المروية عن جابر بن عبد الله الأنصاري:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «**يا علي، الناس خلقوا من شجرٍ شتّى، وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، يقول تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ...﴾ حتى بلغ: ﴿يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ...﴾**»؛ فتصوّر المحدّث النوري أنّ عبارة (حتى بلغ) جزءاً من الآية، وليست إضافة من الراوي»![1]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**كان أبي يقول في الصلاة بعد الفراغ من الإخلاص: «كذلك الله ربّي»**. وفي بعض الروايات يستحب قولها

(١) **فصل الخطاب**: ٢٩٦، نقلاً عن «**رواية الأربعين**» لأبي سعيد النيشابوري، رقم: ٣١.

ثلاثاً، فتصوّر المحدّث النوري أنها جزءاً من السورة أيضاً[١].

أمّا الروايات التي تدلّ في ظاهرها على التحريف، ولا دلالة لها عليه في واقعها بعد التدبّر فيها، فهي على أقسام:

١- **الروايات التفسيرية**: التي يقوم الإمام فيها أثناء تلاوة آية من القرآن بإضافات تفسيرية وتوضيحية عليها؛ فتصوّر أمثال المحدّث النوري أنّها من أجزاء القرآن، وأنّها تدلّ بالتالي على وقوع التحريف في القرآن[٢]، وهنا نذكر منها الروايتين الآتيتين:

في الكافي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...**﴾[٣]، ثمّ أضاف: «**بظلمه وسوء سريرته**» كتفسير وتوضيح لها، وليست كجزءٍ من القرآن.

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قرأ قوله تعالى: ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...**﴾[٤]، ثمّ أضاف: «**فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء**» كشرح وتفسير لها، وبيان سبب إعراض النبي عنهم.

٢- **الروايات التي تصرّح بلفظ التحريف**: ولكنّ المراد منها هو التحريف المعنوي دون اللفظي، فحملها المحدّث النوري على التحريف

---

(١) المصدر المتقدّم: ٣٤٩، نقلاً عن **تفسير البرهان**: ٤: ٥٢١ و٥٢٣.

(٢) **فصل الخطاب**: ٢٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٣.

المصطلح[1].

روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«**يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة. يقول المصحف: يا ربّ حرّفوني. ويقول المسجد: يا ربّ عطلّوني وضيّعوني. وتقول العترة: يا ربّ قتلونا وطردونا**».

وفي بعض النسخ «**حرّقوني**» بدلاً من حرّفوني. ومهما كان فحتى على فرض أنّ الصحيح «حرّفوني»؛ فإنّ التحريف في اللغة يعني التفسير الخاطئ، ولم يرد التحريف في كتب اللغة بمعناه المصطلح، علاوة على أنّ المراد من التحريف هنا بقرينة «**تعطيل المساجد**» التي لا يراد منها المعنى الحقيقي قطعاً؛ لأنّ المساجد عامرة في ظاهرها؛ فالمراد هو خلوّها من المصلين الحقيقيين، فيكون المراد من التحريف في القرآن بمعنى تغيير المسير وتبديل الأحكام، ولا يمكن حمله على التحريف اللفظي أبداً.

٣- الروايات التي ذهب البعض من خلالها إلى سقوط بعض الآيات من القرآن:

روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أنّ القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية**». ولكن صيغة الحديث في الوافي الذي هو جامع للكتب الأربعة بشكل آخر، حيث جاء فيه «سبعة

---

(١) **فصل الخطاب: ٢٣ - ٢٤.**

آلاف آية»[١] وهي أقرب إلى الواقع، وقد عرف الفيض الكاشاني بالدقّة في النقل؛ ولذلك يحتمل ورود الخطأ في نسخة الكافي الموجودة حالياً، فلا يعتمد عليها[٢].

٤- الروايات الخاصة بظهور الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ومجيئه بقرآن على خلاف القرآن الموجود بين أيدينا: رغم أن هذه الروايات لا تدلّ على أكثر من اختلاف القرآن الذي سيأتي به الإمام إلاّ بالترتيب، وبعض الإضافات التفسيرية، وليس هناك من تغيير في الأصل.

ففي رواية الشيخ المفيد عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «**إذا قام قائم آل محمّد صلّى الله عليه وآله، ضرب فساطيط لمن يعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله؛ فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف**»[٣].

٥- الروايات الواردة في بيان فضيلة أهل البيت في القرآن: والتي تقول بأنّه لو تدبّر في القرآن، لاتضح فضل أهل البيت لمن تدبّر.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«**من لم يعرف أمرنا من القرآن، لم يتنكّب الفتن**»[٤].

فتصوّر القائلون بالتحريف أنّ شؤون الولاية قد تمّ التصريح بها أوّلاً، ثمّ

---

(١) محسن، الفيض الكاشاني، **الوافي**: ٢: ٢٧٤ و٢٣٢ الطبعة الحجرية، (الجزء الخامس)، «**الحاشية**»، طبعة مكتبة أمير المؤمنين: ٥: ١٧٨١.

(٢) **صيانة القرآن من التحريف**: ٢٦٣-٢٦٧.

(٣) **الإرشاد**: ٣٦٥.

(٤) **تفسير العيّاشي**: ١: ١٣.

تمّ تحريفها لاحقاً، في حين أنّ هذا ليس مراداً للإمام عليه السلام، وإنّما مراده عليه السلام أنّ التدبّر في هذا القرآن الموجود بين أيدينا، والتدقيق في آيات أولي الأمر وذوي القربى وغيرها، هو الذي يؤدّي بذوي الإنصاف والبصيرة إلى معرفة مقام الولاية، إلاّ أنّ الحاقدين والناصبين يتجاهلونها ويعرضون عنها.

وفيما يلي نقدّم أمثلة ببعض الموارد التي سعى فيها بعض العلماء إلى تجاهل فضائل أهل البيت عليهم السلام رغم ورودها في القرآن الكريم، لتقف على أنّ المراد من مثل هذه الروايات ليس هو التحريف المصطلح، وإنّما هو تفسير الآيات بنحوٍ يصرفها عن مراداتها وأسباب نزولها، وكونها قد نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1].

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية التي هي من أبرز فضائل أهل البيت عليهم السلام: إنّها خطاب مع قريش لتحفظ قرابته منهم؛ فتحميه وتمنعه من شرّ الأعداء، فقد طلب إليهم المودّة لكونهم ذوي رحم له، حتى وإن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً.. قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله قرابة في جميع قريش؛ فلمّا كذبوه وأبوا أن يبايعوه، قال: «**يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصري منكم**». ثمّ ذكر وجوهاً ثلاثة أخر:

١ـ طلب المودّة مع قرابة أهل بيته.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢ ـ طلب القربى إلى الله والزلفى لديه سبحانه.

٣ ـ صلة الأرحام بعضهم مع بعض.

ويقول في ترجيح ذلك الوجه إنه لموضع «في» في قوله «**المودّة في القربى**» إذ لا وجه معروف لدخول «في» في هذا الموضع، وكان ينبغي على سائر الوجوه أن يكون التنزيل «**إلاّ مودّة القربى**»، أو «**المودّة بالقربى**» على الترتيب[1].

وهذا التفسير بعيد عن الواقع، مجانب للصواب؛ إذ كيف يطلب النبي من قومه أجراً على شيءٍ لم يؤمنوا به أساساً؟ اللهم هذا قولٌ عجيب!. إنّ النبي كان يعلم أنّ قريش هي من ألدّ أعدائه، وليس من العقل والحكمة أن يستكين لها.

قال الزمخشري وهو الضليع في الأدب العربي: «**جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي منهم هوىً وحبّ شديد**»[2].

قال ابن مخلوف الثعالبي في آية الولاية: ﴿**أَنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[3]، التي نزلت بشأن تصدّق الإمام علي عليه السلام بخاتمه أثناء الركوع: إنّ هذه الآية عامّة، تشمل كل مصلّ متصدّق، أجل، صادف وقت نزولها تصدّق علي بخاتمه أثناء

---

(١) **تفسير الطبري: ٢٥: ١٥-١٧.**

(٢) **الكشاف: ٤: ٢١٩-٢٢٠، صيانة القرآن من التحريف: ٣٧٢-٣٧٥.**

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

الصلاة، ولكنّ الآية لم تنزل فيه[1].

وكان عبد الله بن الزبير ينكر مدنية سورة الدهر، وما ذلك إلاّ لإبعادها عن أهل البيت وتمهيد الطريق أمام إنكار نزولها بشأنهم في قصّة الإطعام.

والخلاصة: هناك الكثير من الآيات التي يمكن من خلال التدبّر وإمعان النظر فيها الوصول إلى فضل أهل البيت عليهم السلام، إلاّ أنّ العصبية قد أعمت بعض الناس من رؤية هذه الحقيقة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لو قد قرئ القرآن كما أنزل، لألفيتنا فيه مسمّين**»[2].

هذه نماذج من الروايات الواردة في المصادر الشيعية المعتبرة، والتي تمسّك بها القائلون بالتحريف، في حين ثبت أن لا علاقة لها بالتحريف من قريبٍ أو بعيد.

---

(١) تفسير الثعالبي: ١: ٤٧١.

(٢) تفسير العيّاشي: ١: ١٣.

الفصل السادس

ترجمة القرآن

نفتتح البحث حول ترجمة القرآن بثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل يمكن ترجمة القرآن إلى لغات أخرى؟

وإنّا نسأل هذا السؤال؛ لأنّ القرآن كلام الله، وقد نزل من باب الإعجاز بمنتهى الإيجاز والبلاغة، وأنّ ترجمته إلى لغة أخرى لا يمكن أن تشتمل على هذا الكمال، فإنّ القرآن العربي كلام الله الخالق، والقرآن المترجَم كلام المخلوق.

السؤال الثاني: لو سلّمنا إمكان ترجمة القرآن، وإن بشكل ناقص، فهل يمكن تسمية الترجمة قرآناً؟ كما حصل ذلك بالنسبة إلى التوراة والإنجيل.

السؤال الثالث: هل تترتب على الترجمة نفس الأحكام المترتّبة على النصّ القرآني، من حرمة مسّها، وجواز القراءة بها في الصلاة؟

لقد كانت مسألة ترجمة القرآن منذ القدم مورد بحث جادّ بين العلماء. وفي هذا الفصل سنجيب عن الأسئلة الثلاثة المتقدّمة ضمن التعرّض إلى بعض الأمور الأخرى باختصار.

تعريف الترجمة

الترجمة مصدر من الفعل الرباعي، وتعني البيان والإيضاح، ومن هنا

تسمّى الكتب الرجالية بالتراجم.

يبدو من كلام صاحب القاموس أنّه يشترط تعدّد اللغة في الترجمة؛ فالترجمة تبديل الكلام من لغة إلى أخرى، من قبيل تحويل العربية إلى فارسية.

وفي المعجم الوسيط: الترجمة نقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى. وعليه لو أعيد المعنى الواحد بلفظين متعاقبين، على أن تكون الكلمة الثانية توضيحاً للأولى لا تعدّ ترجمة لها، وإنّما هي مجرّد كلمةٍ توضيحية وتفسيرية.

ويشترط في الترجمة الصحيحة الحفاظ على مضمون الكلام بشكل كامل، بما له من دقائق وتفصيلات، كما لو حمل الكلام في طيّاته نبرة الحسرة والتفجّع وما إلى ذلك، وعدم الاكتفاء بمجرّد نقل المعاني الحقيقية أو المجازية.

وأحياناً نجد في بعض اللغات أنّ ترتيب الكلام يعطي مفهوماً لا نحصل عليه من الكلمات نفسها إذا رتبت بشكل آخر، كما في تقديم ما حقّه التأخير؛ فإنّه يفيد الحصر، ويكون ذلك جوهر ما يريده المتكلم؛ فلابدّ للمترجم أن يحافظ على هذا المراد عند الترجمة.

وعليه لابدّ للمترجم أن يكون مهيمناً على اللغتين بشكلٍ كامل، وأن يكون عارفاً بدقائقهما وخفاياهما. وخلاصة القول: يجب أن تكون الترجمة مرآة عاكسة للنص بشكل كامل، كي لا يحصل أدنى خلل في نقل المفاهيم.

وبطبيعة الحال، كلّما كان النص المترجَم مقدّساً مثل الكتب الدينية والمذهبية، فإنّ ترجمتها ستكون حساسة جدّاً. وعليه فإن ترجمة القرآن لكونه معجزة إلهية بحاجة إلى دقة أكبر، من هنا وقع الكثير في مزالق كبيرة عند

قيامهم بترجمة القرآن، وسنتعرض إلى ذكر بعضها في نهاية هذا الفصل.

أساليب الترجمة

لو اعتبرنا الترجمة إرجاعاً للمعنى من لغةٍ إلى أخرى، كان النصّ المحوّل من اللغة الأولى إلى الثانية بحكم التفسير والشرح والتوضيح، وعليه ينبغي أن تتمّ الترجمة بحيث تفيد المعنى المراد من اللغة الأولى، ويمكن أن يتمّ ذلك بأحد طرقٍ ثلاثة:

١- الترجمة اللفظية.

٢- الترجمة المعنوية.

٣- الترجمة التفسيرية.

١- **الترجمة اللفظية**: بمعنى أن يعمد المترجم إلى الالتزام بحرفية النصّ، كما هو الحال بالنسبة إلى ترجمة عبارة: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، إلى العبارة الفارسية: «**پناه ميبرم به نام خدا از شيطان رانده شده**». أو عبارة: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، إلى الفارسية القائلة: «**بنام خداوند بخشنده مهربان**». ولكن هذا النوع من الترجمة في غاية التعقيد والصعوبة؛ حيث يتعذّر العثور في الغالب على كلمات تحمل نفس الخصوصيات التركيبية التي تتوفر عليها الكلمات في النصّ الذي يراد ترجمته، مضافاً إلى عدم إفادتها المعنى المطلوب بدقّة، كما أنّ هذه الترجمة قد تصلح بالنسبة إلى الجمل ذات الفواصل القصيرة، خلافاً للجمل والعبارات الطويلة، من هنا فإنّ الترجمة الحرفية تعدّ من أسوأ أنواع الترجمة، ولا يتمّ التشجيع عليها في الأوساط الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بالكتب العلمية.

وأمّا فيما يتعلق بالقرآن، الذي يحتوي على أنواع كثيرة من الاستعارات والتشبيهات والكنايات، فإنّ هذا النوع من الترجمة الحرفية إما هو متعذّر، أو أنه يتجلّى بشكل مشوّه، وغير مستساغ؛ إذ لكلّ لغةٍ أساليبها البلاغية التي لا تتناسب واللغات الأخرى، وعليه لا يمكن الالتزام بحرفيتّها.

فمثلاً إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾[1]؛ ندرك أنّ غلّ اليد إلى العنق كناية عن البخل، وبسطهما كناية عن الكرم؛ فلابد من النظر إلى هذه المعاني الكنائية، وعدم التوقّف عند الألفاظ الواردة في هذه الآية.

٢- الترجمة المعنوية: حيث يسعى المترجم إلى نقل المعنى من قالبه اللغوي إلى قالبٍ لغويّ آخر؛ ليؤدّي المعنى المراد بالكامل، مع رعاية الألفاظ والكلمات الواردة في النص ما أمكن، وإلا أجاز لنفسه التقديم والتأخير، وإضافة بعض العبارات، أو تجاهل بعض العبارات. وإنّما تسمّى هذه الترجمة بالمعنوية؛ لأنها تركّز على نقل المعاني والمفاهيم، دون التطابق اللفظي.

وهذا الأسلوب من الترجمة هو المتّبع في أكثر الكتب العلمية، وهو أفضل أسلوبٍ في الترجمة؛ لأنّ مراد المؤلف هو إيصال المعاني سواء أكان ذلك بلغته أو بلغة أخرى.

٣- الترجمة التفسيرية: حيث يسعى المترجم إلى بسط المعاني وشرحها، ولكن بلغةٍ أخرى غير لغة الكتاب، كما هو الحال بالنسبة إلى التفاسير القرآنية

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

المكتوبة باللغة الفارسية أو غيرها من اللغات.

خلاصة القول: إنّ الترجمة اللفظية غير ناجحة؛ لعدم إمكانها في العبارات الطويلة والكتب العلمية. وإنّ الترجمة التفسيرية البحتة التي تخرج عن حدود الترجمة، لا يمكن اعتبارها ترجمة جيّدة. وعليه فإنّ الترجمة المعنوية هي الترجمة المرغوبة والمطلوبة، ولكنّنا للأسف الشديد نجد الترجمات القرآنية سواء في السابق أو الحاضر لا تخرج عن كونها ترجمات لفظية أو تفسيرية.

وبعد التعرّض لأنواع الترجمة وأساليبها نخوض في أصل البحث الذي هو إمكان ترجمة القرآن وجوازها.

خصائص القرآن الثلاث الرئيسة

هناك ثلاث خصائص للقرآن هي التي جعلت منه كتاباً سماوياً ذا قدسية لا تدانيها سائر الكتب، وهي كالآتي:

الأولى: إنّ جميع عبارات وألفاظ القرآن هي كلام الله؛ ومن هنا كانت تلاوته عبادة توجب التقرّب من الله تعالى.

الثانية: إنّ القرآن كتاب هداية للجميع، ولا يهدي إلاّ إلى الطريق القويم والصراط المستقيم.

الثالثة: إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الخالدة، التي تشكّل الدليل على النبوّة الخاصّة.

إذن، يمكن القول: إنّ القرآن قائم على هذه الركائز الثلاث. وعليه نقول: هل يمكن الحفاظ على هذه الركائز بعد ترجمته إلى لغة أخرى؟

فهل يمكن الحفاظ على الإعجاز القرآني، وخاصة البياني منه، فيما إذا ترجمناه؟ وهل يمكن الحفاظ على قدسيته التي جعلت منه كتاب عبادة وقرب من الله تعالى؟

لا شكّ في عدم إمكان ترجمة القرآن مع الحفاظ على ما له من صفةٍ إعجازية بيانية، وعليه مهما كانت الترجمة علمية ودقيقة، لا يمكنها أن تظهر إلاّ هامشاً صغيراً من القرآن، ولا يمكنها أن تعكس الجانب القدسي منه أبداً؛ لأنّ الترجمة كلام مخلوق، بينما النصّ كلام خالق.

من هنا فقد ذهب فقهاء الإمامية إلى عدم جواز التعبّد بترجمة القرآن، فلا تكون الترجمة مشمولة بحرمة المسّ، ولكنها مع ذلك تكون محترمة على غرار سائر التفاسير من جهة إنتسابها للقرآن الكريم.

ذهب المحقق الهمداني في صحّة الصلاة إلى اشتراط قراءة الحمد بالعربية حتى للعاجزين عن التكلم باللغة العربية؛ لكون الترجمة كلاماً بشريّاً، وليس إلهيّاً[1]. وقد وردت في هذا المجال روايات كثيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: «**تعلّموا القرآن بعربيّته...**». وقول الإمام الصادق عليه السلام: «**تعلّموا العربية، فإنّها كلام الله الذي كلّم به خلقه، ونطق به للماضين**»[2].

وإليك بيانٌ بمختلف فتاوى الفقهاء في هذا الشأن:

---

(١) **مصباح الفقيه**: كتاب الصلاة، بحث القراءات: ٢٧٣-٢٧٧.

(٢) **وسائل الشيعة**: ج٤، أبواب قراءة القرآن: الباب ٣٠، ح: ١ و٢.

- **يجب تعلّم قراءة الفاتحة للعاجز عنها.**

- **مَن عجز عن تعلّم الفاتحة وجب عليه تعلّم غيرها من الآيات والسور القرآنية.**

- **كل مَن عجز عن قراءة القرآن مطلقاً، وجب عليه قراءة الأدعية والأذكار العربية الأخرى، ولكن يجب معها قراءة الحمد.**

- **وإذا كانت للترجمة القرآنية حكم الدعاء، جاز قراءتها بناءً على تجويز قراءة الدعاء بغير العربية، والأحوط ترك ذلك.**

خلاصة القول: إنّ فقهاء الإمامية مجمعون على عدم جواز قراءة ترجمة القرآن في الصلاة، ولا يجرون عليها أحكام القرآن.

كما ذهب سائر أئمّة الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى إلى ما ذهبت إليه الإمامية، باستثناء أبي حنيفة حيث أجاز الاكتفاء بترجمة الحمد في الصلاة، متمّسكاً لذلك برواية منسوبةٍ إلى النبي الأكرمﷺ، أجاز فيها لسلمان الفارسي أن يترجم سورة الفاتحة للإيرانيين المسلمين القاطنين في الجزيرة العربية (اليمن)؛ ليقرؤوها في الصلاة، ريثما يتعوّدون قراءتها بالعربية[١].

قيل: إنّ حبيب العجمي ـ أحد أصحاب الحسن البصري ـ كان يقرأ القرآن في صلاته بالفارسية؛ لعجزه عن النطق بالعربية[٢].

وقد أجاز مفتي الديار المصرية الشيخ محمّد بخيت لسكّان «ترانسفال»

(١) السرخسي، شمس الدين، **المبسوط**: ١: ٣٧.

(٢) المراغي، «**شرح مسلّم الثبوت**»، ١٧.

الصلاة بلغتهم عند العجز، مستنداً لذلك بعمل حبيب العجمي[(١)].

أهمية ترجمة القرآن

إنّ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، تعدّ ضرورة تبليغية في إطار إيصال المفاهيم القرآنية إلى غير الناطقين بالعربية. ولم يصدر حتى الآن منعٌ من قبل العلماء وفقهاء الإسلام عن ترجمة القرآن بهدف الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف، بل يمكن القول: إنّ ترجمة القرآن كانت منذ القدم ولا تزال سيرة جارية بين علماء المسلمين، بل وغيرهم أيضاً، إذ لابدّ من التكلّم مع كلّ قومٍ بلغتهم، خاصّة وأنّ القرآن كتاب يدعو جميع الأمم الإنسانية إلى الإسلام، ولا ينحصر بالعرب خاصّة. ومن جهة أخرى لا يمكن إجبار الشعوب الأخرى على تعلّم العربية، وإن كان تعلّمها أفضل، لأخذ تعاليم القرآن من معينها مباشرة.

من هنا، فإنّ الضرورة تقضي بترجمة القرآن إلى جميع اللغات الحيّة؛ لتقرأه أمم العالم مباشرة، وطبعاً ينبغي أن يتمّ ذلك بإشراف المتخصّصين من المؤتمنين الذين يمكن الوثوق بهم.

أدلة المعارضين لترجمة القرآن

وقد استدلّ المعارضون لترجمة القرآن بما يأتي:

١- إنّ ترجمة القرآن تؤدّي إلى ضياعه، كما ضاعت التوراة والإنجيل؛

---

(١) محمّد فريد، وجدي، **الأدلة العلمية**: ٥٨.

لكثرة ما ترجما حتى ضاع أصلاهما.

٢- إنّ الترجمات المتعدّدة، تؤدّي إلى الاختلاف فيما بينها، الأمر الذي ينعكس على القارئ، حيث يحار في معرفة الصحيح من السقيم فيها.

٣- هناك في الكثير من الآيات، وخاصّة الآيات المتعلّقة بالوجود وخلق الإنسان ذات حقائق بعيدة عن متناول الإنسان؛ وعليه فإنّ من يبادر إلى ترجمة القرآن سيعمد إلى ترجمة هذه الآيات طبقاً لرأيه وفهمه، وبذلك سنحصل على كثرة في التفسيرات والأفهام، هذا مضافاً إلى أنّ هذه الآيات تفسّر وتترجم طبقاً للمعرفة الآنيّة، الأمر الذي يستدعي تغيير هذه الترجمات تبعاً للتغيّر، ممّا يؤدّي إلى عدم ثبات معنى الآيات على وتيرة واحدة[1].

وينبغي القول في الإجابة عن هذا الكلام: إنّ قياس القرآن الكريم على التوراة والإنجيل قياس مع الفارق، فإنّ الغاية من وراء ترجمة العهدين كانت ترمي إلى إخفائهما وإبعادهما عن أعين الناس، وإظهار ما يراد له الظهور منهما من الترجمات والتفسيرات التي لا تعدو أن تكون آراء أصحابها.

وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة حيث قال: ﴿**قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً...**﴾[2].

في حين أنّ القرآن في متناول المسلمين وبين أيديهم، يتولّونه بالصون

---

(١) محمّد مصطفى، الشاطر المصري، **القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد**: ١٧-١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

والحفظ والرعاية؛ فلا يمكن تبديله أو تأويله وتضييعه.

وأمّا مسألة الاختلاف في أوجه النظر في الترجمات المتعدّدة، بل وقد نجد رأيين لمترجمٍ واحد في زمانين مختلفين، الأمر الذي يؤدّي إلى الإشكال في بعض الموارد، ولكنّه إشكال قابل للحلّ؛ وذلك من خلال منع أيّ كان من ترجمة القرآن، وتجويزها لذوي الاختصاص والخبرة فقط.

مضافاً إلى الإشكال المتقدّم، فقد تمّسك بعض المخالفين لترجمة القرآن ببعض الأحاديث التي توجب قراءة القرآن بالعربية كما هو الحال بالنسبة إلى سائر العبادات؛ كالأذان والصلاة والأذكار والحج، فإنّ هذه الأحاديث تعبّد المسلمين بقراءة القرآن بالعربية حتى وإن لم يفهموا معناه، ولا تدلّ على حرمة الترجمة ومنعها. وطبعاً من الأفضل للمسلم أن يتعلّم العربية؛ ليفهم القرآن بشكلٍ مباشر.

فتاوى العلماء

إنّ علماء السلف لم يتعرّضوا لحكم ترجمة القرآن، إلاّ فيما ندر، ولكن قامت سيرتهم على ترجمة وتفسير بعض الآيات والسور في مختلف المناسبات أثناء الوعظ والخطابة، كما كان يصنع أبو الفتوح الرازي والنيشابوري، ولكن ليس للتبليغ في أوساط الشعوب غير المسلمة.

وأمّا حالياً حيث اتسعت رقعة التبليغ، وتحوّل القرآن والإسلام إلى حقيقة عالمية، فقد تمّ فتح باب ترجمة القرآن وجعله بمتناول سائر الأمم.

وقد كثر الحديث في أواسط القرن الهجري الرابع عشر في مصر وسائر البلدان الإسلامية حول ترجمة القرآن، واختلفت الآراء بين مانع ومجوّز،

وكانت أكثر الآراء تميل نحو الجواز، بل وترى ذلك ضرورياً.

وكانت الكفّة تميل في الوهلة الأولى لصالح المجوّزين، ولكن في نهاية المطاف تمكّن المانعون من فرض رأيهم، وبذلك صدر المنع من ترجمة القرآن.

فتوى كاشف الغطاء

بالتزامن مع هذه الحركة، أصدر الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء بياناً جوابياً على الاستفتاء الذي تقدّم به الأستاذ عبد الرحيم محمّد علي، ونذكر هنا مضمون[1] بعض فقراته:

(... مهما كانت ترجمة القرآن الكريم قويّة ومحكمة، فإنّها لن تستطيع الوفاء بنقل واقع القرآن كما هو بلغته العربية. إنّ الترجمة ليست إلاّ نقل المعاني، وهي ضرورة بحدّ ذاتها. فإن أمكن تحقيق الترجمة بشكل كامل دون زيادة أو نقصان كانت جائزة، بل واجبة على من تمكنّ من ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات؛ لتوقّف تبليغ الدين والدعوة إلى الإسلام عليها، وهي مشمولة لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[2]، وأيّ خير أهمّ من الدعوة إلى الإسلام؟ وقد جرت العادة منذ الأيام الأولى ولا تزال على ترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية، ولم يصدر

(١) لم نعثر على نصّ البيان؛ فعمدنا إلى نقله من الفارسية. المعرّب.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

أيّ منع عنها من قبل العلماء والفقهاء؛ فإذا كانت الترجمة إلى الفارسية ـ طبقاً للسيرة القائمة ـ جائزة، جازت ترجمته إلى سائر اللغات الأخرى أيضاً، دون الحاجة إلى التمسّك بأصالة البراءة أو الإباحة، فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى الاستدلال، أو اللجوء إلى الأصول العملية).

رأي آية الله الخوئي

إنّ للسيد الأستاذ آية الله الخوئي قُدِّسَ سِرُّهُ بياناً وافياً وشافياً في هذا الخصوص، حيث عدّ ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى أمراً ضرورياً للدعوة إلى الدين، وقد أشار في البيان إلى ترجمة القرآن وشروطها على النحو الآتي إجمالاً:

(لقد بعث الله نبيّه لهداية الناس فعزّزه بالقرآن، وفيه كلّ ما يسعدهم ويرقى بهم إلى مراتب الكمال، وهذا لطف من الله لا يختصّ بقوم دون قوم، بل يعمّ البشر عامّة. وقد شاءت حكمته البالغة أن ينزّل قرآنه العظيم على نبيّه بلسان قومه، مع أنّ تعاليمه عامّة، وهدايته شاملة؛ ولذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كلّ أحدٍ ليهتدي به.

ولا شك [في] أنّ ترجمته ممّا يعين على ذلك، ولكنه لابد وأن تتوفرّ في الترجمة براعة وإحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها؛ لأنّ الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل ويجري ذلك في كلّ كلام، إذ

لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل.

ولابدّ - إذن - في ترجمة القرآن من فهمه، وينحصر فهمه في أمورٍ ثلاثة:

- الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب.

- حكم العقل الفطري السليم.

- ما جاء من المعصوم عليه السلام في تفسيره.

وعلى ذلك تتطلّب إحاطة المترجم بكلّ ذلك، لينقل منها معنى القرآن إلى لغة أخرى.

وأمّا الآراء الشخصية التي يطلقها بعض المفسّرين في تفاسيرهم، لم تكن على ضوء تلك الموازين، فهي من التفسير بالرأي، وساقطة عن الاعتبار، وليس للمترجم أن يتّكل عليها في ترجمته.

وإذا روعي في الترجمة كلّ ذلك فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن ومفاهيمه إلى كل قومٍ بلغتهم؛ لأنّها نزلت للناس كافّة، ولا ينبغي أن تحجب عنهم لغة القرآن ما دامت تعاليمه وحقائقه لهم جميعاً)[1].

رسالة شيخ الأزهر إلى رئيس الوزراء المصري بشأن ترجمة القرآن

جاء في الرسالة التي بعث بها الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر الشيخ مصطفى المراغي إلى رئيس الوزراء المصري في عام (١٣٥٥هـ ق)، وكان

---

(١) **البيان**: قسم التعليقات، التعليقة رقم: ٥، ص ٥١٠.

مفادها كالآتي[١]:

(عمد جماعة في الماضي والحاضر إلى ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى، وإنّ المترجمين وإن كانوا من الضليعين في اللغات التي ينطقون بها، ولكنّهم في غالبيتهم كانت تعوزهم الخبرة باللغة العربية، والمعرفة بظرائفها ومصطلحاتها ورموزها، هذا بالإضافة إلى جهلهم بالمصطلحات الإسلامية، الأمر الذي ينعكس سلباً على ترجمتهم للقرآن، وللأسف الشديد أخذ الناس يتداولون هذه الترجمات على ما فيها من إشكالات، ولذلك نهيب بالأمة الإسلامية عموماً، وبالشعب المصري خصوصاً، بسبب ما يتّمتعون به من مكانة سامية في العالم الإسلامي، أن يبادروا إلى رفع هذه النقيصة، وأن يقدّموا لغير الناطقين بالعربية من الشعوب الإسلامية ترجمات قرآنية كاملة وخالية من العيوب والنواقص.

...لذلك نقترح على إدارة الدولة أن تقدّم مشروعاً لترجمة القرآن، ليتم إنجاز هذا المشروع بإشرافٍ من الأزهر الشريف، والتعاون من وزارة المعارف، ودعمٍ ماديّ من إدارة الدولة. نرجو منكم النظر في هذا العرض).

وفي هذا السياق بادرت وزارة المعارف إلى إرسال رسالة ثانية من قبلها إلى رئيس الوزراء، تدعم فيها موقف شيخ الأزهر، وتحثّ الدولة على

---

(١) لم نعثر على نصّ هذه الرسالة؛ فعمدنا إلى نقل مضمونها من الفارسية. المعرّب.

القيام بهذا المشروع[١].

فتاوى علماء الأزهر

أرسل استفتاء تفصيلي بهذا الشأن إلى علماء الأزهر الشريف، ذكرت فيه الشرائط اللازمة في الترجمة الصحيحة، وكان الجواب صريحاً في جواز ذلك، وإليك نصّ الاستفتاء مع الفتوى كالآتي:

١ - لا شك في أنّ القرآن الكريم كتاب له نظمه وأسلوبه، وقد نزل من عند الله على النبي الأكرم ﷺ بلسان عربيّ مبين، ولا شك أيضاً في أنّ هذا القرآن لو فهم بشكل صحيح وتمّت ترجمته إلى لغة أخرى، فإنّ هذه الترجمة سوف لا تكون قرآناً، بل هي صرف ترجمة لا تعدو أن تكون تفسيراً وتوضيحاً له.

٢ - ولا خلاف أيضاً في أنّ الترجمة الحرفية للقرآن، بحيث توافق معاني القرآن وخصوصياته من النظم والأسلوب الموجود في القرآن، متعذّرة أو مستحيلة.

٣ - هناك مَن قام بترجمة القرآن منفرداً، وقام بطبع هذه الترجمة ونشرها بين الناس رغم ما بها من إشكالات وأخطاء كثيرة، وقد اعتمدها بعض غير الناطقين بالعربية، بل واعتمدها بعض العلماء ممّن يجهلون اللغة العربية.

٤ - الأمر الذي عزز القول بضرورة القيام بترجمة متينة تقوم

---

(١) الشيخ محمّد سليمان، حدث الأحداث: ٣٣ - ٣٥.

على الأمور الآتية:

ينبغي أن يتّم فهم معاني القرآن من قبل أفضل علماء الأزهر وتحت إشرافهم، وأن يتّم إقرار هذه المعاني وترجمتها بعبارات دقيقة بعد مقارنتها بآراء علماء السلف وكبار المفسّرين، ويجب أن تتوفّر في المترجمين الكفاءة والإحاطة العلمية، وأن يكونوا من الثقات ليؤتمنوا على نقل المعاني القرآنية إلى اللغات الأخرى، وأن يكون لها نفس الأثر العربي.

فهل القيام بهذا العمل وفقاً للشروط المتقدّمة جائز؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال أصدر علماء الأزهر الفتوى الآتية:

(الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وبعد.. فقد اطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدوّن بباطن هذا، ونفيد بأنّ الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال جائز شرعاً، والله سبحانه وتعالى أعلم).

وقد أمضى رئيس جامعة الأزهر في وقتها محمّد مصطفى المراغي هذه الفتوى، وكتب على هامشها:

(بسم الله الرحمن الرحيم.. وجّهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة، جماعة كبار العلماء، وإني أوافقهم على ما رأوه).

وبعد ذلك بادرت إدارة الدولة إلى الاضطلاع بمهمّة ترجمة القرآن.

المخالفون لترجمة القرآن في مصر

وفي المقابل برز بعض علماء الأزهر بالمخالفة لترجمة القرآن الكريم، وكان على رأس المخالفين الشيخ محمّد سليمان النائب الأعلى للمحاكم الشرعية. وقد سعى هؤلاء جاهدين للحيلولة دون القيام بمثل هذا المشروع، وقد نجحوا في جرّ شخصيات معروفة إلى صفّهم، مثل الشيخ محمّد أحمدي الظواهري الرئيس السابق لجامعة الأزهر، وعضو هيئة كبار العلماء، وقد تغيّب عن الاجتماع الذي عقدته هيئة كبار العلماء بشأن القيام بترجمة القرآن، ولم يبدِ موافقته على ذلك، بل وكتب رسالة إلى علي ماهر باشا رئيس الوزراء السابق يحثّه فيها على رفض المشروع.

ولم تكتف الجماعة المذكورة بهذا المقدار، بل عقدت الاجتماعات، وشكلّت جماعة ردع للوقوف بوجه ترجمة القرآن، وأصدرت البيانات، وأرسلت الكتب إلى مجلس الشورى الوطني، وطالبت الممثلين فيه بالحيلولة دون ترجمة القرآن، وفي نهاية المطاف خرجوا إلى الشوارع وأقاموا المظاهرات ودعوا الجماهير إلى الوقوف أمام هذا المشروع وعرقلته.

وأصدر عدد من هؤلاء المخالفين فتاوى مناهضة للمشروع، وكان على رأس هؤلاء الشيخ موسى الغراوي الرئيس الأسبق للمحكمة الشرعية العليا، وغيره من كبار القضاة ورؤساء المحاكم، وأرسلت هذه الفتاوى إلى المجلس أيضاً.

وفي المجلس قام الشيخ عباس جمل، وكيل الدفاع الشرعي بتشكيل لجنة، والتحق بها الكثير من وكلاء المجلس لتعزيز مقاومتها. وقد أصرّت

هذه اللجنة على عدم المصادقة على الميزانية التي تمّ رصدها بغية إنجاز مشروع ترجمة القرآن. وقامت هذه الجماعة بتشجيع عددٍ من كبار علماء الشام وفلسطين والعراق، وحثّهم على كتابة رسالة إلى رئيس الوزراء حينها «نحّاس باشا» وتحذيره من مغبّة القيام بمثل هذا العمل؛ فقام هؤلاء بدورهم بهذه المهمة وأصرّوا وأقسموا عليه بالإيمان الذي يحمله بين جوانحه وبالقرآن والدّين، بغية حمله على عدم القيام بترجمة القرآن.

وللأسف الشديد نجح المخالفون في سعيهم وتعرّضت مسألة ترجمة القرآن للتأخير بعد أن أوشكت على النجاح.

وقد حاول رئيس الوزراء «نحّاس باشا» التوفيق بين الفريقين المتخاصمين، بترجمة تفسيرية للقرآن، ولكنه لم يفلح في ذلك أيضاً، ولم يتمّكن من القيام بالشيء الكثير في سبيل نشر التعاليم الإسلامية بسبب مخالفة بعض قصار الفكر والنظر[1].

ترجمة القرآن رسالة دينية

ومهما كان فإن ترجمة القرآن إلى مختلف لغات العالم تعدّ ضرورة في الوقت الحاضر للأدلّة الآتية:

الدليل الأول: إنّ القرآن الكريم كتاب دعوة، وينبغي إيصال هذه الدعوة إلى جميع الناس، قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**

---

(١) **مجلة الرابطة العربية المصرية**، صفر وربيع الأول: سنة ١٣٥٥هـ ق.

هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانِ...﴾[1]. وقال تعالى: **﴿هـذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[2].

الدليل الثاني: إنّ الدين الإسلامي لا يخصّ أمّة بعينها، وهو دين لجميع الأمم، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً...﴾**[3]. وقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾**[4].

الدليل الثالث: يجب على كلّ مسلم أن يبلّغ نداء الإسلام إلى مسامع العالمين، وأن يفي بالرسالة التي حمّلها القرآن على جميع المسلمين، قال تعالى: **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...﴾**[5]. وقال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[6].

الدليل الرابع: أنّ الغاية من إنزال القرآن هي تبيينه للعالمين، وليس لمجرّد التعبّد بتلاوته، وجعله بمتناول فئة خاصّة من الناس، وإنّما القرآن للجميع، وعلى الجميع أن يفهموه ويقتنوه، قال تعالى: **﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هـذَا**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

﴿...الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾[2].

سابقة الترجمة في الإسلام

تقدّم أن قلنا: أنّ النبي صلى الله عليه وآله أجاز لسلمان أن يترجم سورة الحمد ليتمكّن الإيرانيون من قراءتها في الصلاة ريثما يتعلمون العربية بالتدريج. وقد استمرّت هذه السيرة الحسنة طوال مدّة حياة النبي، حيث كان بعض الصحابة يترجمون القرآن أو بعضه للداخلين في الإسلام حديثاً من غير العرب؛ ليتعلّموا حقائق القرآن وكنوزه.

وفي أول هجرةٍ للمسلمين إلى الحبشة، عمد جعفر بن أبي طالب إلى ترجمة شطرٍ من سورة مريم إلى النجاشي ووزرائه والشخصيات الحاضرة في المجلس، ممّا أدّى إلى ميلهم إلى الإسلام وانجذابهم نحوه، فقد ذهب الأستاذ المحقق صدر الأفاضل إلى معرفة جعفر باللغة الأمهرية التي يتكلّم بها الأحباش، إذ لا شكّ في أنّ قراءة القرآن بالعربية لم يكن ليترك ذلك التأثير عليهم مع جهلهم بها، ومن هنا فقد نقل عن النجاشي قوله بعد سماع القرآن: «**والله إنّ كلام محمّد وكلام عيسى ليصدران من معين واحد**»، وبكى بكاءً شديداً.

وينقل عن المهاراجة (رائك مهروق) أمير منطقة رور في الهند سنة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٢٣٠هـ ق)، أنّه سأل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الخليفة على تلك المنطقة أن يترجم له القرآن، فأجابه إلى ذلك، وأوعز إلى أحد الخبراء الضليعين بهذه المهمّة؛ فترجمه إلى اللغة السنسكريتية، ولمّا بلغ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]، سقط المهاراجة من عرشه إلى الأرض وأخذ يعفّر خدّه في التراب ويسكب الدمع الهتون، حتى بلّ دمعه الأرض، وهو يقول: ليس لهذا المعبود من يشاكله، وكان قبل ذلك قد أسلم خفية[2].

وفي عهد السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٥٠-٣٦٥) عمد علماء ما وراء النهر إلى ترجمة القرآن إلى الفارسية بأمرٍ منه، وقد تمّت هذه الترجمة في ضوء ترجمة تفسير محمّد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) الذي بعث به إلى السلطان من بغداد.

إنّ هذا الكتاب هو ترجمة لتفسير محمّد بن جرير الطبري وقد حمل نصّه العربي من بغداد في أربعين مصحفاً، وكانت أسانيده طويلة، وقيل: أنّهم جاؤوا به إلى الأمير السعيد المظفر أبي صالح المنصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، فصعب عليه فهمه، فأمر بترجمته إلى اللغة الفارسية، وجمع علماء ما وراء النهر واستفتاهم في جواز ترجمته إلى الفارسية، كي يتسنّى لمن لا يعرف اللغة العربية أن يقرأه ويفهمه؟ إذ قال تعالى: ﴿وَمَا

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٨-٧٩.

(٢) مقالة صدر الأفاضل، **مجلة التوحيد**: السنة الثانية، العدد:٩، ص٢١٦، وكذلك بزرك بن شهريار، الرامهرمزي، عجائب الهند: طبع ليدن، سنة ١٨٨٣م.

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُول إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ...﴾[1] واللغة التي يتكلّم بها الناس هنا هي الفارسية، وملوكهم من العجم...

فأمر الملك المظفر أبو صالح باستدعاء علماء ما وراء النهر في مدينة بخارى من أمثال: الفقيه أبي بكر بن أحمد بن حامد، والخليل بن أحمد السجستاني، ومن مدينة بلخ أبي جعفر بن محمّد بن علي، ومن الهند الفقيه الحسن بن علي المندوس، وأبي الجهم خالد بن هاني المتفقّه، وأمثال هؤلاء العلماء من مدينة سمرقند ومدينة سبيجاب وفرغانة، وجميع المدن الأخرى في منطقة ما وراء النهر، فأفتى الجميع بجواز ذلك، وقالوا بأنّه عمل صائب. فأمرهم الأمير السعيد الملك المظفر ليختاروا من بينهم من هو أفضلهم وأعلمهم ليتولّى ترجمة هذا الكتاب.

وكانت طريقة هذه الترجمة تقوم على عرض النصّ العربي للقرآن أولاً، ثمّ ترجمة الآيات مع ترجمة تفسيرها، وقد أرجت كلّ من ترجمة الآيات وترجمة تفسير الطبري في الطبعة الراهنة.

وعليه تكون هذه الترجمة أوّل ترجمة للقرآن باللغة الفارسية وصلت إلينا، وربّما كانت أكمل وأفضل ترجمة فارسية للقرآن، وإن كانت لهجتها ثقيلة نسبياً على الإيرانيين في الوقت الحاضر.

وهناك ترجمة فارسية قديمة أخرى، ترجمها العالم الفقيه الحنفي أبو حفص نجم الدين عمر بن محمّد النسفي (٤٦٢-٥٣٨)، وهو من علماء ما

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

وراء النهر، وله تفسير بالغ الأناقة باللغة الفارسية، يعمد فيه أولاً إلى ترجمة الآيات، ثمّ يردفها بتفسيرها، وهو غير تفسير النسفي المعروف لمؤلّفه أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

وأكمل شرح وتفسير فارسي قام به الشيخ جمال الدين أبو الفتوح حسين بن علي بن محمّد الرازي من علماء القرن السادس، وكان أجداده يعيشون في نيشابور، وقد حضي هذا التفسير منذ البداية باهتمام العلماء والمفكرّين المسلمين.

وقد كتب نظام الدين حسن بن محمّد القمي النيسابوري (ت: ٧٢٨ هـ) تفسيراً بعنوان «**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**» بالعربية، وقد عمد في البداية إلى ترجمة الآيات إلى اللغة الفارسية، ثم يعمد إلى تفسيرها بالعربية، وهو التفسير المعروف بتفسير النيسابوري، ويستهلّ المفسّر بالتفسير الظاهري، ثمّ ينتقل إلى التفسير الباطني والتأويل. وقد طبع هذا التفسير في مصر، ولكنهم للأسف الشديد حذفوا الترجمة الفارسية للآيات، إلا أنّ النسخ المطبوعة في الهند وايران قد احتفظت بهذه الترجمات.

مناقشة الترجمات

قبل الخوض في دراسة نقاط القوّة والضعف في مختلف الترجمات، نستعرض شرائط الترجمة المطلوبة، كيما نتمكن من تحديد ملاك ومعيار الحكم على الترجمة. وسنذكرها ضمن شرائط الترجمة والمترجم:

شرائط الترجمة

ذكرنا أنّ الترجمة عبارة عن نقل المعنى من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، مع

مراعاة خصائص ودقائق اللغتين، وكلّما كان النصّ بلغته الأولى قويّاً ورصيناً، فينبغي مراعاة ذلك في الترجمة أيضاً، وعليه حينما يكون النصّ نازلاً من عند الله خالق الوجود لهداية الناس، لابدّ بالضرورة أن تكون ترجمته جامعة لكلّ المفاهيم السامية للقرآن، خالية من جميع الآراء والاجتهادات الشخصية التي لا تستند إلى دليلٍ معتبر، ليكون محفوظاً ومصوناً من الخطأ.

ولذلك يشترط في ترجمة القرآن الكريم ما يلي:

١ـ يجب الأخذ بنظر الاعتبار محتوى الآية من جميع جهاتها، مع دلالاتها اللفظية الأصلية والتبعية. وأمّا الدلالات واللوازم العقلية فينبغي إرجاؤها إلى مرحلة التفسير.

٢ـ يجب انتقاء أقرب المعاني وأنسبها في اللغة التي يراد للقرآن أن يترجم إليها؛ لينعكس المعنى القرآني فيها، وإذا اقتضت الضرورة إضافة عبارةٍ أو كلمة وجب حصرها بين معقوفتين.

٣ـ ينبغي إنجاز الترجمة بإشراف لجنة متخصّصة، محيطة بمختلف العلوم الدينية إحاطة كاملة، بغية صيانة الترجمة من الخطأ والتحريف.

٤ـ يجب الإبقاء على الحروف المقطّعة في بدايات بعض السور على ما هي عليه دون ترجمة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كلمات من قبيل: «**برهان**» في الآية الثامنة والعشرين من سورة يوسف، و«**دابة**» في الآية الثانية والثمانين من النمل، و«**الأعراف**» في الآية السادسة والأربعين من سورة الأعراف، فينبغي نقلها كما هي.

٥ـ يجب تجنّب استعمال المصطلحات العلمية والفنية في ترجمة القرآن؛ وذلك لأنّ القرآن نزل للناس كافة، واللغة الاختصاصية تقتصر على بعض الأفراد دون غيرهم. وكذلك ينبغي تجنّب ذكر الآراء المختلفة في نصّ الترجمة.

٦ـ من المستحسن أن تكون الترجمة جماعية، وأن يقوم كلّ شخص بانتخاب ما يتناسب ومجال اختصاصه من القرآن.

٧ـ يجب ذكر النصّ القرآني قبل الترجمة، ليراجعه القارئ عند طروّ أيّ إشكال في الترجمة عنده؛ ولكي لا يتوهم أن الترجمة يمكنها أن تحلّ محلّ القرآن.

شرائط المترجم

١ـ يجب في المترجم أن يكون محيطاً بكلا اللغتين، وأن يكون عالماً بدقائقهما.

٢ـ يجب أن يكون علمه الديني كافياً لتأهيله من فهم المراد من الآية ومراجعة التفاسير المعتبرة قبل ترجمة أيّ آية، وأن لا يكتفي بما استنبطه من الآية للوهلة الأولى قبل ترجمتها.

٣ـ ينبغي للمترجم أن يتحرّر من جميع الآراء المسبقة، التي نشأ عليها بفعل الظروف والمناخ المحيط به والوسط الذي يعيشه، وأن يمحّض نفسه لفهم الآيات فقط.

٤ـ على أولئك الذين لا يجدون في أنفسهم القدرة الكافية للاضطلاع بهذه المهمة والمسؤولية أن يتجنّبوا الخوض فيها، وأن يتركوها لأهلها.

وعلى ذوي الصلاحية مسؤولية الإشراف على أعمال الترجمة السابقة والقيام بتقويمها وتصحيحها من الأخطاء والشوائب إن وجدت.

بعد أن استعرضنا فهرسة بشرائط الترجمة والمترجم، أصبح من السهل علينا أن ندرك سبب وجود الأخطاء في غالبية الترجمات التي أنجزت بجهودٍ فردية؛ وذلك لأنّ اجتماع جميع المهارات اللازمة للإحاطة بكلام الله في شخص واحد شبه مستحيلة. ومن هنا نناقش بعض أعمال الترجمة، بغية تجنّب الأخطاء الموجودة في هذه الترجمات في المستقبل، وليس الغاية من ذلك هي الانتقاص بعد علمنا بأنها كانت بنّياتٍ خيّرة وجهود خالصة:

ـ ذهب بدر الدين الزركشي، وجلال الدين السيوطي إلى اعتبار كلمة «هُدنا» في قوله تعالى: ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ...**﴾[1]. مأخوذة من«**هدى يهدي**»[2]، في حين أن «**هُدنا**» على وزن «**قلنا**»، من «**هاد يهود**» على وزن «**قال يقول**» بمعنى الرجوع والأوب، ومعناه هنا التوبة والإنابة، والرجوع إلى الله تعالى.

قال الزمخشري: «**هُدنا**» للمتكلمين، من «**هاده يهوده**»[3].

قال الراغب الأصفهاني: الهَوْد: الرجوع برفق، ومنه: التهويد، وهو مشيٌ كالدبيب، وصار الهود في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**﴾،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) ذكر الزركشي سبعة عشر معنى لـ«هدى»، ثم قال: ومن معانيها التوبة. **البرهان**: ١: ١٠٣-١٠٤.

(٣) **الكشاف**: ٢: ١٦٥.

أي: تبنا[١].

ـ ذكر الراغب الأصفهاني رغم مكانته العلمية في الأدب واللغة العربية، قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ...﴾[٢]، في مادّة «**عنت**» بمعنى «**ذلّت**»، وفسّر كلمة «**عنت**» بمعنى خضعت. في حين أنها من «**عني**» بمعنى التذلل والاستسلام؛ ولذلك يقال للأسير «عاني» بمعنى: الذي يحمل على عاتقه أعباء المذلة والتسليم. ومن هنا قال الطبرسي في ذيل هذه الآية: «**أي خضعت وذلت خضوع الأسير في يد من قهره**»[٣]. والعجيب أنّ الراغب ذكر هذه الآية في مادة «عنى» أيضاً[٤].

– تصوّر السيد «إلهي قمشئي» لدى ترجمته لقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾[٥] إلى الفارسية، أنّ قوم مريم هم الذين ذهبوا لجلب مريم من خارج المدينة. وكذلك بالنسبة لقوله تعالى: ﴿..وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾[٦]، فسّر التاء في «**كنت**» على أنها للمخاطب، في حين أنّ الصحيح أنّها للمتكلم، هذا علاوة على أنّ شهادة الله على الخلق غير مختصّة بحياة عيسى عليه السلام. وبالنسبة لترجمة قوله

---

(١) **المفردات**: ٥٤٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١١١.

(٣) **تفسير الطبرسي**: ٧: ٣١.

(٤) **المفردات**: ٣٤٩ و٣٥٠.

(٥) سورة مريم، الآية: ٢٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ* وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾(١)، ظنّ أن فعلي «يعذّب» و«يوثق» مبنيان للمجهول، فقرأهما بفتح الذال والثاء، في حين أن الصحيح أنهما للمعلوم، وهذا من آفات الترجمة الفردية.

- وإنّ الأستاذ محمّد باقر البهبودي رغم دقته في حقل ترجمة القرآن وتفسيره، إلا أنه لم يسلم من بعض الأخطاء الفادحة، من ذلك أنّه حمل لفظ «الخيط» في قوله تعالى: ﴿...حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾(٢) على معناه الحقيقي، وهو نفس الخطأ الذي ارتكبه أحد الصحابة، حيث اتخذ لنفسه خيطان أحدهما أبيض والآخر أسود، وأخذ ينظر فيهما كلما استيقظ، فلم يفلح في التمييز بينهما، وشكا ذلك إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فتبسّم من فعله وبيّن له أنّ المراد من ذلك المعنى الكنائي، وهو بياض النهار الذي يمتاز من سواد الليل(٣). وترجم كلمة «حكيم» في قوله تعالى: ﴿ ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(٤) بـ «كاردان» التي تعني بالفرسية «الخبير» . وهذا الوصف للقرآن غير صحيح، نعم إنّه يناسب وصف الإنسان. والصحيح أنّ كلمة «الحكيم» تعني هنا «المحكم» أو ما يشتمل على الحكمة. وترجم «الذرّة» في قوله

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٨٧.

(٣) راجع: **تفسير الطبرسي**: ١: ٢٨١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[1] بالنملة، في حين أنّ المراد منها هو الهباء الذي يُرى متطايراً في شعاع الشمس. وترجم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[2] على قراءة «سأل» بتخفيف الهمزة، الأمر الذي أدّى به إلى تفسير الآية بسيلان المائعات، وترجمتها كذلك، في حين أنّ قراءة التخفيف لا تغيّر المعنى، فيبقى المراد هو الاستفهام، أي: **استفهم مستفهمٌ**[3].

ـ كما وقعت بعض الأخطاء في ترجمة السيد أبي القاسم پاينده، منها عطفه يعقوب على بنيه في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ...﴾، في حين أنه معطوف على إبراهيم. وكذلك حمل الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ على الفوارق بينهما، في حين أنّ المراد هو تعاقبهما ومجيء أحدهما في أثر الآخر.

وفيما يلي نقدّم فهرسة بأسماء الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، ونوع الترجمات التي أُنجزت في الآونة الأخيرة:

١ ـ الشاه ولي الله الدهلوي ـ الفارسية القديمة، ولكنها دقيقة وحرفية.

٢ ـ اعتماد السلطنة ـ حرفية.

٣ ـ بصير الملك ـ ترجمة أمينة.

٤ ـ مهدي إلهي قمشئي ـ تفسيرية، ومن أوسع الترجمات المعاصرة انتشاراً، وهو في الحقيقة ترجمة لبصير الملك مع إضافة بعض النكت التفسيرية.

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.

(٣) مقالة حسين الأستاذ ولي، فصلية المترجم، السنة الثالثة، العدد: ١٠، (صيف ١٣٧٢)، ص١١٢-١١٤.

٥ ـ أبوالقاسم ياينده ـ راعى فيه ترجمة الآيات فقط.

٦ ـ محمّد كاظم معزّي ـ حرفية.

٧ ـ محمود الياسري ـ تفسيرية.

٨ ـ عباس مصباح زاده ـ ترجمة مستقاة من ترجمات العهد القاجاري وتفسير أبي الفتوح.

٩ ـ علي نقي فيض الإسلام ـ تفسيرية، وتحقيقية تقريباً.

١٠ ـ رضا سراج ـ تفسيرية وتحقيقية.

١١ ـ جمال الدين الاسترآبادي ـ حرفية، بإضافة بعض التوضيحات.

١٢ ـ حسين عماد زاده ـ تفسيرية.

١٣ ـ حكمت آل آقا ـ ترجمة أمينة، ومستقاة من ترجمة إلهي قمشئي وتفسير أبي الفتوح.

١٤ ـ زين العابدين رهنما ـ مصحوبة بتوضيحات، وهي ترجمة دقيقة إلى حدّ ما.

١٥ ـ أسد الله المصطفوي ـ ترجمة تفسيرية.

١٦ـ داريوش شاهين ـ ترجمة أمينة ودقيقة.

١٧ـ عبدالمحمّد آيتي ـ ترجمة أمينة مصحوبة ببعض التوضيحات.

١٨ ـ جلال الدين الفارسي ـ ترجمة أمينة.

١٩ ـ محمّد باقر البهبودي ـ ترجمة تفسيرية.

٢٠ ـ محمّد الخواجوي ـ مستقاة من الترجمات القديمة.

٢١ ـ أبو القاسم الإمامي ـ ترجمة على الأسلوب القديم.

٢٢ ـ أحمد كاويانبور ـ مستقاة من تفسير أبي الفتوح وكشف الحقائق.

٢٣ ـ جلال الدين المجتبوي ـ ترجمة أمينة مع توضيحات.

٢٤ ـ كاظم بورجوادي ـ ترجمة أمينة.

٢٥ ـ دار القرآن الكريم ـ (مجموعة من المترجمين).

٢٦ ـ ناصر مكارم الشيرازي ـ ترجمة تفسيرية (مأخوذة عن التفسير الأمثل).

٢٧ ـ بهاء الدين خرمشاهي ـ بإضافة الهوامش والتعليقات.

٢٨ ـ مهدي فولادوند ـ ترجمة أمينة ودقيقة.

ترجمة القرآن إلى اللغات غير الفارسية

هذا وقد تُرجم القرآن لأكثر من خمس وستين لغة من اللغات الحيّة، ومنها ما أعيد طبعه عشرات، بل مئات المرّات، مضافاً إلى الترجمات الألمانية والإيطالية والفرنسية والتركية والأوردية والصينية، وغيرها من اللغات العالميّة الحيّة. وإنّ الترجمة الإنجليزية التي قام بها«**جورج سيل**» قد تمّ إعادة طبعها لأكثر من أربعين مرّة.

وطبعاً لا يمكن الاطمئنان إلى أنّ جميع هذه الترجمات كانت لغايات سليمة، فهناك منها ما كان بدافع الحقد على الإسلام، وهناك منها ما كثرت فيه الأخطاء بسبب قلّة المعرفة بالأساليب العربية. من ذلك يمكن الإشارة إلى ترجمة المطران «**يعقوب صليبا**» عام ١٩٢٥م، وسوء النية واضح عليها.

قال أبو عبد الله الزنجاني: ربما كانت أوّل ترجمة للقرآن باللغة اللاتينية «لغة العلم في أوربا» هي التي قام بها «**كنت**» بالتعاون مع «**بطرس الطليطلي**» سنة ١١٤٣م، بأمرٍ من «**دير كلوني**»، لغاية الردّ على القرآن. وقد قام بنشرها

«**هنكلمان**» سنة ١٥٩٤م. وبعد ذلك وفي عام ١٥٩٨م انتشرت طبعة ماراتشي وفي ضمنها ردّ على القرآن[١].

ومن خلال الالتفات إلى هذه الترجمات المدفوعة لغايات خبيثة، تتضاعف مسؤولية العلماء والمتخصصين في العلوم الإسلامية في القيام بترجمة صحيحة ومتقنة للقرآن الكريم.

---

(١) **تاريخ القرآن**: ٦٩.

في نهاية هذا الفصل، نُدرج مجموعة من ترجمات القرآن الكريم في الجدول أدناه ليتسنى للقارئ الكريم الوقوف عليها بسهولة.

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
١	الأسامية	١	٠		
٢	الإفريقية	٢	١		
٣	الألبانية	٠	٣		
٤	الألمانية	٦٥	٢٤	لوديغ أولمان: ١٦ ماكس هنينغ: ١٢ رودي بارت: ١١ شفايغر: ٤	
٥	الأوردية	٣٠٠		رفيع الدين الدهلوي: ٣٠ عبدالقادر الدهلوي: ٢٢	
٦	الأرمينية	٣	١	ابراهام تشايشز: ٢	
٧	الإسبانية	٣١	٤	مجهول: ٧ خوان فارنت: ٤ هرناند زكاتا: ٣	
٨	الأسبرانتو	٢	٢	٠	بالخط اللاتيني
٩	الأمهرية	٢	١	٠	منطقةافريقيةوخط خاص
١٠	الأندونيسية	٣٩	٢٣	أحمد حسن: ٩ محمود يونس: ٩ محمّد حسبي: ٦	

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
١١	الإنجليزية	٢٩٥	١٣١	جورج سيل: ١٠٥ رادول: ٣٢ بيكثال: ٢٤ بالمر: ١٥ آربري: ٤٠ يوسف عبدالله: ٥٠ شاكر: ٣٠	هناك أكثر من ٣٠٠ ترجمة انجليزية، نقتصر بالإشارة على بعضها مسلم سني مترجم مسيحي مسلم سني مسلم شيعي
١٢	الإيطالية	٢٠	٤	لويجي لونلي: ٦	
١٣	البراهوئية	١	٤	٠	
١٤	البورمية	١	٠		
١٥	البلغارية	١	١		
١٦	البلوشية	١	٠		مترجم عن اللغة الفارسية
١٧	البنغالية	٣٩	٩٥	غيريش جاندراسن: ٧	
١٨	البوغينية	١	٠		
١٩	البرتغالية	٨	٣	بنتودوكاسترو:٦	بالخط اللاتيني
٢٠	البشتو	١٤	٢٣	مراد علي: ٤	مترجم عن الفارسية
٢١	البنجامية	١٥	٤٥	محمّد حبيب الله: ٦	
٢٢	التاميلية	١٢	٣	عبدالحميد النقوي: ٥	بخط عربي خاص
٢٣	التاوية	٢			

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
٢٤	التركية	١٠٧	١٠٩	محمّد دباغ زاده: ١١ حسن جانتاي: ١٠ فكري ياورز: ٧	بمختلف اللغات التركية الاسطنبولية وغيرها، وبالخطوط العربية والكريلية واللاتينية.
٢٥	تلوغر	٤	٧	نارايانا: ٢	
٢٦	الجاوية	١	٤		
٢٧	الجرجانية	٤	٠	ريتشارد نيكل: ٢	منطقة آسيابة ، وبالخط اللاتيني
٢٨	التشيكية	١٤	٦	تزور جوشيد: ٥	منطقة أفريقيا، بالخط العربي واللاتيني
٢٩	الصينية	١			
٣٠	الهوسية	٥	٢	عبدالسلام صادق: ٣	
٣١	الدنماركية				منطقة أفريقية، وخط لاتيني.
٣٢	ديولا	٠	٠		
٣٣	الروسية	١٦	٣	نيكولايف: ٥ سابلكوف: ٤	
٣٤	الرومانية	١	٠	ياسوناري: ٢	
٣٥	اليابانية	٩	٠	جوشيهيكوايزوتسو: ٢ ساكاموتو: ٢	

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
٣٦	السنسكريتية	٢	٠		بخط خاص
٣٧	السريانية	٠	١		
٣٨	السندية	٢٤	٢٥	تاج محمود امرتي	
٣٩	السواحلية	٥	١٠	عبدالله صالح الفارسي: ١٢	
٤٠	السويدية	٤	٤	كارل ويلهلم : ٢	
٤١	السوندانية	١	٥		منطقة اقيانوسية، وبالخط العربي
٤٢	السينهالية	٠	٢	٠	منطقة آسيوية وخط خاص
٤٣	الصربية والكرواتية	١١	٦	محمّد بانجا ـ جمال الدين جائوشويج: ٦	
٤٤	العبرية	٤	٢	جوزيف رولين: ٣	
٤٥	الفارسية	١٠٧	٦٥	ولي الله الدهلوي: ٣٤ الملا حسين الكاشفي: ١٩	أشرنا إليها سابقاً بشكل مستقل
٤٦	الفرنسية	١١٦	٢١	كازيميرسكي: ٢٩ أندره دوريه: ٢٢ ساواري: ٢١	
٤٧	الفلندية	٣	٠	جوسي آور ـ ارماس سالونن ـ كنوت تالكوليست: ٢	

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
٤٨	الكامبوجية		١		بخط خاص في المنطقة الأفريقية، والخط اللاتيني
٤٩	الكرئولية				
٥٠	الكردية	٢	٢	٠	بخط خاص
٥١	الكورية	١	٠	٠	
٥٢	الكشميرية	٢	٠	٠	بخط خاص
٥٣	الكوتوكولية	٠	٠		الخط اللاتيني في أفريقيا
٥٤	الكندية	١	٠		
٥٥	الغجراتية	١١	٢	أحمد البهائي - سليمان جمعاني: ٢٠	
٥٦	اللاتينية	٥	٢٨	رابرتوس ـ هرمانوس دالماتا:٣	
٥٧	اللوغاندية	١	٠		
٥٨	البولندية	١	٥		
٥٩	الماكاسارية	٠	٢		في منطقة اقيانوسية وبخط خاص
٦٠	المالايالامية	١	٣		في منطقة أسيا وخط عربي خاص

ت	اللغة	عدد الترجمات الكاملة	عدد الترجمات الناقصة	اسم المترجم وعدد الطبعات	الملاحظات
٦١	المالية	١٤	٣٧	أحمد حسن: ٦	
٦٢	المجرية	٢	٢		
٦٣	الميراتية	٢	١		
٦٤	الميراناؤية	٠	١		في منطقة آسيا وبخط عربي خاص
٦٥	الميمنية	٠	٠		في منطقة آسيا وبخط عربي
٦٦	النرويجية	١	١		
٦٧	الهولندية	٢٦	١	غلازه ماكر: ٨	
٦٨	الهندية	٦	٣		
٦٩	الهينغادوية				في أوربا وبالخط اللاتيني
٧٠	اليوروبية	٤	٠	م. س . كول: ٢	منطقة أفريقية وخط لاتيني
٧١	اليونانية	٨	١	بنتاكي	

جدير ذكره أنّنا في هذه الإحصائية قد اعتمدنا على موسوعة الترجمات حتى عام ١٩٨٠م ، المستقاة من الموسوعة العالمية لمؤسسة إحسان أوغلو. وعليه فإنّ الترجمات التي صدرت بعد هذا العام لم يتمّ إدراجها.

المصادر

١- الآلوسي، محمود بن شكري؛ **روح المعاني**؛ دار الطباعة مينوية.

٢- ابن أبي الحديد، أبوحامد هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني المعتزلي؛ **شرح نهج البلاغة**؛ تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصر.

٣- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**؛ طهران : انتشارات إسماعيليان.

٤- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ؛ **الكامل في التاريخ**؛ بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م.

٥- ابن الأعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي؛ **الفتوح**؛ تحقيق: علي شيري، لبنان : دار الأضواء، ١٩٩١م.

٦- ابن بطوطة؛ محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي؛ **مهذّب رحلة ابن بطوطة**؛ القاهرة.

٧- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن علي العمري؛ **النشر في القراءات العشر**؛ تحقيق: علي محمّد الصبّاغ، مطصفى محمّد، مصر.

٨- ابن جزّي؛ أبو القاسم محمّد بن أحمد بن محمد الكلبي؛ **التسهيل لعلوم التنزيل**؛ الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٣ م، المجلّد (١ ـ ٤).

٩- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر؛ **الإصابة في**

معرفة الصحابة؛ مصر: مكتبة السعادة، ١٣٢٨.

١٠- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر؛ **فتح الباري لشرح صحيح البخاري**؛ بيروت: دار المعرفة.

١١- أبوالعبّاس القسطلاني، أحمد بن محمد؛ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**؛ مصر.

١٢- أبو العبّاس القسطلاني، أحمد بن محمد؛ **الأدلّة العلمية**.

١٣- أبوالعبّاس القسطلاني، أحمد بن محمد؛ **الإسلام في عصر العلم**؛ لبنان، بيروت: ١٩٦٧م.

١٤- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري؛ **الناسخ والمنسوخ في القرآن**.

١٥- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون التونسي؛ **تاريخ ابن خلدون**؛ بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٦- ابن خلّكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي؛ **وفيات الأعيان**؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

١٧- ابن رشد الأندلسي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي؛ **الكشف عن مناهج الأدلّة**؛ مصر: المطبعة العربية.

١٨- ابن الشيخ، حسن بن محمّد؛ **الأمالي**؛ النجف الأشرف.

١٩- ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب في حاشية الإصابة**.

٢٠- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي القزويني المالكي؛ **الصاحبي في فقه اللغة**؛ لبنان: ١٩٦٤م.

٢١- ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم؛ **تأويل مشكل القرآن**؛ الطبعة الثانية، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م.

٢٢- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم؛ **تأويل مختلف الحديث**.

٢٣- ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر؛ **الأمثال في القرآن**؛ بيروت: دار المعرفة.

٢٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، القرشي الدمشقي؛ **البداية والنهاية في التاريخ**؛ الطبعة الثالثة، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.

٢٥- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي؛ **فضائل القرآن** (طبع في نهاية تفسير ابن كثير) المجلد الرابع.

٢٦- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير؛ **تفسير القرآن العظيم**؛ دار إحياء الكتب العربية.

٢٧- ابن مخلوف، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الثعالبي؛ **تفسير الثعالبي**؛ مصر.

٢٨- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الورّاق البغدادي؛ **الفهرست**؛ مصر: مطبعة الاستقامة.

٢٩- أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة؛ **حجّة القراءات**؛ تحقيق:

سعيد الأفغاني، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٠- أبو محمّد مكي بن أبي طالب؛ **الكشف عن وجوه القراءات السبع**؛ تحقيق: محيي الدين، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٣١- أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ المصري؛ **ضحى الإسلام**؛ الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة النهضة.

٣٢- أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطبّاخ المصري؛ **ظهر الإسلام**؛ بيروت: دار الكتاب العربي.

٣٣- أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطبّاخ المصري؛ **فجر الإسلام**؛ بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٦٩م.

٣٤- الإسكافي، أبو جعفر؛ محمّد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٤٠هـ)، **المعيار والموازنة**؛ تحقيق محمّد باقر المحمودي، ١٩٨١م.

٣٥- الإصفهاني، السيّد أبو الحسن بن محمّد ؛ **وسيلة النجاة**؛ النجف الأشرف (الطبعة الحجرية).

٣٦- البلاذري؛ أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر؛ **فتوح البلدان**؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

٣٧- البلاغي؛ محمّد جواد بن الحسن النجفي الربعي؛ **آلاء الرحمن**؛ النجف الأشرف.

٣٨- تركي عطيّة عبود؛ **الخطّ العربي الإسلامي**؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار التراث الإسلامي، ١٩٧٥م.

٣٩- التستري، محمّد تقي بن كاظم؛ **قاموس الرجال**؛ طهران.

٤٠- الثعالبي؛ أبو منصور عبد الملك بن محمّد؛ **فقه اللغة وسرّ العربية**؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٢م.

٤١- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن؛ **أسرار البلاغة**؛ بيروت: دار الجيل.

٤٢- جرجي بن حبيب زيدان؛ **تاريخ التمدن الإسلامي**؛ القاهرة: دار الهلال.

٤٣- جرجي بن حبيب زيدان؛ **تاريخ آداب اللغة العربية**؛ القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧م.

٤٤- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد البغدادي؛ **المعرّب**؛ تحقيق: الدكتور ف. عبد الرحيم، دمشق: دار القلم.

٤٥- الحرّ العاملي، محمّد بن حسن؛ **وسائل الشيعة**؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٦- الخميني، روح الله مصطفى المصطفوي؛ **تحرير الوسيلة**؛ الطبعة الأولى، قم: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٠٤ هـ.

٤٧- الخوئي، السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر الموسوي؛ **البيان في تفسير القرآن**؛ الطبعة الثالثة، النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٦م.

٤٨- الرازي، أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي النيسابوري؛ **روض الجنان وروح الجنان**؛ طهران، مطبعة إسلامية.

٤٩- الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمر الرازي؛ **مفاتيح الغيب (التفسير**

الكبير)، الطبعة الثانية، طهران: دار الكتب العلمية.

٥٠- الراغب الإصفهاني ، الحسين بن محمد؛ **المفردات في غرائب القرآن**؛ تحقيق: محمّد سيد الجيلاني، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٥١- رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا القلموني؛ **تفسير المنار**؛ الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة.

٥٢- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر؛ **البرهان في علوم القرآن**؛ الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٥٣- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي؛ **الكشّاف**؛ بيروت: دار الكتاب العربي.

٥٤- السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل الحنفي؛ **الأصول**؛ بيروت: دار المعرفة.

٥٥- السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله الحسيني الشافعي القاهري؛ **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**؛ تحقيق: محمّد محيي الدين، بيروت: دار إحياء التراث العرب.

٥٦- سيد قطب بن إبراهيم؛ **في ظلال القرآن**؛ الطبعة السادسة، بيروت.

٥٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ **الإتقان في علوم القرآن**؛ تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة: ١٩٦٧م.

٥٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ **بغية الوعاة**؛ بيروت: دار المعرفة.

٥٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**؛ مصر: مطبعة الحلبي، (٦ مجلد).

٦٠- الشاطر، محمّد مصطفى؛ **القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد**؛ القاهرة.

٦١- شبّر، سيّد عبد الله شبّر بن محمد رضا الحسيني الكاظمي؛ **تفسير شبّر**؛ الطبعة الثانية، القاهرة: ١٩٦٦م.

٦٢- الشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الطاهر أحمد بن موسى الموسوي؛ **نهج البلاغة**؛ مصر.

٦٣- الشعراني ، أبوالمواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي؛ **الكبريت الأحمر** (بهامش اليواقيت والجواهر)؛ مصر: ١٩٥٩م.

٦٤- الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي ؛ **اليواقيت والجواهر**؛ مصر: ١٩٥٩.

٦٥- الشوافي؛ **معجم مصنفات القرآن**، بيروت.

٦٦- الشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم؛**الملل والنحل**؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٦٧- الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي؛ الاعتقادات؛ المجلّد الخامس.

٦٨- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي؛ **الأمالي**؛ النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٠م.

٦٩- الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ؛ **الخصال**؛ طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٨٩.

٧٠- الشيخ محمّد سليمان؛ **حدث الأحداث**؛ مصر، القاهرة.

٧١- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي؛ **الإرشاد**: مصنّفات الشيخ المفيد؛ طهران المجلّد ١١ (ح١ و٢).

٧٢- الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي؛ **أوائل المقالات**: مصنّفات الشيخ المفيد؛ المجلد ١١.

٧٣- الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي؛ **تصحيح الاعتقاد**؛ الطبعة الثانية، تبريز: ١٣٧١.

٧٤- الشيرازي، صدر المتألهين، صدر الدين بن محمّد؛ **التفسير الكبير**؛ الطبعة الثانية، قم: مطبعة الحكمة.

٧٥- الصدر، السيد حسن آل صدر الدين العاملي الكاظمي؛ **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**؛ شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة.

٧٦- الصديق الغماري ، أحمد بن عبد المؤمن ابن الصديق الحسني؛ **بدع التفاسير**؛ الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة، ١٩٦٥م.

٧٧- الصفّار ، محمد بن الحسن بن فرّوخ القمي؛ **بصائر الدرجات**؛ مقدّمة الميرزا محسن الكوجه باغي، طهران.

٧٨- الصفدي، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبدالله؛ **الوافي بالوفيّات**؛ تحقيق: هلموت ريتر.

٧٩- الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن؛ **مجمع البيان (تفسير الطبرسي)**؛ طهران: مطبعة إسلامية.

٨٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير؛ **تاريخ الطبري**؛ مصر: مطبعة الاستقامة، ١٣٩٣م.

٨١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير؛ **جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)**؛ الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٢م.

٨٢- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (الشيخ الطوسي)؛ **الأمالي**؛ النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٩٦٤م.

٨٣- الطوسي، أبوجعفر محمد بن الحسن؛ **التبيان**؛ النجف الأشرف: مكتبة الأمين، والطبعة الاولى، قم المقدسة: مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، رمضان ١٤٠٣.

٨٤- الطوسي، أبوجعفر محمد بن الحسن؛ **الفهرست**؛ جامعة مشهد.

٨٥- الطوسي، أبوجعفر محمد بن الحسن؛ **المبسوط**؛ طهران: المكتبة المرتضوية.

٨٦- عبادة، عبدالفتاح عبادة فاضل المصري؛ **انتشار الخط العربي**؛ مصر.

٨٧- العسكري، أبو الهلال؛ **الفروق اللغوية**؛ قم: (أوفست بصيرتي).

٨٨- العسكري، أبو أحمد الحسن؛ **التصحيف والتحريف**؛ الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣م.

٨٩- علم الهدى، السيد المرتضى علي بن الحسين بن موسى الشريف

المرتضى؛ **الأمالي**؛ تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: (ج١ و٢).

٩٠- العيّاشي، أبو النظر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي؛ **تفسير العيّاشي**؛ طهران: طبع أوفست المكتبة الإسلامية.

٩١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد؛ **إحياء علوم الدين**؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩م.

٩٢- الفيض الكاشاني، محسن؛ **تفسير الصافي**؛ الطبعة الثانية، طهران: ١٣٤٨.

٩٣- القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم؛ **تفسير القمي**؛ مطبعة النجف الأشرف.

٩٤- كاشف الغطاء، الشيخ جعفر الكبير؛ **الحق المبين**؛ طهران: الطبعة الحجرية.

٩٥- كاشف الغطاء، الشيخ جعفر الكبير؛ **كشف الغطاء**؛ طهران: الطبعة الحجرية.

٩٦- الكليني، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي؛ **الكافي**؛ الطبعة الثالثة، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨.

٩٧- الماوردي، أبوالحسن علي بن حبيب الشافعي؛ **تفسير الماوردي**؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٩٨- المجلسي، محمّد باقر بن محمد تقي؛ **بحار الأنوار**؛ الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ.

٩٩- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي؛ **بحار الأنوار (تفسير النعماني)**؛

بيروت: مؤسسة الوفاء، (ج ٩٠).

١٠٠- محمّد محمّد عبد اللطيف (ابن الخطيب)؛ **الفرقان في جمع وتدوين القرآن**؛ القاهرة: ١٩٨٤م.

١٠١- المراغي، أحمد مصطفى؛ **تفسير المراغي**؛ دار الفكر.

١٠٢- المظفر، الشيخ محمّد حسن محمد؛ **دلائل الصدق**؛ النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

١٠٣- معرفة، محمّد هادي؛ **التمهيد**؛ الطبعة الأولى، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ هـ.

١٠٤- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر؛ **الخطط المقريزية**؛ لبنان: مطبعة الساحل.

١٠٥- المكّي الكردي؛ محمّد طاهر بن عبد القادر؛ **تاريخ الخط العربي وآدابه**؛ مصر.

١٠٦- النامي، خليل يحيى؛ **أصل الخط العربي**؛ مصر.

١٠٧- النجفي، عبدالرحيم محمّد علي التبريزي؛ **القرآن والترجمة**؛ النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

١٠٨- النوري، حسين بن محمد تقي الطبرسي؛ **فصل الخطاب**؟ طهران: الطبعة الحجرية.

١٠٩- الواحدي النيشابوري؛ أبوالحسين علي بن أحمد؛ **أسباب النزول**؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٨م.

١١٠-الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد، **المغازي**؛ تحقيق: مارسدن جونز، بيروت.

١١١-وجدي، محمّد فريد بك بن مصطفى؛ **دائرة معارف القرن العشرين**؛ الطبعة الرابعة، مصر: ١٣٨٦ .

١١٢-الهلالي، سليم بن قيس؛ **السقيفة**؛ النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية.

١١٣-هيكل، محمّد بن حسين بن سالم؛ **حياة محمّد**صلى الله عليه وآله؛ مطبعة مصر، ١٣٥٤.

١١٤-هيكل، محمّد بن حسين بن سالم؛ **في منزل الوحي**؛ الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٢م.

١١٥-اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واهب بن واضح؛ **تاريخ اليعقوبي**؛ النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م.

الفهرس

كلمة الناشر ٧

المقدّمة ٩

الفصـل الأوّل

ظاهرة الوحي

١٧

الوحي في اللغة ١٨

الوحي في القرآن ١٩

أقسام الوحي الرسالي ٢٤

إمكان الوحي ٢٥

روحانية الإنسان ٢٧

كيفية نزول الوحي ٣٠

قصة ورقة بن نوفل ٣٢

أُسطورة الغرانيق (الآيات الشيطانية) ٣٧

كتّاب الوحي ٤٤

الفصل الثاني

نزول القرآن

٥٣

بداية النزول ٥٤

سنوات الفترة وانقطاع الوحي ٥٥

مدّة النزول ٥٧

وهنا ترد ثلاثة أسئلة: ٥٩

أوّل آية وسورة نزلت من القرآن ٧٢

آخر الآيات والسور نزولاً ٧٦
السور المكيّة والمدنية وفوائد معرفتها ٧٨
المعيار في المكي والمدني ٨٣
الشبهات الواردة حول مكية السور ومدنيتها ٨٧
ترتيب النزول ٩٢
السور المختلف فيها ٩٧
آيات مستثنيات ١٠٢
أسباب النزول ١٠٤
سبب النزول أو شأن النزول ١٠٨
التنزيل والتأويل ١٠٨
الفائدة الفقهية من شأن النزول والتنزيل والتأويل ١٠٩
معرفة أسباب النزول ١١١
حضور ناقل السبب ١١٥
أسماء القرآن وأوصافه ١١٦
مفهوم السورة والآية ١٢٤
أسماء السور ١٢٧
تعدّد أسماء بعض السور ١٣٠
إعراب أسماء السور ١٣٢
عدد سور القرآن وآياته ١٣٤
عدد آيات السور طبقاً لرواية الكوفيين ١٣٦

الفصل الثالث

جمع القرآن وتأليفه

١٣٩

وصف مصحف الإمام علي عليه السلام ١٤٢
مصير مصحف الإمام علي عليه السلام ١٤٣

جمع زيد بن ثابت ١٤٥
طريقة زيد في جمع القرآن ١٤٧
مصاحف الصحابة ١٤٨
مصحف ابن مسعود ١٤٩
مصحف أُبيّ بن كعب ١٥٢
مصاحف غير معروفة ١٥٥
١- مصحف عائشة ١٥٥
٢- مصحف معاذ بن جبل ١٥٦
٣- مصحف أبي الدرداء ١٥٧
٤- مصحف عثمان ١٥٩
٥- مصحف أنس بن مالك ١٦٠
توحيد المصاحف ١٦١
اختلاف المصاحف ١٦٢
دخول حذيفة إلى المدينة ١٦٦
عثمان يستشير الصحابة ١٦٧
لجنة توحيد المصاحف ١٦٧
موقف الصحابة من توحيد المصاحف ١٦٩
موقف الأئمة عليهم السلام في الحفاظ على المصحف ١٧١
عام توحيد المصاحف ١٧٢
مراحل إنجاز المشروع ١٧٦
عدد المصاحف العثمانية ١٨٠
الخصائص العامة للمصاحف العثمانية ١٨٦
١ ـ الترتيب: ١٨٧
٢ ـ خلو المصاحف من التنقيط والتشكيل: ١٨٩
ظهور الخط العربي ١٩١

أوّل من أدخل النقطة في المصحف ١٩٣
التشكيل والتعليم ١٩٤
تحسينات متأخّرة ١٩٧
٣ ـ الأخطاء الإملائية: ٢٠٠
الأخطاء والتناقضات الإملائية ٢٠٣
آراء مبالغ فيها ٢٠٦
القرآن في أطوار التحسين والتجويد ٢٢٠
الفصل الرابع ٢٢٥
القرّاء والقراءات السبع ٢٢٥
تعريف القراءة ٢٢٦
أسباب اختلاف القراءات ٢٢٧
١- بدائية الخط العربي ٢٢٨
٢- خلو الكلمات من النقط ٢٣١
٣- الخلوّ من العلامات والحركات ٢٣٢
٤- عدم وجود الألف ٢٣٤
القرّاء السبعة ورواتهم ٢٣٥
تواتر القراءات السبع ٢٣٨
حديث الأحرف السبعة ٢٣٩
حجية القراءات السبعة ٢٤٠
قراءة حفص ٢٤٣
الفصل الخامس ٢٤٥
دفع شبهة التحريف ٢٤٥
التحريف لغةً ٢٤٥
التحريف اصطلاحاً ٢٤٧
أدلة نفي التحريف ٢٤٩

١ ـ شهادة التاريخ: ٢٤٩
٢- ضرورة تواتر القرآن:..................... ٢٥٢
٣- مسألة إعجاز القرآن: ٢٥٣
٤- الضمانة الإلهية: ٢٥٦
٥- عرض الروايات على الكتاب:..................... ٢٥٧
٦- نصوص أهل البيت عليهم السلام: ٢٥٧
٧ ـ رأي كبار علماء الشيعة: ٢٥٩
ردّ تهمة ٢٦٤
منشأ القول بالتحريف..................... ٢٦٥
روايات أهل السنّة..................... ٢٦٦
مأساة كتاب الفرقان: ٢٧٠
روايات الإمامية ٢٧٢
الفصل السادس ٢٨٣
ترجمة القرآن ٢٨٣
تعريف الترجمة ٢٨٣
أساليب الترجمة ٢٨٥
خصائص القرآن الثلاث الرئيسة..................... ٢٨٧
أهمّية ترجمة القرآن..................... ٢٩٠
أدلة المعارضين لترجمة القرآن..................... ٢٩٠
فتاوى العلماء ٢٩٢
فتوى كاشف الغطاء ٢٩٣
رأي آية الله الخوئي ٢٩٤
رسالة شيخ الأزهر إلى رئيس الوزراء المصري بشأن ترجمة القرآن ٢٩٥
فتاوى علماء الأزهر..................... ٢٩٧
المخالفون لترجمة القرآن في مصر..................... ٢٩٩

ترجمة القرآن رسالة دينية ٣٠٠
سابقة الترجمة في الإسلام ٣٠٢
مناقشة الترجمات ٣٠٥
شرائط الترجمة ٣٠٥
شرائط المترجم ٣٠٧
ترجمة القرآن إلى اللغات غير الفارسية ٣١٣
المصادر ٣٢١
الفهرس ٣٣٣